شرح
ديوان المتنبي

وضعه

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ البيان ورئيس قسم التصحيح والمراجعة بمجلس النواب

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب ، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي ، وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنيا عن جميع الشروح

الجزء الثالث

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

الطبعة الثانية

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب :

أَرَكَائِبَ الْأَحْبَابِ إِنَّ الْأَدْمُعَا ... تَطِسُ الخُدُودَ كَمَا تَطِسْنَ اليَرْمَعَا(١)

فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى ... وَامْشِينَ هَوْناً فِى الْأَزِمَّةِ خُضَّعَا(٢)

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِى الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَا ... فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا(٣)

حَتَّى كَأَنَّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةً ... فِى جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَا(٤)

---

(١) أركائب : أي يا ركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهي الإبل تركب ؛ وتطس : تدق ؛ والوطس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صغار رخوة . يقول : إن الدموع تفعل بالخدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطؤها : يعنى أن تأثير الدموع فى الخدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهي مؤنثة ، والأزمة : جمع زمام ماتقاد به الدابة . يقول : للإبل : اعرفن قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكن ، واعرفن لينها ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويدا خضعا حتى لا تتأذى بسيركن ومرحكن

(٣) البكا : - يمد ويقصر - والأشهر : المد . يقول : قد كان حيائى يغلب بكائى ، واليوم غلب بكائى حيائى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت الباكى ؛ والضمير فى جلده : للعظم ؛ ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع : يقول : لكثرة بكائى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنينا ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء حتى صارت حالى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

وَمُتَيَّمٍ جَرَحَ الفِرَاقُ فُؤَادَهُ ... فَالدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَقْرَقُ

وَكَفَى بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحاً لِمُحِبِّهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعا (١)
سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا (٢)
فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا (٣)
كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا (٤)
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا (٥)

وإلى قول الآخر:

وكأنّ لى فى كلّ عضوٍ واحدٍ قلباً يرنّ وناظراً ما يطرِفُ

(١) الجداية: الظبية، وفاضحا: تمييز؛ والمصرع: المقتل، مصدر ميمى - من صرعه: أى طرحه على الأرض - يقول: من فضح الجداية بحسنه كفى فاضحاً لمن يحبه، وكفى بمصرعى فى حبه مصرعاً؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق

(٢) يقول: سفرت - كشفت عن وجهها للوداع، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة، كأنها برقع يستر محاجرها — ماحول العين — ويخفى محاسنها، ولم تكن برقعاً على الحقيقة؛ يعنى أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها.

(٣) السمط: خيط القلادة. والضمير من كأنها: للصفرة. يقول: كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط. شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ.

(٤) يقول: صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال. لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها. والذوائب: جمع ذؤابة، وهى الخصلة من الشعر؛ والأصل ذآئب، فأبدل من الهمزة الأولى واواً تخفيفاً.

(٥) قال الواحدى: يجوز أن يريد بالقمرين: القمر والشمس، وهى

رُدِّي الوِصالَ سَقَى طُلولَكِ عارِضٌ ... لَوْ كانَ وَصْلُكِ مِثْلَه ما أَقْشَعا (١)

زَجِلٌ يُرِيكَ الجَوَّ نارًا وَالمَلا ... كالبَحْرِ وَالتَّلَعاتِ رَوْضًا مُمْرِعا (٢)

وجهها ، وجعل وجهها شمساً فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قمران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر :

وَإذا الغزالةُ فى السماء تَرَفَّعَتْ ... وبَدَا النهارُ لِوَقتِه يَتَرَحَّل

أبدَتْ لِوَجهِ الشمسِ وَجْهاً مِثله ... يَلقَى السماء بِمثلِ ما تَستقبلُ

ويقول صريع الغوانى:

فَبِتُّ أُسِرُّ البدرَ طوراً حديثها ... وطَوراً أناجى البدرَ أحسبها البدرا

إلى أن رأيتُ الليلَ منكشفَ الدجى ... يُودِّعُ فى ظلمائِهِ الأنجم الزهرا

وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(١) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الدار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأقشع : أقلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال : لو كان وصالك مثل السحاب الذى أتمناه للطلول - أى دائما لا يتفرق - لكان دائما لا ينقطع .

(٢) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلعات : جمع تلعة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى ؛ والممرع : المخصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو ببرقه حتى يُرَى نارا ، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصيب ؛ وقد جمع فى هذا البيت ما فرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام :

* آضَ لنا ماءً وكان بارقا *

كَبَنانِ عَبدِ الوَاحِدِ الغَدَقِ الَّذِي أَرْوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاءُ وَأَفْزَعَا(١)
أَلِفَ المُرُوءَةَ مُذْ نَشَا فَكَأَنَّهُ سُقِيَ اللِّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرْضَعَا(٢)

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كانما البَيْدَاءُ غِبَّ صَوبِه بحرٌ طما تَيارُهُ ثُمَّ سَجَا

١) الغدق : الكثير قال تعالى « لأسقيناهم ماء غدقا » أى كثيرا . شبه ذلك السحاب الذى وصفه ببنان - أصابع - الممدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كأنها حين لجت فى تَدَفُّقِها أيدى الخليفة لمّا سالَ واديها

(٢) المروءة : الكرم ؛ واللبان : جمع اللبن ، وصبيا حال . يقول : ألف الكرم ناشئا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيعا . وهذا من قول أبي تمام :

لبِسَ الشجاعة إنها كانت لهُ قِدماً نشوغاً فى الصبا وَلَدُودا

والنشوغ : الوجور والسعوط يقال نشغت الصبي وجورا فانتشغه جرعة جرعة بعد جرعة واللدود ما يصب بالمسعط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديدا الفم جانباه ، وإليك طرفة نحوية للعكبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما باضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون هما اسمان يرتفع مابعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون مابعدهما مجرورا بهما ، وحجتنا أنهما مركبان من «من وإذ» تغيرا عن حالها فى أفراد كل واحد منهما ، فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من من وإذ ، أن من العرب من يقول فى منذ منذ - بكسر الميم - فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَائِمًا   فَٱعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَزَّعَا [1]

تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بَارِقَا   تٍ وَالْمَعَالِي كَالْعَوَالِي شُرَّعَا [2]

مخفوضاً كان الخفض بهما اعتباراً بمن ، ولهذا المعنى كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون «من» فيها ؛ والرفع بمذ أجود لحذف النون منها تغليباً لإذ ؛ ويدل على أن أصل مذ ومنذ واحد : أنك لو سميت بهما قلت فى تصغير مذ : منيذ وفى تكسيره : أمناذ ؛ فرد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها . وحجة البصريين أنهما معناهما الأمد ، إذا قلت مارأيته مذ يومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد فى موضع رفع بالابتداء فكذلك ماقام مقامه وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالإبتداء وجب أن يكون مابعدهما خبراً

(١) التمائم : جمع تميمة : العوذة تعلق على الصبى للوقاية من العين . قال الواحدى : من روى نظمت ـ بضم النون ـ فالمعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التمائم التى تعلق على من خاف شيئا ، فاذا سقطت عنه عاد الخوف : أى أنه ألف الإعطا ، واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تمائمه ؛ ومن روى بفتح النون : فانما يعنى من حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ماتعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تميمته فيفزع ؛ وهذا من قول أبى تمام :

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها   إذا لم يعوِّذها بِنَغْمَةِ طالب

(٢) الصنائع : الأيادى والنعم والمعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات ؛ والعوالى : الرماح ؛ وشرعا : منتصبة مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جنى : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

مُتَبَسِّماً لِعُفَاتِهِ عَنْ وَاضِحٍ تَغْشَى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللُّمَّعَا (١)

مُتَكَشِّفاً لِعُدَاتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ لَوْ حَكَّ مَنْكِبُهَا السَّمَاءَ لَزَعْزَعَا (٢)

أَلْحَازِمَ الْيَقِظَ الأَغَرَّ الْعَالِمَ الْـ ـفَطِنَ الأَلَدَّ الأَرْيَحِيَّ الأَرْوَعَا (٣)

أَلْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاهِبَ النَّدُسَ اللَّبِيبَ الْهِبْرِزِيَّ الْمِصْقَعَا (٤)

نَفْسٌ لَهَا خُلُقُ الزَّمَانِ لِأَنَّهُ مُفْنِي النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ مَا جَمَّعَا (٥)

---

(١) متبسما : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتغشى : تغطى . ولوامعه : ثناياه . يقول : يتبسم للسائلين عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، ويروى تُعْشِى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :

مُتَسَرْبِلِينَ سَوَابِغاً مَاذِيَّةً تَغْشِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الأَبْصَارَا (١)

(٢) حك : يروى صك ؛ والمعنى : زاحم . يقول : إنه يظهر للأعداء سطوة لو زاحم منكبها السماء لزعزها : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعار لسطوته منكباً لما جعلها تزاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالمناكب .

(٣) و (٤) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقظ : الكثير التيقظ ، الذى لا يغفل عن أموره ؛ والاغر : الشريف ، ويروى الأعز ؛ والألد : الشديد الخصومة ؛ والأريحى : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهتز لهما ويتحرك ؛ والأروع : الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبرزى : السيد الكريم ؛ والمصقع : الخطيب البليغ .

(٥) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا الممدوح

---

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها . والماذية الدرع البيضاء أو السهلة اللينة :

وَيَدٌ لَهَا كَرَمُ الْغَمَامِ لِأَنَّهُ يَسْقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعَا (١)
أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وَافِرٍ وَيَلُمُّ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَصَدِّعَا (٢)
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى اهْتِزَازَ مُهَنَّدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزْتَهُ يَوْمَ الْوَغَى (٣)

يفنى أعداءه كما يفنى ماله ، فهو جواد كثير الغارات، وهذا قريب من قول أبى نواس :

وَمَا هُوَ إلا الدَّهرُ تأتى صُرُوفُه على كلِّ مَن يشقى به ويُعادى

(١) العمارة — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لاعمارة فيه . يقول : إنه يعطى كل أحد أكان غنيا أم فقيراً ، كما أن الغمام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لابن المعتز :

ويُصيبُ بالجود الفقير وذا الغنى كالغَيثِ يَسقِى مُجدباً ومَرِيعاً

ولآخر يخاطب الغيث :

وليس يَخُصُّ أرضاً دُونَ أرض وكفاهُ تَعُمَّانِ البلادا

وروى الخوارزمى : العمارة — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

(٢) الشعب : الشمل ؛ ويصدع : يفرق ؛ والوفر : الغنى ؛ ويلم : يجمع . يقول : إنه أبدا يفرق شمل المال بالعطاء . ويجمع مفرق المكارم ، وقد جمع فى هذا البيت بين التطبيق والتجنيس ، وقال أبو تمام :

لهُ كلَّ يَومٍ شملُ مجدٍ مؤلَّفٍ وشملُ نَدًى بينَ العفاة مشتّتِ

وقال البحترى :

ومعال أصارها لاجتماعٍ شملُ مال أصاره لافتراق

(٣) الجدوى : العطا ؛ والمهند : السيف ؛ ويوم الرجاء : متعلق بيهتز ؛ والوعى - بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها ؛ والجملة قبله : صفة لمهند .

يامُغْنِياً أَمَلَ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ ودُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلاَةِ إِذَا دَعَا (١)
أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ المَدَى وبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارْبَعَا (٢)
وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلاَنِ مِنْهَا مَوْضِعَا (٣)
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَاطَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعَا (٤)

يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الحطيئة:

كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألته تهلل واهتز اهتزاز المهنَّد

ولمتمم بن نويرة:

تراه كنَصْل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مَطْمَعا

(١) لقاؤه: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(٢) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربعا: أراد فاربعن، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حسبك. وقوله ولست بمقصر: جملة اعتراضية. قال الواحدي: يحتمل أمرين: أحدهما: أنى أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى — الغاية — وهذا قريب من قول أبي تمام:

يا ليتَ شعْرِى مَن هذِى مناقبه ماذا الذى ببُلوغ النجم ينتظر

(٣) لك أن تقرأ الفعال بفتح الفاء: اسم للفعل الحسن؛ وبكسرها: جمع فعل؛ والثقلان: الجن والإنس.

(٤) يقول: حويت فضل الثقلين - الجن والإنس - وهذا الفضل لم يطمع فى نيله أحد ولا حدثته به نفسه لبعد مناله.

نَفَذَ القضاءُ بما أردتَ كأنّهُ ... لكَ كلّما أزمعتَ شيئًا أزمعا (١)
وأطاعكَ الدهرُ العَصِىُّ كأنّهُ ... عبدٌ إذا ناديتَ لبَّى مُسرِعا (٢)
أكلَتْ مفاخِرُكَ المفاخرَ وانثنتْ ... عنْ شأوِهِنّ مَطِىُّ وَصْفِى ظُلَّعا (٣)
وجرَيْنَ مجرى الشمسِ فى أفلاكِها ... فقطَعْنَ مغرِبَها وجُزْنَ المطلَعا (٤)

(١) أزمع الشىء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلما أردت شيئا وأزمعته أنفذه ، فقوله لك : خبر كأن : أى كأنه موافق لك . ولك أن تجعل لك : صلة أزمع ؛ أى أن القضاء منفذ لما تريد ، فكلما أزمعت أمرا أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد قال الخليل : أزمعت على الأمر فأنا مزمع عليه : إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه . وقال الكسائى : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أأزمعتَ من آلِ ليلى ابتكارا ... وشطّت على ذى هَوًى أن تُزارا

وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه .

(٢) العصى : العاصى ، فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحدا قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٣) انثنت : رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلع : جمع الظالع ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتى أفنتها فليس لأحد منهم فخر ، وانصرفت مطايا وصفى قاصرة عن غايتها . أى لم يبلغ قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هدمَتْ مساعيه المساعى وانثنت ... خطَطُ المكارمِ فى عِراصِ الفرقدِ

(٤) يقول : وجرت مفاخرك فى الأرض مجرى الشمس فى الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أمَطلعَ الشمسِ تبغى أن تؤمّ بنا ... فقلت كلا ولكن مَطلعَ الجود

لَوْ نِيطَتِ الدُّنيا بِأُخْرَى مِثْلِها لَعَمَمْنَها وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعا (١)
فَمَتَى يُكَذَّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذَا وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا ادَّعَى (٢)
وَمَتَى يُؤَدِّى شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ القَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعا (٣)

وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصغاء إنائه ، وإلا فأى تناسب بين البيتين؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول إنه من قول على بن الجهم :

وسارت مسير الشمس فى كلِّ بلدةٍ وهبّت هبوبَ الريح فى البرِّ والبحرِ

أو من قول أبى قيس بن أبى رفاعة - شاعر جاهلى - يصف قصيدة :

تسير مَسِيرَ الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواهِ الرجال نشيدها

(١) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضا وخافت أن لا تقنع منها بذلك . وروى لعممتها - والضمير الممدوح - وخشيت - بضم التاء - والضمير للمتنبي : أى لعممتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لا تقنع بها لأن همتك تقتضى فوقها .

(٢) يقول : لا يكذب من ادعى لك فوق هذا لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك ماخلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى حق ، فجعل الخبر الذى هو نكرة - وهو حق - فى موضع الاسم ونصبه بأن ، وجعل الاسم الموصول - ما ادعى - فى محل الخبر ، وذلك جائز فى ضرورة الشعر .

(٣) النزر . هو القليل ، فهو توكيد معنوى : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها - على حد قول أبى نواس :

* حَفِظت شيئاً وغابَتْ عنكَ أشياءُ *

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا إِصْبَعَا (١)

إِنْ كَانَ لَا يَسْعَى لِجُودٍ مَاجِدٌ إِلَّا كَذَا فَالْغَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى (٢)

قَدْ خَلَّفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ مَرْأًى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعَا (٣)

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيعه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع ، ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا :مفعول ثان ليدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان لايدعى الفتى رجلا إلا إذا كان كذا : أى كهذا الممدوح فسم الناس جميعاً أصبعاً ، لأنهم لووزنوا بأصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس اليك كالأصبع من الرجل قال. الواحدى : وكان هذا الممدوح يلقب بذى الأصبع ، وكان له أصبع زائدة . وروى الخوارزمى أضبعا ـ جمع الضبع ـ يريد : كلهم بالإضافة اليك ضباع لأنك حزت شرفا وقدراً لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النجم :

لو كان يَخلق الله جَنباً واحداً وكنت فى جنبٍ لكنتَ زائدا

ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

وَلَوْ سَلكَ الناس فى جانب من الأرض واعتزَلتُ جانبا

لَيَممت جانبها إننى أرى قربها العَجَبَ العاجبا

(٢) يقول : إن كان لايصح سعى ماجد لجود حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبخل الساعين لبعد ماينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة ، قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيقَ باعا من نداك وأقصرا

(٣) ابنه ـ بحذف حرف النداء ـ أى يا ابنه ؛ وغرة الشخص:طلعته : ومرأى ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك وليبق ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثي أبا شجاع فاتكا ، وقد توفي بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر :

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ ... وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ (١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ ... هٰذَا يَجِيءُ بِهَا وَهٰذَا يَرْجِعُ (٢)
أَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ ... وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ (٣)
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي ... وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ (٤)

---

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلقني ، والتجمل — تكلف الصبر — يمنعني عن التهالك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ، وبذلك يعصى صاحبه تارة ويطيعه أخرى

(٢) عنى بالمسهد — أي الكثير السهاد ، الممنوع عنه النوم — نفسه . يقول : الحزن والصبر يتنازعان دموع عيني — فالحزن يجئ بها — أي يجريها والتجمل يردها.

(٣) يقول : النوم بعد أبي شجاع لا يألف العين : أي لا تنام العيون بعده حزنا عليه ، والليل يطول فلا ينقضي ، كأنه قد أعيا عن المشي — كلَّ من التعب — فانقطع ؛ والكواكب ظلع — كالعرجى — لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبارة ابن جنى : لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده فالليل مُعيٍ والكواكب ظلع ما تسير . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : الموت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه : يعني أن الفراق أعظم خطباً

وَيَزِيدُنِى غَضَبُ الأَعَادِى قَسْوَةً ... وَيُلِمُّ بِى عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ (١)

تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ (٢)

وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِى الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ (٣)

أَيْنَ الَّذِى الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ (٤)

عنده من الموت، كما قال أبو تمام:

جليدٌ على عتب الخطوب إذا عرت ... ولستُ على عتب الاخلاء بالجَلْدِ

(١) يقول: إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا، ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله، كما قال اشجع السلمى:

يُعطِى زمامَ الطوع إخوانَهُ ... وَيلتوِى بالملكِ القادِرِ

وبعد: فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة، وشدته عند المباطشة والمقاومة.

(٢) قوله عما مضى: متعلق بغافل؛ ويتوقع: ينتظر. يقول: إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر فى العواقب من انقضائها أو احداثها التى لا يطيق لها احتمالا، أما العاقل الفطن الذى ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فانها لا تصفو له.

(٣) يسومها: يكلفها؛ ويعنى بالحقائق: مالا شك فيه للعاقل، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار، وا لانسان فيها على خطر عظيم، وأن الحياة فانية، فمن غالط فى هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر فى العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء فى السلامة مع نيل المراد فطمعت فى ذلك.

(٤) الهرمان: هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط — وهما معروفان،

تَتَخلَّفُ الآثارُ عَنْ أَصْحابِهَا ... حِيناً وَيُدْرِكُها الْفَناءُ فَتَتْبَعُ (١)
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبى شُجاعٍ مَبْلَغٌ ... قَبْلَ المَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ (٢)
كُنَّا نَظُنُّ دِيارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهَباً فَمَاتَ وَكُلُّ دارٍ بَلْقَعُ (٣)

وكل مايتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التى بنيا لها : معروف ، فراجعه إن شئت . يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعنى أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يُعرفون ولا يُعرف بأى ميتة هلك ، ولا فى أى وقت لطول مر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مفنية لأهلها منكرة على من اغتر بها ، وأن الفناء حتم فى رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء . وعبارة العكبرى : قوله أين الذى الهرمان من بنيانه : استدل ببنائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عَدَدهم وعُددهم ؟ أَمَا عفت الدنيا آثار ملكه وأفنته ؟ أما فرقت شمله وشتته ؟ أَمَا فى بطن الأرض غيّبته ؟ وكأنه فى هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أين كِسرى كسرَى الملوك أبو ساسانَ أم أين قَبله سابورُ

يريد أن الفناء حتم فى رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء .

(١) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريفها .

(٢) يقول : إنه - لبعد مرتقى همته - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه فى العلا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لايشبع طموحه .

(٣) البلقع : الخالى . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

وَإِذَا المَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالقَنَا   وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ (١)

أَلْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالمَكَارِمُ صَفْقَةً   مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الكَرِيمُ الأَرْوَعُ (٢)

---

(١) وإذا : عطف على وكل دار بلقع ـ فى البيت السابق ـ وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شىء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شىء فى هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه فى حياته المكارم والأسلحة والخيل ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء . فبنات أعوج : يعنى الخيل ؛ وأعوج : فحل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمى بذلك لأن غارة وقعت على أصحابه ليلا وكان مُهرا ، ولضنهم به حملوه فى وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقى فيه العوج ، فلقب بالأعوج ؛ وقد جاء فى معنى بيت المتنبى شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قال قائلهم :

إذا خزَنَ المالَ البخيلُ فإنما   خزائنـــه خَطِّيَّة ودروع

وقال مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة يرثيه :

ولم يَكُ كنزُه ذهبا ولكن   حديدَ الهند والحلَقَ المُذَالا

(٢) الأروع : الذكى الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأنقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعنى أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع شملها . وقال العكبرى ـ عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة ، وهى منصوبة بأخسر ـ التى هى عطف على المجد ـ وهذا غير جائز ، لأن صفقة تحل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيدا أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفا على الضمير فى أخسر ؟ فإن عطفته على الضمير الذى فيه لم يكن أجنبيا منه ، فلا يعد فصلا بينه وبين صفقة ، فيصير نحو قولك . مررت برجل آكل وعمرو خبزا ، بعطف عمرو على الضمير

. . . .

فى أكل ونصب خبزا بأكل، وفى نوادر أبى زيد :

بِخَيْرٍ نحنُ عندَ البأسِ منكم إذا الدّاعى المثوِّبُ قال يالا (١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعا بالابتداء، ومنكم : متعلق بخير ـ على أن يكون «خير» خبر المبتدأ ـ لئلا يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيدا للضمير فى «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف نحن الأولى التى هى مبتدأ لمجىء الثانية توكيدا للضمير فى «خير»، ويجوز وجه آخر : وهو أن تنصب «صفقة» بفعل مضمر يدل عليه «أخسر»، وتجعل «المكارم» عطفا على «المجد» ـ لا على الضمير فى أخسر ـ فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجرى مجرى الصلة والموصول، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضا كذلك، ثم قال صفقة وكأنه قال خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دلّ أعلم فى قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يَضِلُّ عن سبيله» على يعلم أو علم، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذى دل عليه «أعلم»، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من

---

(١) بعده :

ولم تَثِقِ العَوَاتِقُ مِنْ غَيورٍ بِغَيْرَتِهِ وخَلَّيْنَ الحِجالا

وقد نسب أبو زيد فى نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبى ولأئمة النحاة فى إعراب «بخير نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة ؛ والمثوب : الذى يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغيث إذا كان بعيدا يتعرى ويلوح بثوبه رافعا صوته ليرى فيغاث ؛ ويالا : أراد يا لفلان، أو يا لبنى فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحميهن الأزواج والآباء والإخوة، فنحن عندهن أوثق منكم.

وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِى زَمَانِكَ مَنْزِلاً   مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ (١)

بَرِّدْ حَشَاىَ إِنِ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ   فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ (٢)

مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا   مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ (٣)

وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلِمُّ مُلِمَّـةٌ   إِلَّا نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ (٤)

وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا   فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعُ (٥)

يضل، فى موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعلم أفعل ، وأفعل إذا أضيف إلى شىء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس . فلا بدّ أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعام لأنه ليس من النعام ، فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .

(١) يقول : إن الناس فى زمانك أذل قدرا من أن تكون بينهم تخالطهم وتعاشرهم ، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلمنى كلمة وأسمعنى منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما فى قلبى من لوعة الحزن ، فلقد كنت فى حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك ، وتنفع أولياءك : أى فانفعنى بكلامك .

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريبه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تفجعهم بنفسك : ما يريبهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أوجعت قلوبهم وأبكيت عيونهم

(٤) الأصمع : الذكى الحاد ؛ وقوله وما تلم : حال . يقول : كنت أراك فى حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونفاها عنك يد شنشنتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكأن النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفى هذا يقول أبو تمام :

ثوى ما له نهب المعالى فأوجبت   عليه زكاة الجود ما ليس واجبا

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً ... أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنْزَعُ (١)

مَازِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا ... حَتَّى لَبِسْتَ الْيَوْمَ مَالَا تَخْلَعُ

مَازِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ ... حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ (٢)

فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفُكَ قُطَّعُ (٣)

بِأَبِي الْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ ... يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلَاحِ الْأَدْمُعُ (٤)

ويقول ابن الرومى :

ملك لايرى اللُّها ... تستحق الوسائلا

وَيَراها فرائضاً ... وتُسَمّى نوافلاَ

ويقول آخر :

أغرُّ متى تَسألهُ جاد فريضة ... وإن أنت لم تسأله جاد تبرعا

(١) يريد : يامن كان فى حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع الملبوس على من يقصده — كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لاتخلع ؟ يعنى الكفن - والحلة : اللباس من ثوبين - ازار ورداء - ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(٢) الفادح : الذى يثقل حمله ، وفى هذا المعنى يقول الحماسى :

دَفعنا بِكَ الأيامَ حتى إذا أتَت ... تُرِيدُكَ لم نَسطِع لهاعنك مَدفعا

(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول : ظللت — أقمت — تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك فى دفع مانزل بك ؛ إذ لامدفع للموت .

(٤) بأبى: تفدية . وقوله وجيشه متكاثر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكاثر: خبر أول لجيشه ؛ ويبكى : خبر ثان . يقول : إنه مع كثرة جيوشه كان وحيداً

وَإذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلاَحِ عَلَى الْبُكَا ... فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ (١)

وَصَلَتْ إلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الـ ... ـبَازِىُّ الأُشَيْهِبُ وَالغُرَابُ الأَبْقَعُ (٢)

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى ... فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ (٣)

من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غَنَاء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تغنى شيئا عند المصيبة . وقد فسر هذا فى البيت التالى .

(١) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء فى البكاء ؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الخد : أى أنه لا يجدى ولا يدفع شيئا .

(٢) الاشيهب - تصغير الأشهب - وهو الذى غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذى فى صدره بياض ، وهو فى الطير والكلاب ، كالأبلق فى الدواب . يقول : وصلت اليك - يخاطب المرثى - يد - يريد يد المنية - سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع ؛ فالبازى مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . ويروى ألباز الاشهبُ - بقطع همزة أل : من الباز - ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة أل قد وقعت فى أول الشطر الثانى ، فكأنه أخذ فى بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكا فى دِيارِكم ... الله أكبرَ يا ثاراتِ عثمانا

وقال الآخر :

حتى اتينَ فتىً تأبط خائفاً ... السَّيفَ فهوَ أخو لقاءٍ أرْوَعُ

(٣) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلا للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول - متفجعاً عليه - : من للمحافل فى

وَمَنِ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضِيعُ (١)
قُبْحاً لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ (٢)
أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِى شُجَاعٍ فَاتِكٌ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الخَصِىُّ الأَوْكَعُ (٣)
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَىْ رَأْسِهِ وَقَفاً يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ (٤)

إرشاد جماعتها ، والجحافل فى تصريف كتائبها ، والسرّى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء فى الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذى كانت تستمد برأيه ، والنير الذى كانت تهتدى بضوئه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروبا لا يطلع بعده . قاله العكبرى .

(١) يقول : ومن الذى اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع قصادك بعدك ومثلك من لا يضيع فى حياته قاصده .

(٢) يقول : قبح الله وجهك يازمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبائح ؛ فكأنه اتخذ القبائح برقعا . فقوله قبحا : مفعول مطلق نائب عن عامله ـ من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقيا له ؛ والقبح ـ فى المصراع الثانى ـ ضد الحسن .

(٣) الأوكع فى الأصل : الذى أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للإماء اللواتى يكددن فى العمل ، ويقولون أمة وكعاء : أى حمقاء ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لئيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبى شجاع فاتك فى جوده وفضله مع بقاء حاسده ـ يعنى كافورا ـ الأحمق أو اللئيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبى شجاع .

(٤) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للإذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصفع ؟ ولكن الأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من

أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ ... وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ (١)

وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةً ... وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ (٢)

فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ ... دَمُــهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ (٣)

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلُهُ ... وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرُعُ (٤)

فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من المتنبي ، إذ خرج إلى هجاء كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(١) يخاطب الزمان . يقول : أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو - كافور - أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسامعين - أى أصدق الناس - يعنى المرثى . فقوله أبقيته : صفة لكاذب ؛ ومن : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٢) الريحة والريح : واحد ؛ وتتضوع : تفوح .

(٣) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طَرْد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه فى الفلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . فدمه : فاعل قرّ . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال نافرة ، والتطلع : الاستشراف .

(٤) ثمر السياط : العُقَد التى تكون فى عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبداً كان يضربها بسياطه لتركض فى قصد عدوّ أو طَرْد أو إغاثة مستصرخ ، وهى فى شدة جريها - أو كثرته - كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

وَعَفَا الطِّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ القَنَاةِ ولا حُسَامٌ يَلْمَعُ (١)
وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ ومُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ (٢)
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأً وَلِسَيْفِهِ فِى كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ (٣)
إِنْ حَلَّ فِى فُرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ (٤)
أَوْ حَلَّ فِى رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرُ أَوْ حَلَّ فِى عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ (٥)
قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِى طَعْنَةٍ فَرَسًا وَلَكِنَّ المَنِيَّةَ أَسْرَعُ (٦)

---

(١) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان فى الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف : الذى يسيل منه الدم ـ من رعاف الأنف ـ والقناة : الرمح ، والحسام : السيف القاطع . يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التميمى :

تَرَكْتَ المَشْرَفِيَّةَ والعَوالِى مُخَلَّاةً وقد حانَ الورود
وغادَرْتَ الجيادَ بكل مَرْجٍ عواطِلَ بعدَ زِينتِها تَرُودُ

(٢) و (٣) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مربض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى اليه ، فهو من هذا ؛ والمنادم : النديم ؛ وشيع الرجل: خرج معه عند الوداع ؛ ومن ـ فى البيت الثانى ـ فاعل ولى ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولى وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع فى كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٤) و (٥) يقول : إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل فى العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك فى كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله فى البيت الثانى ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

(٦) فرساً : نصب على التميز . يقول : كان أسرع الفرسان فى الطعان ؛ أى

لَا قَلَّبَتْ أَيْدِى الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ (١)

وقال فى صباه :

بِأَبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا (٢)

فَافْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا الْتَقَيْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَىَّ وَدَاعَا (٣)

كان إذا طعن لم يدرَك ، ولكن المنية كانت أسرع منه فأدركته .

(١) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول على طريق الدعاء : لاحمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيلَ قوائمها .

(٢) بأبى : هذه الباء باء التفدية ؛ أى أفدى بأبى من وددته : أى جعل فداء له .

(٣) يقول : كان تسليمه علىّ عند اللقاء توديعا لفراق ثان . وفى هذا يقول على بن جبلة العكوك :

زَرِكِبَ لأهوالَ فى زورتِهِ ثم ماسلم حتى وَدّعا

ويقول الآخر :

بِأَبِى وَأُمِّى زائر مُتَقَنِّع لم يَخْفَ ضوءُ البدر تحت قناعِهِ

لَمْ أستَتِمّ عِناقه لِلقائهِ حتى ابتدأت عِناقه لِوَداعه

قافيـــــــة الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ ... وَلَوَ اَنَّ الجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ (١)

وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـــفَ وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ (٢)

مَالَنَا فِى النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ ... كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ (٣)

---

(١) الطفيف : القليل الحقير — من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطاياك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نزرا قليلا ، ولو كان فى هذه الخيل التى تهبها ألوف من الجياد .

(٢) المطهم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التى توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هى لفظة المطهم ؛ يعنى أنك أمرتنى أن أختار وصف فرس تهبه إلىّ ، والذى أختاره هو المطهم ، وهو المعروف عند أهله : أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالى من العيوب . والإشارة بقوله وذاك : إلى الوصف ، لأن المطهم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتنى الوصف ، فذكرت وصفا واحدا امتثالا لأمرك ، فأما الذى عندى فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبى دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله. فكتب إليه من السجن *:

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ ... والسِّجْنِ وَالقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ (١)

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِى ... وَالْجُوعُ يُرْضِى الأُسُودَ بِالْجِيَفِ (٢)

---

* كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله، وكان صديقا له من قبل.

قال صاحب الصبح المنبى: لما اشتهر أمر المتنبى، وشاع ذكره، وخرج بأرض سلمية — من عمل حمص فى بنى عدى — قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها «كوتكين»، وجعل فى رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف، فقال المتنبى:

زَعَمَ المقيمُ بكوتكينَ بأنه ... من آلِ هاشم بن عبد منافِ

فأجبته مُذ صِرتَ من أبنائهم ... صارت قيودهمُ من الصفصافِ

ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى:

بِيَدِى أيها الأمير الأريب ... لا لِشىء إلا لأنى غريب

أو لأمٍّ لها إذا ذكرتنى ... دم قلبٍ بدمعِ عينٍ يذوب

إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ... تُ فإنى على يديكَ أتوب

عائبٌ عابنى لديكَ ومنه ... خُلِقَت فى ذوى العيوبِ العيوب

وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجدهما فى التذييل.

(١) أهون بكذا: أى ما أهونه — صيغة تعجب — والثواء: الإقامة. يريد مقامه فى السجن. يقول: ما أهون علىّ هذه الأشياء! أى أنى وطنت نفسى عليها، ومن وطن نفسه على شىء هان عليه - وإن اشتد - كما قال كثير:

فقلت لها يا عزُّ كل مصيبة ... إذا وُطِّنَت يوماً لها النفس ذلَّتِ

ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك.

(٢) غير اختيار: حال؛ والمصدر: فى تأويل اسم الفاعل؛ والبر:

كُنْ أيها السّجنُ كيفَ شِئتَ فقدْ ... وَطّنتُ لِلموتِ نفسَ مُعترِفِ (١)
لَوْ كانَ سُكنايَ فِيكَ مَنقصةً ... لم يَكُنِ الدُّرُّ ساكِنَ الصَّدفِ (٢)

الإحسان . يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد برّ المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية . يقول : قبلت برك بى اضطرارا ـ لا اختيارا ـ لاحتياجى إليه ، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لحما . وفى مثل هذا يقول المهلبي الوزير .

ما كنتَ إلا كلحمِ ميْتٍ ... دَعا إلى أكلِهِ اضطِرارُ

ومثله لأبى على البصير :

لعَمْرُ أبيكَ ما انتسب المُعَلّى ... إلى كرَمٍ وفى الدنيا كريمُ
ولكنّ البلاد إذا اقشعرّت ... وصوّحَ نبتها رُعِىَ الهشيمُ

ومثله قول الآخر :

فلا تحمَدونى فى الزّيارةِ إننى ... أزورُكمُ إذ لا أرى مُتعَلَّلا

ومثله :

خذ ما أتاكَ من اللئا ... مِ إذا نأى أهل الكرمْ
فالأُسد تفترس الكلا ... بَ إذا تعذّرتِ الغنمْ

(١) المعترف : الصابر على مايصيبه ، ووطن نفسه : مهّدها وذللها . يقول — للسجن — : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكنى : إسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى نقصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لاقدر له . شبه نفسه فى السجن بالدر فى الصدف . قالوا : وهو من قول أبى هفان :

تَعجبتْ دُرُّ من شيبى فقلت لها ... لاتعجبى فطلوع البدر فى السُّدَفِ
وزادها عجباً أنْ رُحتُ فى سَمَلٍ ... وما دَرَتْ دُرُّ أنّ الدرّ فى الصّدفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى :

لِجَنِيَّةٌ أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ   لِوَحْشِيَّةٍ لَا مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ (١)

---

(٣) لجنية : أراد ألجنية ؟ فحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله فى الشعر، أنشد سيبويه للأسود بن يعفر :

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإن كنتُ دارِياً   شُعَيثُ بنُ سَهمٍ أم شعيث بن مِنقَرِ (١)

ولعمر بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإن كنت دارياً   بِسبعٍ رَمَيْنَ الجمْرَ أم بِثمانِ (٢)

والغادة والغيداء: المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب الستر إذا كان بنصفين، وقوله لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما - كالأول - ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه قال: ليس لجنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية - أى لظبية وحشية - ثم رجع منكرا على نفسه فقال : مالوحشية شنف - والشنف : مايعلق فى أعلى الأذن - يعنى أن السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنوفا ، والوحشية لاشنف لها . يتعجب من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب إذا بالغت فى مدح شىء جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

جِنِّيَّةٌ أو لها جِنٌّ يُعلِّمها   رَمْيَ القلوبِ بقوسٍ مالها وَتَرُ

---

(١) يقول : ما أدرى أشعيث من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعيث حىّ من تميم ثم من بنى منقر ، فجملهم أدعياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا حى من قيس . قال الشنتمرى : ويروى شعيب - بالباء - وهو تصحيف :

(٢) يقول : ألهانى النظر إليهن واشتغال البال بهن عن تحصيل رميهن الجمار بمنى وعلم عدد المرات: أهى سبع أم ثمان؟

نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ ... سَوَالِفُهَا وَالْحَلْيُ وَالْخَصْرُ وَالرِّدْفُ (١)
وَخَيَّلَ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا ... تَثَنَّى لَنَا خُوطٌ وَلَاحَظَنَا خِشْفُ (٢)
زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيَادَتِي ... وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ (٣)

---

(١) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعا وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة أصلية ، ونفرة من رؤية الرحال فتجاذبت سوالفها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت تتحلى به جذب عنقها بثقله ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حُلِيٍّ وحِلِيّ .

(٢) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها - من قوله تعالى : « يُخَيَّلُ إليهِ من سِحْرِهِم أنها تَسعَى » أى يرون ذلك كالخيال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والخوط : الغصن ؛ والخشف : ولد الظبية . يقول : إن مرطها — ثوبها — أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة ، فإذا هى كغصن بان يتثنى ، وظبى يرنو - ينظر - وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل — بالباء الموحدة — والمخبل : الذى قطعت يداه ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكأن ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إن أقبلتْ فالبدر لاحَ وإنْ مَشَتْ ... فالغصنُ مال وإنْ رنت فالرِّيمُ

(٣) يقول : حالى — أو شأنى — زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى : أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وأَسْرُ فى الدنيا بكلِّ زيادة ... وزيادتى فيها هو النقص

هَرَاقَتْ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بِهَا ... مِنَ الْوَجْدِ بِي وَالشَّوْقُ لِي وَلَهَا حِلْفُ (١)

وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعَرُ الْوَحْفُ (٢)

وَقَابَلَنِي رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ ... يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ (٣)

وكما قال المتنبي — وقد تقدم — :

متى ما ازدَدْت من بعدِ التناهي ... فقد وقع انتقاصِى فى ازديادى

(١) هراقت : أراقت ؛ والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : الملازم . يقول : أراقت دمى بحبها تلك التى أجد بها من الحب ماتجد بى ، والشوق لى ولها ملازم : أى أنى أحبها كما تحبنى ، وأشتاق إليها كما تشتاق لى . قال ابن جنى: لو أمكنه أن يقول بى من الوجد بها مابها من الوجد بى لكان أشد اعتدالا ، لكنه — للوزن — حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وإذا تأملت البــلادَ رأيتَها ... تُثْرِى كما تُثْرِى الرجالُ وتعدِم

أراد : كما يعدمون. فحذف.

(٢) الوحف : الكثير الملتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها فى سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل :

رأت عينَ الرقيب على تدان ... فأسبلت الظلام على الضياء

(٣) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرمانتين : ثدييها ؛ وبالغصن: قدها ؛ وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعنى : أنها قامت عند الوداع بحذائى تقابلنى من ثدييها رمانتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكأن وجهها يميل قامتها، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة ، فلا تقدر على سرعة الحركة .

أَكَيْدًا لَنَا يَا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصْلَنَا ... فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو (١)

أُرَدِّدُ وَيْلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً ... وَأُكْثِرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غُلَّةً لَهْفُ (٢)

ضَنًى فِي الْهَوَى كَالسُّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا ... لَذِذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ (٣)

فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا ... أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ (٤)

---

(١) أكيداً : أى أتكيد كيدا ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد ألنا أيها البين - البعد - فتواصل وصلنا - أى تلازمه؟ - أى كلما تواصلنا تعرض لنا فتفرقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؟ ومثله للبحترى :

فوا أسفى لو قاتل الأسفُ الجوى ... وَلَهْفِى لوَ ان اللهف من ظالمى يجدى

(٢) ويل : كلمة يقولها كل واقع فى هلكة ؛ واللهف : التحسر على مافات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أكثر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى إياهما ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٣) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكامنا : حال من السم ؛ وجهلا : مفعول له ؛ والحتف : الموت . يقول : بى ضنى مستتر كما يكمن السم فى الشهد - العسل - إذا مزج به ، وقد استلذذت الهوى جهلا بذلك الضنى وحتفى فى تلك اللذة .

(٤) فأفنى : أى الضنى . والكهف هنا : الملجأ ففاعل أفنى : ضمير الضنا ؛ وفى الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفا لتأخر مرجعه لفظا ورتبة : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ، فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة عن كهف . والضمير : للضنى . ودونها : صلة كهف . يقول : فأفنى الضنى نفسى وما أفنيته ، كأن الممدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

قَلِيلُ الكَرَى لَوْ كَانَتِ البِيضُ وَالقَنَا ... كَآرَائِهِ مَا أَغْنَتِ البَيْضُ وَالزَّغْفُ (١)

يَقُومُ مَقَامَ الجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ ... وَيَسْتَغْرِقُ الأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ (٢)

وَإِنْ فَقَدَ الإِعْطَاءَ حَنَّتْ يَمِينُهُ ... إِلَيْهِ حَنِينَ الإِلْفِ فَارَقَهُ الإِلْفُ (٣)

---

(١) الكرى: النوم. والبيض الأولى - بكسر الباء - السيوف. والثانية - بفتح الباء - جمع بيضة: الخوذة من حديد. والقنا: الرماح. والزغف: جمع زغفة، الدرع اللينة. يقول: هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله من المجد والعلاء، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيئا؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام:

يَقْظَانُ أحصدت التجارب عَقْدَه ... شَزْراً وثُقِّف عزمه تثقيفا

واستل من آرائه الشُّعَلَ التى ... لو أنهن طُبِعْنَ كُنَّ سيوفا

(٢) يقال: قطب وجهه: إذا جمع مابين عينيه عبوسا. يقول: هو مهيب إذا عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال، فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة. وفى مثل هذا يقول البحترى:

وإذا خِطابُ القومِ فى الخَطْبِ اعتلى ... فَصَلَ القضيَّةَ فى ثلاثةِ أحرُفِ

(٣) يقول: ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتاقت يده إلى الإعطاء كما يحن الإلف إلى الإلف إذا فارقه. وفى مثله يقول أبو تمام:

واجدٌ بالعطاءِ من برحاء الشو ... قِ وِجدانَ غيره بالحبيبِ

ويقول غيره:

يَحِنُّ إلى المعروف حتى يُنِيلَه ... كما حنَّ إلفٌ مستهامٌ إلى إلفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِى أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالُ الْأَرْضِ فِى جَنْبِهَا قُفُّ (١)
جَوَادٌ سَمَتْ فِى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفُّهُ سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنَّ اسْمَهُ كَفُّ (٢)
وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِى كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِى سِيَادَتِهِ خُلْفُ (٣)
يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لِجَارِى هَوَاهُ فِى عُرُوقِهِمِ تَقْفُو (٤)

---

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعلمه اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وشدة رسوخه ومتانته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر فى جنب جبال العلم التى فى صدره .

(٢) الجواد : الكريم المعطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر : حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى فى كل خير لأوليائه وشر لأعدائه - لأنهما يصدران منه - حتى أن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه - الذى هو مجمع الخير والشر - فى الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع فى ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو : تتبع . يقول : من حب الناس إياه يقولون له نفديك بأنفسنا فكان هواه جرى أولا فى عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبى تمام :

لو أن إجماعنا فى فضلِ سُؤْدُدِه فى الدينِ لم يَختلف فى الملةِ اثنانِ

وُقُوفَيْنِ فى وَقْفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ ... فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وَشُكْرُهُمُ وَقْفُ (١)
وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا ... عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ (٢)
وَمَا حَارَتِ الأَوْهَامُ فِى عُظْمِ شَأْنِهِ ... بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ فِى حُسْنِهِ الطَّرْفُ (٣)

وقول البحترى :

وأرى الناسَ مجمعينَ على فضــ ... ــلكَ مابين سيدٍ ومَسُودِ

(١) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يغدونه ، كما تقول : رأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف ،مصدر يوصف به الواحد والجمع ،والوقف : ماحبس على جهة مخصوصة؛ وشكر : بدل تفصيل من وقفين ؛ ونائل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والممدوح فريقان واقفان فى شيئين وقفين ـ محبوسين ـ أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثانى على الممدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعنى أنه أبداً يعطى والناس أبداً يشكرونه . وفى مثل هذا يقول البحترى:

أعِيالٌ لهم بَنُو الأرض أم ما ... لهُم راتِبٌ على الناس وَقف

ويقول : ابن الرومى :

أموالهُ وَقف على تنفيلنا ... وثناؤنا وقف على تحقيقِهِ

[تنفيلنا : إصلاحنا ـ من نقل الخف أو النعل : رقعه وأصلحه] .

(٢) كشفنا : بحثنا ؛ والضمير فى عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله فى المجد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد :أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، والكشف أى البحث ـ لأنا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظير

(٣) يقول : حارت الأوهام فى عظم شأنه ، والطرف ـ النظر ـ فى حسنه وجماله ، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية فى العظمة والحسن .

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الْغَيْظُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفْرِهِ الْعُرْفُ (١)

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ (٢)

أَمَاتَ رِيَاحَ اللُّؤْمِ وَهْيَ عَوَاصِفُ وَمَغْنَى الْعُلَى يُودِي وَرَسْمُ النَّدَى يَعْفُو (٣)

---

(١) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيهم نقصاً وهزالا كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فعلت مقلتاك بالصبِّ ماتفـ ـعلُ جدوى الأمير بالأموالِ

(٢) يقول : إذا فكر فانما يفكر فى العلم ، وإذا نطق نطق بالحكمة ، وباطنه ينطوى على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الخريمى :

فتىً جهرُهُ ظَرفٌ وباطِنهُ تُقَى تَزَيَّنَ ما يُخفِى بصالحِ ما يُبدِى

قال ابن جنى : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل أبداً تجىء مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أو فعولن فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ، وهو تخليط منه . وأقرب ما يصرف اليه أن يقال إنه رد مفاعلن إلى أصلها وهى مفاعيلن لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف ما لا ينصرف وإجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر الممدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها . قال الواحدى : ولو هو قال ومنطقه هدى أو تقى : لصح الوزن .

(٣) اللؤم : ضد الكرم — أى الخسة — والمغنى : المنزل ؛ ويودى : يهلك ، والرسم : أثر الديار ؛ ويعفو : ينمحى ؛ والواو — فى قوله ومغنى العلا — واو الحال . ولما استعار للؤم رياحاً استعار للعلى مغنى وللندى رسما ؛ إذ أن

فَلَمْ تَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابِعاً إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيَمُ الْوُطْفُ (١)

وَلَا سَاعِيًا فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكاً بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ (٢)

وَلَمْ تَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ الْعِبْءَ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ (٣)

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ (٤)

فَوَاعَجَبَا مِنِّي أُحَاوِلُ نَعْتَهُ وَقَدْ فَنِيَتْ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحْفُ (٥)

الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول : سكن الممدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت تعفوهما وتذهب بهما : أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .

(١) هطلت السماء : اشتد انصباب مائها ؛ والوطف : جمع الوطفاء ، وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم : جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً . يقول : لم ير قبل هذا الممدوح أحد إذا أعطى استحيت السحب وخجلت من عطائه . وفى هذا يقول أبو نواس :

إن السَّحاب لتستحيي إذا نظرتْ إلى نَدَاكَ فقاستْهُ بما فيها

(٢) قلة المجد : أعلاه . يقول : إن الممدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى قلة المجد ما لا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .

(٣) العبء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرف : الفرس الكريم . يقول : إنه يحمل من أثقال المهمات ما لا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبُعد مرتقى همته وقوة نجدته ؛ إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم .

(٤) جعله كالبحر المحيط بالدنيا فى كثرة عطاياه وغزارة نداه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يقله ومن فوقه سقف يظله .

(٥) الضمير من فيه للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ؛ والصحف

وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبارِ عَنْ مَكْرُماتِهِ   يَمُرُّ لَهُ صِنفٌ وَيأْتي لَهُ صِنفُ [١]

وتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصَالٍ كَأَنَّهَا   ثَنَايَا حَبِيبٍ لَا يُمَلُّ لَهَا رَشْفُ [٢]

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمِ   كَثيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الأَنْفُ [٣]

وَلَا الفِضَّةُ الْبَيْضاءُ وَالتِّبْرُ وَاحِدٌ   نَفُوعَانِ لِلْمُكْدِي وَبَيْنَهُما صَرْفُ [٤]

جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسي كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيري حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتهم سِيَراً لو أنها كتبت   لم تُبقِ في الأرض قرطاساً ولا قلما

(١) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتي غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أي لكثرة مايسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتي صنف يقصدونه ، وقوله له : أي لأجله .

(٢) وتفتر : أي الأخبار ؛ أي تسفر وتنجلي ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان ؛ والثنايا : الأسنان في مقدم الفم ؛ والرشف : المص ؛ شبه خصاله في حسنها وحلاوتها بثنايا حبيب لا يمل مص ريقها .

(٣) يقول : إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكني آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب . وفيه نظر إلى قول الحطيئة :

قوم هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ   ومن يُسَوِّي بأنف الناقة الذَّنبا

وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوماً كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما قال فيهم هذا فخروا بلقبهم .

(٤) نفوعان : أي هما نفوعان ؛ والبيضاء من النعت المراد به التأكيد

وَلَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ ... وَلا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلَفُ (١)

وَلا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ ... وَلَا الْبَعْضَ مِنْ كُلٍّ وَلَكِنَّكَ الضِّعْفُ (٢)

كما فى أمس الدابر ؛ والتبر : الذهب . والمكدى : الفقير الذى لاخير عنده . والصرف : الفضل ؛ تقول له علىّ صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة سواء وإن اجتمعا فى المنفعة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتكمُ مثلَ الدنانير فيهم ... وسائرَ هذا الخلق مثلَ الدراهم

(١) الدون : الخسيس؛ وقوله خلفه خلف : فخلفه : خبر مقدم، منصوب على الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا ترتجى أنت : أى أنت والغيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للجود منتهى ، يعنى أن الجود مقصور عليك لايرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية القصوى للجود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قصّر الجودُ عنكم يابنى مطر ... ولا تجاوزكم ياآلَ مسعود

يحُل حيثُ حللتم لايفارقكم ... ماعاقب الدهر بين البيض والسود

وقال أشجع السلمى :

فما خلفه لامرئ مطمعُ ... ولا دونه لامرئ مقنعُ

وقال أبو تمام :

إليك تناهى المجدُ من كل وجهة ... يصير فما يعدوك حيث تصير

وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله اسما لاظرفا .

(٢) ولا واحدا : عطف على خبر ليس — فى البيت السابق — . يقول :

وَلا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ... وَلا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ (١)

أَقَاضِيَنَا هَـــذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... غَلِطْتُ وَلا الثُّلْثَانِ هَذَا وَلا النِّصْفُ (٢)

وَذَنْبِيَ تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحاً ... بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو (٣)

ولست واحدا من جماعة الناس ولا بعضا من كلهم ، ولكنك ضعف جميعهم. أى أنت تغنى غناءهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشىء على الشىء .

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف ، ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا : أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير، ونصب مثله لأنه نعت نكرة - وهو ألف - قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال، كما قال القائل :

* لمية َ موحشاً طلل ُ (١) *

وألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الغثاثة والتكلف والغلو ماترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثنيت به عليك، ثم قال غلطت - ليس هذا ثلثى ماأنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ماتقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم

---

(١) عجزه :

* يلوح ُ كأنه ُ خلل ُ *

وهو لذى الرمة . والخلل - بالكسر - جمع خلة . قال الجوهرى : الخلة واحدة خلل السيوف ، وهى بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسنا * فقال كيف تراه فقال مرتجلا :

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ   وَزَلَّتْ عَنْ مُبَاشِرِهِ الْحُتُوفُ(١)
فَدَعْهُ لَقًى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامٍ   جَوَاشِنُهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ(٢)

أجئ مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب، قال :

وعندى أيادٍ جَمَّةٌ لم أجِدْ لها   بإحصائها عندى لساناً معبِّرا
ولكنَّ جُهدى أن أقول وما عسَى   لذى الجهد إلا أن يقول فيُعذرا

ولأبى تمام :

وما كنت إلا مذنبا يوم أنتحى   سواك بآمالى فجئتك تائبا

* الجوشن: الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن - الدرع - يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمنا على نفسه لحصانته ، ولا تعمل الحتوف - المنايا - فى من لبسه .

(٢) لقى : أى ملقيا . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرماح والسيوف لمكانه من الشجاعة ولا يحتاج إلى الدروع ، وفى مثله يقول الآخر :

ونحنُ أناس لا حُصونَ بأرضنا   نلوذُ بها إلا القنا والقواضِبُ

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلماناً له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلا فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر، فقال أبو الطيب * :

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِي إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ (١)

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ ... حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ (٢)

وَكُلُّ وِدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى ... دَوَامَ وِدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ (٣)

---

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وفيها يعرض ببني حمدان أبناء عم سيف الدولة، وكان ذلك بمحضر من أبي العشائر، فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليوقعوا به، وقد تقدم ذلك في موضعه.

(١) إلى من أحبه : يعني أبا العشائر — يقول : هو منتسب إلى من أحبه، ولكنه مع ذلك أراد قتلي، فللنبل حوالي من يديه صوت يحف بي.

(٢) من الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل، متعلقة بحفيف. يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني اليه، وما كان شوقي اليه في هذه الحال ذلة ومهانة، ولكن كرم طبع، لأن الكريم طبعه الألفة.

(٣) على : بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين : متعلق بودادي ؛ وضعيف : خبر كل. يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين — أبي العشائر — هو وداد ضعيف.

فَإِنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا ... فَأَفْعَالُهُ اللاَّئِي سَرَرْنَ أُلُوفُ (١)
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ... وَلَكِنَّ بَعْضَ المَالِكِينَ عَنِيفُ (٢)

وقال فى عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعْــدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا ... أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا (٣)
لَا يَرْحَمُ اللهُ أَرْؤُسًا لَهُمُ ... أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا (٤)
مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَــيْرَ قِلَّتِهِمْ ... وَأَنْ تَكُونَ المِئُونَ آلَافَا (٥)

---

(١) واحدا : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعفى الكثير ولا يغلبه . يقول : إن ساءنى بفعل واحد فقد سرنى بأفعال كثيرة؛ وفيه نظر إلى قول الآخر :

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ ... بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَائِيَا

(٢) نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرنى بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بى ، كما قال الآخر : * أريد حباءَهُ ويريد قتلى *

وقوله نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أفديه بنفسى .

(٣) يعنى بالغادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيوفا أجدع — أقطع — بها أنوفهم ، يعنى أذلهم بها وأنكل.

(٤) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والاقحاف : جمع قحف — بكسر القاف — العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لا رحم الله رؤسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها ، فضمير أطرن: للسيوف .

(٥) يقول : ما ينقم السيف — أى ما ينكر ويعيب ويكره — إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً؛ وأن تكون المؤن منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . فقوله وأن تكون : أى وأن لا تكون ، فحذف « لا » وهو يريدها .

يَاشَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُــهُ بِدَمٍ ... وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا (١)

قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِي ... مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا (٢)

وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ ... وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا (٣)

لا يُذْكَرُ الخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا ... تُتْبِعُكَ المُقْلَتَانِ تَوْكَافَا (٤)

إِذَا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَدْرَتِهِ ... أَوْرَدْتُهُ الغَايَةَ الَّتِي خَافَا (٥)

---

(١) فجعه : أوجعه بشيء يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تخمع في مشيها — أي تمشي مشي الأعرج . يقول — لمن قتل من عبيده — : ياشر لحم أسلت دمه ففجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها.

(٢) كان هذا العبد سأل عائفاً عن حال المتنبي فذكر له من حاله مازين له الغدر به . وقوله سؤالك بي : أي عني ، كما قال تعالى « فاسأل به خبيراً » . وزجر الطير وعيافتها : ضرب من التكهن كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فان نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول ـ للعبد الذي قتله ـ لقد كنت في غنى عن أعمال الزجر والعيافة في إقدامك علي وتعرضك للغدر بي .

(٣) يقول : وعدت هذا السيف — يعني سيفه — أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسبقي بالغدر بي وأخذ خيلي خفت إن تركت قتلك إخلاف ماوعدت السيف : أي أن لا أفي بوعدي إياه . فذا: اسم إشارة ؛ ومن: مفعول ثان لوعدت ؛ وتعرضه: أي تعرض له ؛ والإخلاف: ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

(٤) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء ـ جريانه — يقول : لم يكن فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين .

(٥) يقول: إذا راعني ـ خوفني ـ امرؤ بغدرته كافأته بالقتل وهو غاية مايخافه المرء .

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية :

أَيَدْرِى الرَّبْعُ أَىَّ دَمٍ أَرَاقَا ... وَأَىَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا (١)

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ ... تَلَاقَى فى جُسُومٍ مَا تَلَاقَى (٢)

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلًّا ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمِ وَسَاقَا (٣)

---

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه إلى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربع — ربع الأحبة — مافعل من إراقة دمى وما هاج فى قلبى من الشوق ؛ وذلك أن وقوفه بالربع هيج شوقه وجدد له ذكر الأحبة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم شاق على أراق ، لأن الربع إذا لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتدأ بالأهم ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حمله على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تتلاقى ، فحذف إحدى التاءين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع — يعنى الأحبة — قلوب تتلاقى فى جسوم ماتتلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، فكأننا نتلاقى بالقلوب وإن لم نتلاق بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إنّا على البعادِ والتّفرُّقِ ... لنلتقى بالذكرِ إن لم نلتقِ

(٣) عفته الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربع منزلا ،

فَلَيتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كَانَ عَدْلاً ... فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا (١)

نَظَرْتُ إِلَيْهِمِ وَالْعَيْنُ شَكْرَى ... فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا (٢)

وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ ... وَأَعْطَانِي مِنَ السُّقْمِ الْمُحَاقَا (٣)

فلا ذنب للريح فى دروس منازله ، إنما عفاه الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربع . وهذا كما قال أبو الشيص :

مَا فرّقَ الألافَ بَعْـ ... ـدَ الله إلا الإبلُ

والناسُ يَلحَوْنَ غرَا ... بَ البَينِ لمّا جهلوا

وَمَا إذَا صاحَ غرَا ... بٌ فِي الدّيَارِ احتملوا

ولا عَلَى ظَهرِ غرَا ... بِ البَينِ تُطْوَى الرّحلُ

ومَا غرابُ البينِ الا ... نَاقــةٌ أو جَمَلُ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق فجار عليه. يشير إلى أنه أعشق العشاق، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فَيارَبّ قد حَمّلتِنِي فوقَ طَاقتِي ... مِنَ الْحُبِّ حَمْلا قاتِلِي فوق مَا بِيا

وإلا فساوِ الحبَّ يَارَبِّ بَيننَـا ... يكونُ سواءً لاعليَّ وَلا ليَـا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ والماق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجوانب ماق بسيل الدمع منه، يشير إلى غلبة البكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق — بضم الميم ، وكسرها — نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام: الكمال ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول: لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم الكمال فى الحسن والاشراق ، وأنا اسقمى كأنه أعطانى المحاق

وَبَيْنَ الفَرْعِ وَالقَدَمَيْنِ نُورٌ   يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا (١)
وَطَرْفٌ إنْ سَقَى العُشَّاقَ كَأْساً   بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا (٢)
وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فِيهِ   كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا (٣)

يعنى : أن الحبيب كان فى الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا فى الدقة والنحول كالقمر فى المحاق ، وقد أخذ هذا القائل :

يَامَنْ يحاكِي البَدْرَ عِنْدَ تمامِهِ   إرْحَمْ فَتًى يَحْكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(١) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ماتقاد به الدابة . والنياق : جمع ناقة . وقوله بين الفرعين والقدمين : ظرف لنور ومايليه فى البيتين التاليين ، والضمير فى أزمتها : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر فى الرتبة . لما جعله بدراً والبدر لايخص النور بعضه وصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهتدى بنوره ، فكأنه يقودها بلا أزمة؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التى بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم ثنى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى العتاهية :

وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ   نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(٢) دهاقا : ملأى . يقول : وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأساً ناقصة سقانيها مترعة ، يعنى أنه أعشق العشاق له ، وفيه نظر إلى قول القائل :

ومَا لَبِسَ العُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الهوى   ولاأخلقوا إلاالثِّيَابَ التى أُبْلِي
ولاشَرِبُوا كأساً مِنَ الحبِّ حُلْوَةً   ولا مُرَّةً إلا شَرَابُهُمُ فَضْلِي

(٣) يقول : إن الأبصار تثبت فى خصره استحسانا له وتكثر عليه من الجوانب حتى تصير كالنطاق عليه . وفى هذا المعنى يقول بشار :

سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَيْفِي ... وَرُمْحِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا (١)

تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْدًا ... وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا (٢)

فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ ... لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ ائْتِلَاقَا (٣)

وَمُكلَّلاتٍ بِالعُيُو ... نِ طَرَقْنَنِي وَرَجَعْنَ مُلسا

[يريد بشار أنهن ـ لحسنهن ـ تعلو الأبصار إلى وجوههن ورؤسهن حتى كأن لهن إكليلا من العيون . وملسا : أى لم يعلق بهن أذى ولا ريبة] . ويقول أبو العتاهية :

أَحاطَتْ عُيونُ العاشقين بِخَصْرِه ... فَهُنَّ لهُ دُونَ النّطاق نِطاق

(١) الهملعة : الناقة السريعة ؛ والدفاق : المندفقة فى السير . يخاطب محبوبته يقول : سلى عن حال سيرى هذه الأشياء تخبرك بإقدامى وتجلدى للأهوال؛ يعنى أنه كان وحده لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة .

(٢) العيس : الإبل البيض ؛ ونكبه : عدل عنه؛ والسماوة : فلاة بين الشام والعراق . يقول : خلفنا ـ فى قصدنا إلى الممدوح ـ نجدا وراءنا وملنا عن طريق السماوة وطريق العراق ومنتوانا حلب .

(٣) ترى : أى العيس ؛ ودجى الليل : أظلم ؛ والائتلاق : البريق والالتماع ؛ يقال : ائتلق البرق وتألق : إذا لمع . يقول : لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة فى ظلمة الليل يسطع لها فتستصبح به ويقتادها ، وهذا من قول سُحَيم :

إذا نحنُ أدلجْنا وأنتَ أمامَنا ... كفى لمطايانا بوجهكَ هاديا

ومثله قول أبى الطمحان القينى :

أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ   إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا (١)
أَبَاحَكِ أَيُّهَا الْوَحْشُ الأَعَادِي   فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا (٢)

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ   دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهُ (١)

(١) انتشاقا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس فى طريقها إلى سيف الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

فَهَدَتْ عُيونَهُمُ له أضواؤُهُ   وَهَدتْ أُنوفَهم له أرواحه

ويقول أيضاً :

إنْ جاء مَنْ يَبغِى لنا مَنزِلاً   فَقُلْ له يمشى وَيَستَنشِقُ

ولعلهم يريدون المعنى المجازى فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون بائتلاقه مجده ومكارمه ؛ فعبروا عن المعنوى بالحسى مبالغة فى ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت به اليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رفقة ، وهى الجماعة فى السفر . يقول : — للوحش — إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصدين الرفاق التى تسير اليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه

---

(١) الجزع - بفتح الجيم ، وكسرها - ضرب من الخرز اليمانى فيه بياض وسواد تشبه به العيون . وقبل البيت :

وإنى من القوم الذين هم هم   إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب   بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وبعده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوَّد   تسير المنايا حيث سارت ركائبه

إلى أبيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى

وَلَوْ تَبِعَتْ مَاطَرَحَتْ قَنَاهُ   لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا (١)
وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ   مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا (٢)
إِمَامٌ لِلْأَئِمَّـــةِ مِنْ قُرَيْشٍ   إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا (٣)
يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَاماً   وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا (٤)

بمن يخالفه وشدة استظهاره على من يعارضه ويخفر ذمته ، قال الواحدى : قوله فلم تتعرضين له الرفاقا تقديره فلم تتعرضين الرفاق له : أى رفاقه .

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ماهزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحاً . يقول : لو تتبعت أيها الوحش ماطرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا ولكان لك فيه غناء عن التعرض لنا ، لكثرته .

(٢) يقول : نحن آمنون فى طريقنا اليه حتى لو سرنا فى النيران ماقدرت على إحراقنا . يريد أن الخوف من سطوته شامل ، فالسالكون اليه فى أمن وطمأنينة . ومثله لأبى تمام :

فَتًى لَوَ ان النار دونك خاضها   بالسيف إلا أن تكونَ النارا

يريد جهنم ، ولأبى حية النميرى :

لو أن جَمْرَ النار دون بلادهم   لعلمتَ أنى جَمْرَها مُتَخَوِّضُ

(٣) من قريش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء — يعنى خلفاء بنى العباس — إذا شاقهم عدو — أى تمرد عليهم ـ يحذرون شقاقه ـ خلافه وعصيانه ـ تقدمهم اليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لعلو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما فى إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة فى البيت التالى .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذى يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت

فَلَا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَامًا إِذَا فَهِقَ المَكَرُّ دَمًا وَضَاقَا (١)
فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ المُهَجَ العَوَالِي وَحَمَّلَ هَمَّهُ الخَيْلَ العِتَاقَا (٢)
إِذَا أُنْعِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعُدُوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا (٣)
وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا (٤)

حرب فهو ساقها الذى تعتمد عليه .

(١) الفهق : الامتلاء ، ومنه المتفيهق الذى يفهق فمه بالكلام . والمكر : مجال الحرب . يقول : لاتنكر تبسمه فى أهوال ساعة الحرب – وهو عند ضيق المكر بازدحام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعنى أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والخيل ، ثم بين علة ترك الانكار لتبسمه فى البيت التالى وفى مثل هذا يقول البحترى :

ضحوكٌ إلى الأبطال وَهْوَ يَرُوعُهُمْ وللسيفِ حَدٌّ حينَ يَسْطُو وَرَوْنَقُ

(٢) المهج : الأرواح ، والعوالى : الرماح ؛ وهمه: همته ؛ والعتاق : الخيل الكرام . يقول : لاتنكر ابتسامه فى هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه فى الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى فى البيت التالى :

(٣) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول: إذا أنعلت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بحوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبى الأخزر الحمانى :

لم تشكُ خيلُهُمُ الوَجَى من رَوْحَةٍ إلا انتعَلْنَ مِنَ الدماءِ قَتيلاَ

(٤) نقع : ارتفع صوته وبعد . والصريخ : المستغيث . وضمير نصبن للخيل والمؤللة : المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوَاقَا (١)

مُلَاقِيَةً نَوَاصِيهَا الْمَنَايَا مُعَاوَدَةً فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا (٢)

يَخْرُجْنَ مِن مُسْبطِرِّ النَّقْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامِ

يقول: إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها المرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها، وهذا معنى قوله إلى مكان: أى إلى مكان سوى مكانهن.

(١) الضمير فى بينهما للصريخ والخيل. والفواق - بضم الفاء، وفتحها - مقدار ما بين الحلبتين، ويضرب مثلا فى السرعة. والفواق أيضاً: الشهقة الغالبة للإنسان. يقول: إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعان من غير بطء فى إجابته فتجعل الطعن جوابا، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة أو فواق إنسان: أى لا لبث بينهما. ولله سلامة ابن جندل حين يقول:

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ (١)

(٢) النواصى: جمع ناصية: شعر مقدم الرأس؛ وملاقية ومعاودة: حالان من الخيل؛ والعامل فيهما: المصدر - من قوله: وكان الطعن. يقول: إن خيله تلقى نواصيها المنايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فوارسها معانقة الأبطال فى الحرب، قالوا: والمعانقة آخر حالة فى الحرب؛ وأولها الملاقاة من بعيد، ثم المراماة بالسهام، ثم المنازلة بالرماح، ثم المنازلة إلى الأقران، ثم المعانقة

---

(١) يقول: إذا استغاث بنا مستغيث كان جوابه الجد فى نصرته، ويقال قرع لهذا الأمر ظنبوبه: إذا جد فيه؛ والظنبوب: طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب.

تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوقَ الْهَوَادِي ... وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا (١)

تَمِيلُ كَأَنَّ فِي الأَبْطَالِ خَمْراً ... عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحاً وَاغْتِبَاقَا (٢)

تَعَجَّبَتِ الْمُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا ... فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا (٣)

أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا ... فَلَمَّا فَاقَتِ الأَمْطَارَ فَاقَا (٤)

---

(١) أراد - بالهوادى : أعناق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبيت رماحه معروضة فوق أعناق خيله فى سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذى تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومى

وإعمالى اليك بها المطايا ... وقد ضرب العجاجُ بها رواقا

(٢) العلل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب فى الصباح ؛ والاغتباق : الشرب فى العشى . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر عُلت بها صباحاً وغبوقا ، فهى لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو للينها ، وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لاتفتر خيله جائلة غدوا وعشياً وفى مثل هذا يقول البحترى :

يتعثرن فى النحور وفى الأو ... جه سكراً لما شربن الدماء

(٣) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومتانته ، ولما جاد بالمال لم يفق من سكر الجود ولم يصح من أريحيته ، وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى إذ يقول :

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم ... فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرما

(٤) يقول : أقام الشعر ببابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار فى كثرتها فاق الشعر الأمطار كذلك ؛ يعنى كثرت عطاياه وكثرت الأشعار فى مدحه

وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْــهُ ... وَوَفَّيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا (١)

وَحَاشَا لِارْتِيَاحِكَ أَنْ يُبَارَى ... وَلِلْكَرَمِ الَّذِى لَكَ أَنْ يُبَاقَى (٢)

وَلَكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْماً ... تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا (٣)

فَتًى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ ... وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوَثَاقَا (٤)

---

(١) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية المغنية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاه فرساً وجارية . يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحرة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرة بالمهر .

(٢) حاشا : كلمة للاستثناء والتبعيد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز للبذل ويبارى : يجارى . ويباقى : يغالب من البقاء . وقد استدرك فى هذا البيت ماذكره فى البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقى من كرم غيرك ، يعنى أن جوده و كرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيهما به .

(٣) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : يد أنى قلت ذلك — أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر — ممازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٤) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفعاً عن ذلك ولكن عفوه يسلب

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْواً وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ اسْتِرَاقَا (١)
فَأَبْلِغْ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لَحَاقَا (٢)
وَهَلْ تُغْنِي الرَّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبًى رِقَاقَا (٣)
إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ وَذَاقَا (٤)
فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إِلَّا خِدَاعاً وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقَا

أسراه أغلالهم وقيودهم : أى يعفو عنهم ويطلقهم ، والأصل فى هذا المعنى قول عنترة :

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوقيعةَ أنَّنى أغشَى الوَغى وأعِفُّ عند المغنم

(١) يقول : إنك لم تحسن إلىّ غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلىّ . ولم أظفر باحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكنى كنت أهلا لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوننى عليك أنهم لا يلحقوننى ولا يبلغون شأوى لأن البرق إذا حاول اللحاق بى كبا على وجهه — عثر وسقط — وإذا لم يلحقنى البرق فكيف يلحقوننى هم ؟ قال الواحدى : وتحميله الممدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله — حاسدىّ عليك .

(٣) الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول: إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفينى منهم الرسالة ، إنما يشفينى منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول : إنى أعرف المجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فأنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والآكل أعرف بالمأكول من الذائق .

يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ وَعَمَّا لَمْ تُلِقْهُ مَا أَلَاقَا (١)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلَّاقِ قُلْنَا أَعَمْدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا (٢)
فَلَا حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرْجًا وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا (٣)

وقال يمدحه ويذكر الفداء الذى طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه:

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الفُؤَادُ وَمَا لَقِي وَلِلْحُبِّ مَالَمْ يَبْقَ مِنِّى وَمَا بَقِى (٤)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ (٥)

---

(١) ألاق الشيء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفاكَ كَفٌّ ما تُليقُ درهمَا جُوداً وأُخرى تعطِ بالسيف الدمَا

يقول : كل بحر لايبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم تمسكه وجدت به .

(٢) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق مايشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقا ـ اتفاقا ـ أو عن عمد ، لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

(٣) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحترى :

حُطَّتْ سروج أبى سَعِيدٍ وَاغتدَتْ أسيافه دون العدوّ تشام

(٤) يقول . إن عينيك هما دائى فكل مالقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنتاه من السحر . وإن الحب هو الذى أذاب جسمى وأكل لحمى فالذى لم يبق منى ـ وهو الذاهب ـ وما بقى ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام ـ فى قوله لعينيك ـ للتعليل : ومن قوله للحب : للملك ويروى بدل للحب : للشوق .

(٥) يذكر أنه عزهاة يعزف عن النساء ولا يميل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عينى حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر إلى قول صريع الغوانى :

وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقْرِقِ (١)
وَأَحْلَى الهَوَى مَا شَكَّ فِي الوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الهَجْرِ فَهُوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (٢)

وقد كانَ لا يصبو ولكنَ عينَهُ رأت منظراً يُضنى القلوبَ فرانها

وقوله ولكن من يبصر : أراد ولكنه ـ بضمير الشأن ـ فحذفه وجزم بعده على الشرط .

(١) يقول : إنه يبكي في كل حال رضي عنه المحبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو بعد عنه ، لأنه في حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد . والمترقرق الذي يجول في العين ولا ينحدر . وعبارة العكبري : ما بين ما أرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما أتمناه من اقترابه وأخافه من بُعده مجال للدموع التي تترقرق في المقل كلفا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسي حين يقول :

وما في الأرض أشقى من مُحِبٍّ وإن وَجد الهوى حُلوَ المذاقِ
تَراهُ باكياً في كلِّ وقتٍ مَخافَةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ
فيَبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويَبكي أن دَنوا خوفَ الفراقِ
فتسخَنُ عينهُ عندَ التنائي وتَسخَنُ عينهُ عندَ التلاقي

(٢) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه شاكا بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا تيقن الوصل فانه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تعبٌ يَطولُ معَ الرَّجاءِ لِذي الهوَى خيرٌ لهُ مِن راحةٍ معَ ياسِ

وفي هذا المعنى يقول قيس ابن الرقيات :

تركتِني واقفاً على الشكِّ لمْ أصدُرْ بيأسٍ منكم ولم أرِدِ

وَغَضْبَى مِنَ الْإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَا ... شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ (١)
وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ ... سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِي (٢)

ويقول ابن أبي زرعة الدمشقي :

فكأنى بَيْنَ الوصالِ وبَيْنَ الـهجرِ ممن مُقامُهُ الأعرافُ
فى محل بَيْنَ الجِنانِ وبينَ النـارِ أرجو طَوْرًا وطَوراً أخافُ

قال العكبرى : وأصل البيت من قول الحكيم : الرجاء تمنٍّ والشك توقف، وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرجيه ولقد أحسن أبو حفص الشطرنجى فى قوله :

وأحسنُ أيامِ الهوى يومُكَ الذِي ... تُهَدَّدُ بالتَّحريشِ فيهِ وَبالعَتْبِ
إذا لم يكُن فى الحبِّ سُخطٌ ولا رضًى ... فأينَ حلاواتُ الرَّسائلِ والكُتْبِ

(١) وغضبى : أى ورب غضبى . وريق الشباب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله . جعلها غضبى لفرط دلالها ، فهى ترى من نفسها الغضب دلالا على عاشقها ، وجعلها سكرى من الصبا والحداثة فهى فى زهوة مختالة ، ثم جعل شبابه شفيعاً إليها ، كما قال محمود الوراق :

كَفاكَ بالشَّيبِ ذَنباً عِندَ غانيةٍ ... وَبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجلُ

وقال البحترى :

أأخيبُ عِندَكِ والصبالى شافعٌ ... وأُرَدُّ دونَكِ والشبابُ رَسولى

وقال أيضاً :

وإذا توسَّلَ بالشبابِ أخو الهوَى ... ألفاهُ نِعمَ وسيلةَ المتوسِّلِ

(٢) وأشنب : عطف على غضبى ؛ والأشنب : الأبيض الأسنان الحسنها . والمعسول : الحلو الذى كأن فيه عسلا . والثنيات الأسنان التى فى مقدم

وَأَجْيَادِ غِزْلَانٍ كَجِيدِكِ زُرْنَنِي   فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ (١)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا   عَفَافِي وَيُرْضِي الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي (٢)

الفم ، والمفرق موضع افتراق الشعر من الرأس . يقول : ورب حبيب حسن الأسنان حلو رضاب الثنايا واضح الوجه - مشرقه - تعففت عنه وتصونت بستر الفم منه عفة وتورعا كيلا يقبلني فقبل رأسي إجلالا لي وميلا إلي . يريد أنه أحب وصله وتعفف هو عما لا يليق به .

(١) الأجياد : جمع جيد ، العنق . والعاطل : الذي لا حلي عليه ، والمطوق الذي قد تطوق بالحلي . يصف نفسه بالعفة والنزاهة ، وأنه قد زاره من الحسان عاطلات وحاليات ، فلم يعرف ذات الحلي ممن لا حلي عليها .

(٢) الحب - بكسر الحاء - المحبوب ؛ وعفافي مفعول مطلق . وقوله والخيل تلتقي : حال . يقول : ليس كل عاشق عفيفاً مثلي وقت الخلوة بالمحبوب ومع أني عفيف أرضي المحبوب في الوغى - الحرب - بشجاعتي ؛ قال ابن جني : سألته - المتنبي - عن معناه وقت القراءة عليه ، فقال : المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقداماً في الحرب فترضى حينئذ عنه . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ   بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا (١)

وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

أَخَذْتُ بِطَرْفِ الْعَيْنِ مِمَّا تُصِيبُهُ   وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمَخَلْخِلِ

ويقول الآخر :

لِي مَا حَوَاهُ قِنَاعُهَا مِنْ فَوْقِ مَا   حَوَتِ الْجُيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
لَمْ تُلْفِ مُعْتَنِقَيْنِ لَيْسَ عَلَيْهِمَا   حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهَوَى وَسِوَاهَا

وقال العكبري : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع محبة

---

(١) من معلقته . يقول : يعلفن خيلنا ويقلن لنا لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا .

سَقَى اللهُ أيَّامَ الصِّبَا مَا يَسُرُّهَا ... وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعَتَّقِ (١)
إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ ... تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)
وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ... بَعَثْنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ (٣)

ائتلاف الأرواح إنما تمنع محبة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم.

(١) مايسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلى : الخمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام الصبا . يقول : سقاها الله مايورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة ؛ وهذا على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه اشتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا الثوب - الدهر - باق لا يبلى - أما لابسه - وهو الإنسان — فانه يبلى ويفنى . ومن ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع - أى أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبداً جذع لا يسن . قال الأخطل :

يا بِشْرُ لو لمْ أكنْ منكم بمنزلةٍ ... ألقى علىّ يديْه الأزلم الجذعُ

وفى مثل هذا المعنى يقول ابن دريد فى مقصورته :

إن الجديدَين إذا ما استوليا ... على جديد أدنياه للبِلَى

(٣) الكاف - فى قوله كالألحاظ - إسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال ؛ وبكل القتل : أى بقتل فظيع . يقول : لم أر مثل الالحاظ ولا مثل فعلها يوم رحيل الذين أحبهم ! بعثت لنا القتل ؛ أى قتلتنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ، والأصل فى هذا قول النابغة :

فى إثْرِ غانيةٍ رَمَتْكَ سِهامُها ... فأصابَ قلبَكَ غيرَ أنْ لمْ تُقْصِدِ
[رماه فأقصده : قتله فى المكان]

أَدِرْنَ عُيُوناً حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ (١)
عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبُكَا وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ (٢)

---

(١) الضمير – فى أدرن – للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حَدَقة – سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب مايكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زئبق . وهو معروف أن الزئبق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عقعقا ـ طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلِّبُ عَينَينِ فى رَأْسِه كأنهما قَطرَتا زِئبَقِ

(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن الدمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نَظَرتُ كأنى مِن وَرَاء زُجاجةٍ إلى الدارِ مِن فَرطِ الصَبابَةِ أنظرُ

وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحترى :

لا تَعذُلَنِّى فى مَسِيرِ ى يَومَ سِرتُ ولم أُلاقِكْ
إنى خَشِيتُ مَوَاقِفاً لِلبَينِ تَسفَحُ غَربَ مَاقِكْ
وَذَكَرتُ مَايَجِدُ المُوَدْ دِعُ عِندَ ضَمِّكَ واعتِنَاقِكْ
فَتَرَكتُ ذَاكَ تَعَمُّداً وَخَرَجتُ أهرُبُ مِن فِرَاقِكْ

ومن هذا قول الآخر :

يَومَ الفِرَاقِ شَكَرتُ تَركَ وَدَاعِكُمْ والعذرُ فِيهِ مُوَسَّعٌ تَوسِيعا
أوَهَل رَأيتَ وهَل سَمِعتَ بِوَاحِدٍ يَمشى يُوَدِّعُ رُوحَهُ تَودِيعاً

وقول الآخر :

صَدَّنى عن حَلاوةِ التَّشييعِ حَذَرى مِن مَرَارَةِ التَّودِيعِ

نُوَدِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ ... قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ (١)

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا ... إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ (٢)

هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا ... تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي (٣)

لمْ يَقمْ أُنس ذَا بوَحْشةِ هذا ... فرأيت الصّوابَ تَركَ الجميع

(١) القنا : الرماح . وأبو الهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة من الجيش . يقول : إن البين ـ البعد ـ يفتك بنَا فتكَ رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه . وهذا من حسن التخلص وهو بديع

(٢) قواض : قواتل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرنق ـ بالدال والذال ـ العنكبوت وإذا جمعته حذفت آخره فقلت خدارن ؛ وفى الصحاح : بالدال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة للزفيان السعدى :

وَمَنهلٍ طامٍ عليه الغَلفَقُ ... يُنير أو يُسْدي بِه الخدَرنق (١)

يقول : هى — أى رماح سيف الدولة ـ قواتل من يقصدها نوافذ فى دروع الأبطال تخرقها اليهم ، كأنها تخرق نسج العنكبوت .

(٣) هواد ـ من الهداية ـ يقال هداه فهدَى ، والأملاك الملوك : وتخير بحذف إحدى التاءين أى تتخير ، والكماة جمع كمى : البطل المستتر فى سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هى بنفسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تتخير الأبطال ، فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِندَ بايَا والمنايا كأنها ... تُهدَى إلى الرُّوحِ الخفىِّ فتهتدى (٢)

---

(١) الغلفق الطحلب: الخضرة على رأس الماء يقال ينبت فى الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندبايا : موضع بأذربيجان بالبذ من نواحى بابك الخرمى . قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ ... وَتَفْرِى إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ (١)
يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ ... وَيَرْكُزُهَا بَيْنَ الفُرَاتِ وَجِلَّقِ (٢)
وَيُرْجِعُهَا حُمْرًا كَأَنَّ صَحِيحَهَا ... يُبَكِّى دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ (٣)
فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ ... شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ (٤)

---

(١) الجوشن : الدرع . يقول: لاتحصنهم منها الدروع فانهاتقدها ـ تقطعها ـ ولا الأسوار والخنادق فانهاتفريها ـ تقطعها ـ وتأتى عليها وذلك لشدة طعن فرسان الممدوح وشجاعتهم .

(٢) اللقان : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الحجاج وجلق : دمشق أو غوطتها . قال الواحدى : وكان أوقع ببنى البريدى بواسط يريد كثرة غاراته وفشوها فى البلاد من العراق إلى أقاصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم مابين الفرات إلى أقاصى الشام .

(٣) المتدقق : المتكسر . يقول : يرد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحها تبكى على ماتكسر منها من شدة الطعن رثاء لهاورحمة ويُبكِّى كيبكى ، والتشديد للمبالغة .

(٤) فلاتبلغاه أى الممدوح ، يقول — مخاطباً صاحبيه على عادة العرب ـ لاتبلغاه ما أقول فانه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق اليها وحن ، والبيت منقول من قول كثير :

فلاَ تذكراه الحاجبيةَ إنه ... متى تذكراه الحاجبية يحزنِ

رَمَى الله منه بابكاً وولاته ... بقاصمة الأصلاب فى كل مَشهد
فتىً يوم بذ الخرمية لم يكن ... بهيابة نكسٍ ولا بمعرد
قفا سندبايا والرماح مُشيحة ... تهدى إلى الروح الخفى فتهتدى

ضَرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ　　لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقَّقِ (١)

كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً　　كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكِ ارْفُقِ (٢)

---

(١) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذى شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن مخرج . يقول : إنه شجاع فى الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبرى : وقد نقل هذا المعنى فى الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فباعِدْ يَزيدا مِن قِراعِ كتيبةٍ　　وأدنِ يزيدا مِن كلامٍ مشقَّقِ

(٢) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ماهو فى غنى عنه ، إذ أن قطر الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل الممدوح يتكلف مالاحاجة به اليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان الممدوح مطبوعا على الجود لم يكن فى استطاعته العدول عنه ، وإذن يكون عاذله عليه ، كمن يقول للفلك ارفق فى حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ، ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كعاذله من قال . وذهب ابن جنى إلى أن المعنى : كما أن الغيث لا تؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لا يؤثر فى ماله وجوده ، قال العروضى – ناقداً – : وهذا على خلاف العادة فى المدح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة اليه . قال تعالى : « ويُؤْثِرونَ على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصةٌ » وقال الشاعر :

ولم يَكُ أكثرَ الفتيانِ مالا　　ولكن كانَ أرحَبَهم ذِراعا

والذى فسره — أى ابن جنى — مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد — أى المتنبى — : من عادته وطبعه الجود كعادة الغيث أن يقطر أى يمطر — فسائله مستغن عن تكليفه ماهو فى طبعه .

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فى كُلِّ مِلَّةٍ ... وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ (١)

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى ... فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِى الْمُتَمَلِّقِ (٢)

وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا ... لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ (٣)

وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا ... قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ (٤)

وَقَدْ سَارَ فى مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ ... فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (٥)

---

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعاً لما نالوا من برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والمتملق : المتودد ، أو الذى يخضع ويلين كلامه — مأخوذ من الصخرة الملقة ، وهى الملساء — يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تملق إليك تملق السائل؛ وفى هذا نظر إلى قول القائل :

ولو لم تُناهِضْهُ وأبصرَ عُظمَ ما ... تُنيلُ من الجَدْوَى لجاءك سائلا

(٣) الرماح السمهرية : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح؛ وأدرب : من الدربة ، وهى العادة ؛ يقال درب بالشىء : اعتاده وضرى به . والحاذق : الخبير بالشىء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صغارا لا اختيارا لمن هو أحذق بالطعان وأجرى عادة به منه — يعنى سيف الدولة — يعنى ترك الحرب صاغرا واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعلمه أنها لا تبعد على خيلك السبق فإنك تدركه بها متى أردت . وقوله بعيد : يروى بالجر ، على أنه نعت سببى لأرض . ومرامها — أى مطلبها . - فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .

(٥) المسرى : الموضع الذى يسار فيه ليلا : والهام : الرؤس . يذكر كثرة قتلاه

فلمّا دنا أخفى عليه مكانَهُ شعاعُ الحديدِ البارقِ المتألّقِ (١)
وأقبلَ يمشي في البِساطِ فما درى إلى البحرِ يمشي أم إلى البدرِ يرتقي (٢)
ولم يثنِكَ الأعداءُ عن مُهجاتِهم بمِثلِ خضوعٍ في كلامٍ مُنمّقِ (٣)

في أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك في طريقك فما سار إلا فوق رؤس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

بكلِّ مُنعرَجٍ مِن فارسٍ بَطَلٍ جناجنٌ فِلَقٌ فيها قنا قِصَدُ (١)

وقول الأول :

بكل قرارةٍ وبكلِ نجد بنانُ فتًى وجُمجُمَةٌ فَليقُ

(١) يقول : لما قرب الرسولُ أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حواليه . وقال العكبرى : الضمير في « مكانه » للرسول : أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد في عسكر سيف الدولة .

(٢) في البساط : يروى في السماط ؛ والسماط : صف يقومون بين يدى الملك . وقوله إلى البحر : أي إلى البحر ، فحذف همزة الاستفهام . ويرتقى : يصعد . يقول : وأقبل الرسول يمشى إليك بين السماطين فغشيه من هيبتك مالا يعرض مثله إلا لمن قصد إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، اعظم ماعاين .

(٣) لم يثنك : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونمق الكلام : زينه : يقول : لم يجد الأعداء شيئا يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك في كتاب يكتبونه إليك لأنك لاتدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبي تمام :

فخاطَلَهُ الإقرارُ بالذنب رُوحه وجُثمانَه إذ لم تحُطْه قبائله

---

(١) الجناجن : عظام الصدر ؛ ويروى : جماجم :

وَكُنتَ إذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هٰذِهِ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِى قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ (١)
فَإِنْ تُعْطِهِ مِنكَ الأَمَانَ فَسَائِلٌ وَإِنْ تُعْطِهِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلِقِ (٢)
وَهَلْ تَرَكَ البِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ (٣)

وقوله أيضا :

عدا خائفا يستنجد الكُتْبَ مُذعِنا عليك فلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ ولا كتب

(١) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدمستق: القائد من قوّاد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكاتبته كتبت إليه بما تحدثه سيوفك فى قذال الدمستق من الجراحات : أى أن هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لأنه يتبين بها كيفية الأمر كما تتبين بالكتاب — وكان الدمستق قد جرح فى بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار المتنبى إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما أظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما ابدعه :

كتبتَ أوجُهَهُمْ مَشقاً ونمنمةً ضرباً وطعناً يقاتُ الهامَ والصُّلُفا
كِتابةً لا تنى مقروءةً أبداً وما خططتَ بها لاماً ولا ألِفا
فإن ألطُّوا بإنكار فقد تُركتْ وُجوهُهم بالذى أوليتَهم صُحفا

[المشق: مد الحروف ؛ والنمنمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق ؛ وألطوا بإنكار — بالطاء والظاء — لازموه ولم يفارقوه] .

(٢) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خليق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته مايطلب من الأمان فهو سائل يسألك ، وأنت لاتخيب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حربى مباح الدم .

(٣) البيض :السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقاً يعتق .

لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ القَطَا شَفَرَاتِهَا ... وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ (١)
بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً ... أَثَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ (٢)
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ ... أَرَاهُ غُبَارِى ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ (٣)

---

(١) الضمير فى شفراتها: للبيض الصوارم؛ وشفرة السيف: حده؛ والزردق: الصف من الناس — تعريب رسته. يقول: إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حتى أفنتهم. وفيه نظر إلى قول بعضهم:

لقد وَرَدُوا وِرْدَ القطا بِنُفُوسِهم ... رِضَا الله مَصفُوفَ القنا المُتَشاجِرِ

(٢) وصفه بالنور لبعد صيته وشهرة اسمه فى الناس كشهرة النور المستضاء به. يقول: هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيتى اشتهار النور فى المشرق والمغرب.

(٣) الأحمق: الجاهل الذى لا عقل له. يقول: إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من أحمق من الشعراء أمره باللحاق بى، فهو بحمقه يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر، والغبار واللحاق استعارة من سباق الخيل.

وهذا ينظر إلى قول أبى تمام:

ياطالبًا مَسعاتَهم لِينالَها ... هيهاتَ مِنكَ غُبارُ ذاكَ الموكِبِ

قيل إن الخالديين — أبا بكر وأخاه عثمان — قالا لسيف الدولة: إنك لتغالى فى شعر المتنبي، اقترح علينا ماشئت من قصائده حتى نعمل أجود منها، فدافعهما زمانا، ثم كررا عليه، فأعطاهما هذه القصيدة، فلما أخذاها قال عثمان لأخيه أبى بكر: ماهذه من قصائده الطنانات فلأى شىء أعطاناها؟ ثم فكرا، فقال أحدهما لصاحبه: والله ما أراد إلا هذا البيت، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملا شيئا.

وَمَا كَمْدُ الْحُسَّادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ (١)

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الأَمِيرُ بِرَأْيِهِ ... وَيُغْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ (٢)

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ (٣)

---

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حسادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا الى لم يطيقوا مزاحمتى فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق فى تياره . وقال الخطيب التبريزى . المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ، ولا التعجيز لهم قصدت فيما خلدته ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ، ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَإِنَّا وَمَا يُهْدَى بِهِ مِنْ هِجَائِنَا ... لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُرْمَ فِى الْبَحْرِ يَغْرَقِ

(٢) الممخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والأباطيل : مأخوذة من المخراق ، وهو شيء يلعب به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بِأَيْدِى لَاعِبِينَا

يقول : يمتحن الناس بعقله ليعرف ما عندهم ثم يغضى مع علمه بذى العبث منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى ببصرك إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها. يقول : إن إغضاءه عن هؤلاء العابثين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبارة العكبرى : يريد هو يغضى للممخرق إغضاء تجاوز وحلم لا إغضاء غيظ وسوء . وغض العين لطرفها وكفها للحظها لا ينفع المموه المغالط والمقصر الممخرق إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر اليه . وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى :

فيا أيها المطلوب جاوره تمتنع ... ويا أيها المحروم يممه ترزق (١)
ويا أجبن الفرسان صاحبه تجترئ ... ويا أشجع الشجعان فارقه تفرق (٢)
إذا سعت الأعداء في كيد مجده ... سعى جده في كيدهم سعى محنق (٣)
وما ينصر الفضل المبين على العدا ... إذا لم يكن فضل السعيد الموفق (٤)

والفؤاد الذكى للناظر انما * رق عين يرى بها من وراء

ولابن دريد :

ولم ير قبلي مغضياً وهو ناظر ... ولم ير قبلي ساكتاً يتكلم

(١) يقول : يامن يطلب فيخاف طالبه كن جاراً له حتى تصير منيعاً لا يصل اليك سوء ، ويامن حرم حظه من الرزق اقصده سائلا تصر مرزوقا ، فهو ذو نجدة يحمى الذمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريئاً إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقة بنصرته . ومن فارقه - وإن كان شجاعا - فرق - خاف وفزع - وصار جبانا؛ قال على بن جبلة :

به علم الإعطاء كل مبخل ... وأقدم يوم الروع كل جبان

وقال البحترى :

يسخو البخيل - إذ رآك - بنفسه ... والنكس يملأ مضرب الصمصام

(٣) المحنق : المغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويطلوه سعى جده - سعده - فى إبطال كيدهم سعى محنق ، ويروى سعى جده فى مجده : أى فى تشييد مجده : أى أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنت الشيء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير الفضل الأول : أى إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول :

«وقال يمدحه ويذكر ايقاعه ببني عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما عاثوا في نواحي أعماله، وقصده إياهم، وإهلاكه من أهلكه منهم، وعفوه عمن عفا بعد تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤»

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ ... مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ (١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ ... بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِي الْمَفَارِقِ (٢)

لا يعينك فضلك الظاهر إذا لم يعنك جدك القاهر، أي أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيئاً، قال حسان:

رُبَّ حِلمٍ أضاعه عدمُ الما ... لِ وَجَهلٍ غَطَّى عليهِ النعيمُ

[الحلم: العقل؛ والجهل: الحمق وعدم العقل] وقال ابن دريد:

لا يَرفَعُ الجَدُّ بلا لبٍّ ولا ... يَحطُّكَ الجهلُ إذا الجدّ عَلا

(١) العذيب وبارق: موضعان بظاهر الكوفة؛ والعوالي: الرماح؛ والسوابق: الخيل؛ وما بين: لك أن تجعله ظرفاً للتذكرت، ومجر عوالينا بدل منه بدل اشتمال؛ كأنه قال مجر عوالينا فيه. ولك أن تجعل «ما» زائدة وبين العذيب: ظرفاً لمجر، ومجرى ـ بفتح الميم وضمها ـ وهو ومجر: مصدران ميميان. يقول: تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان وتتسابق على الخيل. يعني أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الخيل.

(٢) القنيص: الصيد؛ والمفارق: جمع مفرق، موضع افتراق الشعر من الرأس. يقول: وتذكرت صحبة قوم صعاليك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في رؤس الأعداء.

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِى الْمَرَافِقِ (١)

بِلَادٌ إِذَا زَارَ الْحِسَانَ بِغَيْرِهَا حَصَا تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ (٢)

سَقَتْنِى بِهَا الْقُطْرُبُلِّىَّ مَلِيحَةٌ عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ (٣)

---

(١) الثوية: موضع بقرب الكوفة؛ وتوسد الشيء: جعله كالوسادة تحت رأسه؛ والمرافق: جمع مرفق، مرفق اليد؛ وثراها: ترابها. يقول: وتذكرت ليلا اتخذنا فيه هذا المكان مخدات لنا: أى نمنا عليه وكان طيب التراب، فكأن ترابه الذى ارتفقنا به حين اتكأنا عليه عنبر فى المرافق، وقال ابن جنى: المرافق جمع مرفقة وهى الوسادة. وهذا غير موائم للمقام، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على مشقة السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مُداهم والأرض وسائدهم، ولا يفتخر الصعلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى:

فى رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ

(٢) بغيرها: حال من الحسان؛ وحصى: فاعل زار؛ والمخانق: جمع مخنقة، وهى القلادة يقول: هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ وجعلنه قلائد لهن لحسنه ونفاسته؛ وقال الخطيب التبريزى: إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفرومى أى أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر، وحصباؤها ينوب عن الدر والياقوت، كأن النساء تحلين به وينظمنه فى عقودهن. وفيه نظر إلى قول دعبل:

فكأنما حَصْبَاؤُهَا فى أرضها خَرَزُ العَقِيقِ نُظِمْنَ فى سِلْكِ

(٣) قطربل: ضيعة من أعمال بغداد، تنسب إليها الخمر القطربلية؛ وعلى كاذب: خبر مقدم على ضوء؛ ومن وعدها: نعت لكاذب. يقول: سقتنى الشراب القطربلى امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق: أى يستحسن كلامها

سُهادٌ لِأَجفانٍ وَشَمسٌ لِناظِرٍ   وَسُقمٌ لِأَبدانٍ وَمِسكٌ لِناشِقِ (١)
وَأَغيَدُ يَهوى نَفسَهُ كُلُّ عاقِلٍ   عَفيفٍ وَيَهوى جِسمَهُ كُلُّ فاسِقِ (٢)

فيقبل كذبها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتَعِدُ كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفى مثله يقول منصور النمرى :

تُعَلِّلُه منها غداةَ يَرى لها   ظواهرَ صدقٍ والبواطنُ زُورُ

(١) قال ابن جنى : أى قد اجتمعت فيها – أى المليحة – الأضداد ، فعاشقها لا ينام شوقا إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهى سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جنى – كما ترى – إلى أن البيت صفة المليحة ؛ وقال العروضى : إنما يصف القطربلى – الخمر – والخمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهى بشعاعها كالشمس للناظر ، وهى ترخى الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهى طيبة الرائحة فهى مسك لمن شمها ، والأظهر ماذهب إليه ابن جنى . وقد عاب ابن وكيع على المتنبي هذا وقال ينبغى أن يقول :

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ   وسقم لأبدان وبُرءُ سقام

حتى يصح التقسيم والطباق .

(٢) وأغيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر – على اضمار رب – والأغيد : الناعم المتثنى لينا . يقول : وسقانى أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق يميل إليه حبا لجسمه ، والعاقل العفيف – الذى لايفسق – يصبو إلى روحه لخفته وظرفه وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فتنتنى وَصيفةٌ   كالغُلام المراهِقِ
همّةُ الناسكِ العفـ   ـيفِ وسُؤل المنافقِ

أَدِيبٌ إِذَا مَاجَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ ... بَلَا كُلَّ سَمْعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَائِقِ (١)

يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ ... وَصُدْغَاهُ فِى خَدَّىْ غُلَامٍ مُرَاهِقِ (٢)

وَمَا الْحُسْنُ فِى وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ (٣)

---

(١) المزهر : العود ؛ والعائق : المانع . يقول : إذا تناول العود فجس الأوتار أتى بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه، كما قال الآخر :

إذا ماحَنّ مِزهَرُها إليها ... وَحَنَّتْ نحوَه أُذُنُ الكِرامُ

وأصغَوْا نحوَها الأسماعَ حتّى ... كأنَّهُمُ — وما ناموا — نِيام

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد، وإما لأنه يحفظ الأبيات الحلوة والأشعار النادرة؛ ويؤكد هذا البيت التالى .

(٢) عاد : هى تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذى قد راهق الحلم - أى داناه وقاربه - يقول : إنه يأتى بالألحان القديمة والأشعار التى قيلت فى الدهور الماضية ، فهو بغنائه يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن جنى : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٣) ضمير يكن : للحسن . والخلائق : كالشمائل - الخصال - أى الأخلاق . يقول : إذا لم تكن أفعال الفتى وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفا له ، قال العباس بن مرداس :

وَمَا عِظَمُ الرِّجالِ لهم بفخرٍ ... ولكِن فَخرُهم كَرَمٌ وخيرُ

وقال الفرزدق :

ولا خيرَ فى حُسنِ الجُسومِ وطولِها ... إذا لم يَزِنْ حُسنَ الجُسوم عُقول

وقال دعبل :

وما حُسن الجسومِ لهم بِزَينٍ ... إذا كانت خلائقُهم قِباحا

وَمَا بَلَدُ ٱلْإِنْسَانِ غَيْرُ ٱلْمُوَافِقِ   وَلَا أَهْلُهُ ٱلْأَدْنَوْنَ غَيْرُ ٱلْأَصَادِقِ (١)
وَجَائِزَةٌ دَعْوَى ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْهَوَى   وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ ٱلْمُنَافِقِ (٢)
بِرَأْيِ مَنِ ٱنْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى ٱلرَّدَى   وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ (٣)

(١) الأدنون : الأقربون — جمع أدنى — والأصادق : جمع أصدقاء ، جمع صديق . قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الانسان إلا ما يوافقه ، ولا أقاربه إلا أصدقاؤه . يعنى أن كل مكان وافقه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأدنون . قال العكبرى : وأخذ صدره من قول القائل :

يُبْزُ الفتى وطنٌ له   والفقر فى الأوطانِ غُربَهْ

وأخذ عجزه من قول الآخر :

دَعوتُ وقد دَهَتنى داهياتٌ   وللأيام داهيَة طَروقُ
صَديقاً لا شَقيقاً نيه غِلٌ   ألا إنّ الصديقَ هو الشقيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويظاهر بها من لا يلتزمها ، ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره لسيف الدولة ليس كشكر مَن يتصنع له ولا يخاص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى : يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

والعينُ تَعلم من عَينَىْ محدِّثها   من كانَ مِن حزبِها أومن أعاديها

ويقول القائل :

خليلَىَّ للبغضاء حال مُبِينَةٌ   وَللحبِّ آياتٌ تُرَى ومَعارِفُ

(٣) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء

أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِى يُعْجِزُ الْوَرَى ... وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ (١)

فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ ... وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ (٢)

لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ ... وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَاحِقِ (٣)

وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَغَوْا بِهَا ... رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ (٤)

الجيش الذين أوقع بهم سيف الدولة . يقول : مَن الذى أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشمتوا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعنى أنهم أساؤا فى هذا التدبير .

(١) علىّ : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل: الجيش العظيم؛ والذى يعجز الورى : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذى يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذى يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرته وازدحامه ؛ يعنى أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٢) يقول : حين عصوه وقاتلوه بسطوا أكفهم إلى من قطعها وحملوا رؤسهم إلى من فلقها. يريد بنى عقيل. وأنهم كانوا فى تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف .

(٣) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب؛ يعنى أنهم لم يؤتوا من ضعف فى حربهم ولا من تقصير فى هربهم ، ولكنهم رأوا من لا يواقف فى حرب ولا يمتنع منه بهرب

(٤) كعب : قبيلة منهم ؛ وطغوا : تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طغوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم

وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِى كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِى غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ (١)
وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ (٢)
أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ (٣)

النعمة بالاغارة عليهم وتقتيلهم ، فكأنه خرق بأسنته وألبسهم من ثياب نعمته

(١) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله سقى غيره : أى سقاهم كأس الموت فى غير بوارق الغيث ؛ يعنى فى بوارق السيوف . والمعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاهم من عسكره فى مثل السحائب البارقة ، فكانت ضد السحائب التى أحسن إليهم بها فكفروها . وفى مثل هذا يقول البحترى :

لقد نشأت بالشام منك سحابة تؤمّل جدواها ويُخشى دمارُها
فإن سالموا كانت غمامةَ وابلٍ وغيثاً وإلا فالدمارُ قطارُها

(٢) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبنى كعب لما حرمت أنفسها فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة سابغة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاءه فحرموا فضله ورفده .

---

(٣) بها : أى بالخيل — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الغبار . والقنا : الرماح ؛ والسنابك : أطراف الحوافر ؛ والحمالق — بحذف الياء ، لأنها الحماليق — جمع حملاق : بطن جفن العين . يقول : أتاهم بالخيل وقد أحاطت بها الرماح والغبار فهى حشو

عَوَابِسَ حَلَّى يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (١)
فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ طِوَالَ الْعَوَالِى فِى طِوَالِ السَّمَالِقِ (٢)
وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا قَبَائِلَ لَاتُعْطِى الْقُفِىَّ لِسَائِقِ (٣)
قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلَانِ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِى أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ (٤)

هذين ، وحوافرها تحشو العيون بما تثير من الغبار . وقال العروضى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رؤس القتلى فتحشو حماليقها بسنابكها ، كما قال :

* وَمَوْطِئُها مِنْ كل باغ مَلاغمه *

فأما أن يرتفع الغبار فيدخل فى العيون فلا كثير افتخار فى هذا .

(١) عوابس : حال — أى كالحة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية . وأراد بيابس الماء : ماجف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف ابيض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والمناطق : جمع منطقة ، مايشد به الوسط . يقول : أتتهم الخيل كالحة وقد جف العرق على حزمها فابيض فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة .

(٢) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسمالق : جمع سملق ، المفازة المستوية الأرض المترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة فى المفاوز الطوال .

(٣) القفى : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لاتنهزم من أحد ولا تولى أقفيتها من يسوقها ؛ يعنى : إنك أذللت من العرب من لم يذلله غيرك . واللام فى لسائق : زيادة فى التوكيد .

(٤) بلعجلان : يريد بنى العجلان ، فحذف النون لمشابهتها اللام ، كما قالوا فى بنى الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أى فى القبائل . يقول : إن هاتين

تُخَلِّيهِمِ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ ... وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ (١)

يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا ... بِضَرْبٍ يُسَلِّي حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ (٢)

أَتَى الظُّعْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ ... مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا فِى نُحُورِ الْعَوَاتِقِ (٣)

القبيلتين قد تبدد شملهما بين ماتبدد من القبائل التى هربت بين يديك ، فقلّتا وخفيتا فيها خفاء راءين فى لفـظ ألثغ إذا كررهما؛ وفيه إشارة إلى كثرة الجموع التى ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالهرب .

(١) فركت المرأة : إذا أبغضت الزوج ، فهى فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة مالحقهم من الخوف وتشتتهم فى كل وجه تركت النساء أزواجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دَعانا النساءُ إذ عَرَفْنَ وُجوهَنا ... دُعاءَ نِساء لم يُفارِقْنَ عن قِلَى

(٢) الضمير فى يفرق : لسيف الدولة : والكماة : الأبطال عليهم السلاح — جمع كمى — والضمير فى بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسائهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه: أى أن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر فى هربهم منه .

(٣) الظعن : جمع ظعينة ، وهى النساء فى الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ، ماترشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قـد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ،

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُنْكِرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا ظَعَائِنُ حُمْرُ الْحَلْيِ حُمْرُ الْأَيَانِقِ (١)
وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّـــةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ (٢)
بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةُ بَيْنِ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ (٣)

وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه : أتى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن ـ بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالهاء ضمير الطعن : أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعائن : مبتدأ مؤخر ، والظعائن : جمع ظعينة ، وهى النساء المحمولات فى الهوادج ، وحمر الحلى : أى أن حليهن الذهب ، والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حليهن الذهب ومركوبهن النياق الحمر ـ وهى أكرم النياق عند العرب ـ يقول : انهم أبعدوا فى الهرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لا عهد لها بالانس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحمر الأيانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فحمر حليهن ونوقهن ؛ فيكون الكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملمومة : عطف على ظعائن ؛ والكتيبة : الملمومة المجتمعة ؛ وسيفية : نسبة إلى سيف الدولة ؛ وربعية : لأنه من ربيعة ؛ واللقالق : جمع لقلق ، طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها : اى عند وقع حوافر الخيل عليه . شبه صوت الحصى بصوت اللقالق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة لملمومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة

نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ   فَمَا تَبْتَغِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ (١)
تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ   تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ (٢)

تكون على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلمق . وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق ، لأنها صفة للكتيبة ، لكنه جمع ذهابا إلى المعنى ، لأن الكتيبة جماعة ، وهذا كما تقول : مررت بكتيبة صفر الأعلام طوال الرماح . يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متكاتفون مجتمعون، لازدحامهم ،فتقارب ما بين رؤوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدهم فقد أقحمها عليهم ولم يتهيب اختراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يغنيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إنَّ الأُسُودَ أُسودَ الغابِ هِمَّتها   يومَ الكَرِيهةِ في المَسْلوبِ لا السَّلبِ

(٢) السورة : الوثبة؛ والهاء في توهمها : للسورة ؛ أي توهم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسره بمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : المتنعم ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرادق : ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف . يقول : توهم الأعراب أن حربك سورة متنعم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعيم كعادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هربا من العطش والحر ؛ وفي هذا نظر إلى قول البحتري :

فَذَكَّرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةَ غَبَّرَتْ ... سَمَاوَةُ كَلْبٍ فى أُنُوفِ الْحَزَائِقِ (١)

وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا ... وَأَنْ نَبَتَتْ فى الْمَاءِ نَبْتَ الْغَلَافِقِ (٢)

فَهَاجُوكَ أَهْدَى فى الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ ... وَأَبْدَى بُيُوتاً مِنْ أَدَاحِى النَّقَانِقِ (٣)

الوُفُ الديارِ فإن أزمعَ الـ ... ترحُّلَ حَرَمَ إبطانها

إذا هَمَّ لم يهتدِمْ عزمَه ... مقاصيرُ يعتادُ أكنانها

وإلى قول منصور النمرى :

كذبَ العِدا لو كُنْتَ صاحبَ نعمة ... صَرَعتكَ بينَ إقامةٍ وكَلالِ

(١) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أى سماوة بنى كلب ، وهى برية معروفة بناحية العواصم ؛ والحزائق : جمع حزيقة ، وهى الجماعة . يقول: فى هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أى حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم فى برية السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعنى عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ماظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تتبعهم .

(٢) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من الثقيلة ؛ والضمير فى نبتت : للملوك . والغلافق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا فى البادية فلا يكترثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء ، وأن الملوك لاصبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه - أى فى جواره - كما ينشأ الطحلب فى الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .

(٣) أهدى : أفعل تفضيل — من الهداية — وهو حال من ضمير المخاطب: والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا: لأن كل جمع بينه وبين واحده التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير

وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ ... وَآلَفَ مِنْهَا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ (١)

الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى — ككرسى — موضع بيض النعام من الرمل ؛ والنقانق : جمع النقنق ، ذكر النعام . يقول : فهيجوك وأثاروك عليهم بعصيانهم فكنت أهدى اليهم فى الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لا عش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(١) الضباب . جمع ضب ، الدويبة البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة : شدة الحر عند دنو الشمس من الرؤس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها وَدَقَتْ إلى كل شىء ؛ أى وصلت اليه . قال أبو المثلم الهذلى يرثى صخراً :

حامى الحقيقة نَسَّالُ الوديقة مِعْـ ... ـتاقُ الوسيقة لا نِكْسٌ ولا وَانِى (١)

وأصبر : عطف على أهدى — فى البيت السابق — . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب — والضب لا يرد الماء قط — وكنت آلف مقلة للهجير — شدة الحر — من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا فى تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدا منه من الأيد والجلد .

---

(١) قبله :

آبى الهضيمة نَابٍ بالعَظِيمة مِتْـ ... ـلاف الكريمةِ جَلد غير ثُنيانِ

قال ابن الأعرابى : يقال فلان يحمى الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا فى وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيراً مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا مُهَلَّبَةَ الأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ (١)
فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً وَلَكِنْ كَفَاهَا البَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ (٢)
وَلَا شَغَلُوا صُمَّ القَنَا بِقُلُوبِهِمْ عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ (٣)

---

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديرا : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا ردده فى حنجرته ؛ والمهلبة : المقطوعة الهُلْب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهى لهاة البعير إذا هدر أخرجها من فمه . يقول : كان طغيانهم وغيهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قَرْم — فحل كريم — هو سيف الدولة — مصعب فضَعَمها — عضها بملء فمه — أى نال منها — وسار عليها فتركها — صيرها — مهلبة الأذناب ساكنة الهدير ، يعنى أذلهم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنابها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

* أبى صِغَرُ الأَذْنَابِ أن تَخطِرُوا بها *

والمعنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستذل بقطع الأذناب ، وسكنتها بغلبتك عليها فانقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشواهق : جمع شاهق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير فى البرارى عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه فى الأرض قائما لا يطعن به ؛ والدماسق : جمع دمستق — على

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا ... وَيَجْعَلُ أَيْدِي الْأُسْدِ أَيْدِي الْخَرَانِقِ (١)

وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا ... أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ (٢)

حذف التاء — والدمستق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن طعن قلوب قواد الروم : أي فلا راحة لخيلك ولا لسلاحك .

(١) المسخ : قلب الخلقة ؛ والخرانق : جمع خرنق — بكسر الخاء — وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها . يريد بمسخه الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جبناء والأقوياء ضعفاء ، فتصير الأيدي القوية التي كأنها أيدي الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدي الأرانب . وعبارة العكبري : ألم يحذر الأعداء سطوته التي هي على عدوه كالمسخ الذي يقلب الخلق ويقبح الصور ويعيد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدي الأسد من أعاديه وقد تناهت في القوة كأيدي الخرانق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار؟ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ طِوَالٌ قَصَّرَتْ ... عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهِيَ قِصَارُ

(٢) وقد عاينوه : حال من ضمير يحذروا — في البيت السابق — والمارق في الأصل : الذي يمرق من الدين ؛ والمراد : الخارج عن الطاعة — من مروق السهم — . والمصرع : مصدر صرعه ، إذا طرحه على الأرض ؛ ويراد به القتل . يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديرا بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصي المتمرد عليه حتى يعتبر الثاني بالأول ، كما قال أشجع :

شَدَّ الْخِطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ ... حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يُخْطَمِ

تَعَوَّدَ أَنْ لا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ (١)
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ (٢)

---

(١) القضم : أكل الشيء اليابس ؛ والهام : الرؤس ؛ والعلائق : جمع عليقة، وهى المخلاة تعلق من رأس الدابة لتعتلف ؛ وجنوبها : نواحيها . قال ابن جنى: سألته - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : الفرس إذا عاقت عليه المخلاة طلب لها موضعا مرتفعا يجعلها عليه ثم يأكل ؛ فخيله أبدا إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها ، فقد تعودت خيله ذلك فى غزواتها .

(٢) ولا ترد : عطف على لا تقضم ؛ والغدران : جمع غدير ، وهو ماغدره السيل - تركه - والشقائق : نور أحمر ؛ يقال له شقائق النعمان . قال ابن جنى: أى لكثرة ماقتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم ، والماء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق ، وماء الغدير اخضرّ من الطحلب ، فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق . وقال ابن فورجه : إنما يعنى أنه لا يروم الهوينا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء ، كما قال بشار :

فَتًى لا يَبِيتُ على دِمْنَةٍ ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ

وقال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة ، ولا تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت مايسفكه من دماء أعدائه كالريحان فى خضرته إذا استبان تحت الشقائق ، واستولت بحمرتها على جملته ؛ وأشار بخضرة الماء إلى صفائه وكثرته ، ونبه بذلك على جمومه ، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ماهذه صفته ، وتردمنه ماهذه حقيقته ؛ وفيه نظر إلى قول جرير :

لَوَفْدُ نُمَيْرٍ كانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ ... وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الوَسَائِقِ (١)

أَعَدُّوا رِمَاحاً مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا ... بِهَا الجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الفَيَالِقِ (٢)

فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُخَاتِلٍ ... وَأَسْرَى إِلَى الأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقِ (٣)

تُصِيبُ المَجَانِيقُ العِظَامُ بِكَفِّهِ ... دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ البَنَادِقِ (٤)

وَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا ... بِدِجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ (١)

(١) لوفد: اللام للابتداء؛ والوفد: القوم الوافدون؛ ونمير: قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة - كما سيذكر فى البيت التالى - والأظعان: جمع ظعن، جمع ظعينة، المرأة مادامت فى الهودج. والوسائق: جمع وسيقة: الطريدة من الغنم أو الإبل. يقول: إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بنى نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق.

(٢) ضمير رد: للخضوع؛ وغرب كل شيء: حده. والفيالق: جمع فيلق، القطعة من الجيش. يقول: إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم، وهذا كما يقول أبو تمام:

خَاطَ لَهُ الإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ ... وَجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تَخِطْهُ قَنَابِلُهْ

(٣) المخاتل: المخادع؛ والمسارق: الذى يترقب غفلة. يقول: لم أر أحدا يرمى أعداءه جهارا ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مُسِرّ كما يرمى هو ويسرى، فهو لا يحتاج إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه، وفى هذا يقول البحترى:

فَتُدْرِكُ بِالإِقْدَامِ بُغْيَتَنَا الَّتِى ... نُطَالِبُهَا لَا بِالخَدِيعَةِ وَالمَكْرِ

وهو معنى قديم.

(٤) المجانيق: جمع منجنيق. آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون

---

(١) تمور: تجرى؛ وأشكل: فيه بياض وحمرة قد اختلطا.

وقال فى صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن ابن الرضى الأزدى :

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْــلِيَ يَأْرَقُ   وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ (١)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أُرَى   عَيْنٌ مُسَهَّــدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ (٢)
مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ   إِلَّا انْثَنَيْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيِّقُ (٣)

فى الحصار ؛ والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب المكانى . والبنادق : جمع بندقة ، مايعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه يقدر على مالا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رميه وتعذر ضبطه من الأشياء الدقيقة مايعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التى ترمى بها البنادق ، يعنى أنه معاز موفق مؤيد .

(١) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقة ـ من حزن أو عشق ـ . والعبرة : الدمعة تتردد فى العين ؛ وتقول : رقرقت الماء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول : لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثلى ممن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ، وحرقته تزداد كل يوم ودمعه يسيل .

(٢) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد ـ بالفتح ـ المشقة ، وبالضم : الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لغتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين خبرا عن جهد الصبابة ، وأن تكون فى موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ، وقال البحترى :

هَلْ غَايَةُ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ غيرَ أنْ   يَعْلُو نَشِيجٌ أَوْ تَفِيضَ مَدَامِعُ

(٣) انثنيت : رجعت ؛ ولى فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به

جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِى ... نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ (١)

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ ... فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ (٢)

ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذى هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير فى أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغَنَّى القُمْرِىُّ إلا شَجَانِى ... وغِناءُ القُمْرِىِّ لِلصَّبِّ شاجِى

(١) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى ناراً تكل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه ، يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر:

لو كان قلبىَ فى نارٍ لأحرقها ... لأن إحراقه أذكى من النار

فما - من قوله ماتنطفى - : مصدرية ؛ والضمير فى تحرق : لنار الهوى ؛ وعما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفى — كما يقول العكبرى — محذوف على رأى البصريين فى إعمال ثانى الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفحت عن زيد، فحذفت معمول الأول لدلالة الثانى عليه ؛ وحجتهم أن الثانى أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول لأنه أسبق فى الذكر ، وقد جاء فى الكتاب العزيز إعمال الثانى ، فهو دليل للبصرى ؛ وجاء فى أشعار العرب إعمال الأول ففى القرآن «آتونى أفرغْ عليه قِطرا . هاؤُمُ اقرؤا كتابِيَهْ» ، وفى البيت محذوفان هذا الذى ذكرناه ؛ والثانى حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها؛ وفيه حذفان آخران تقديرهما جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ماتحرقه نار الهوى .

(٢) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية فى الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أى من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس مايوجب الموت ، وإنما الذى يوجبه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر فى النفوس أن الموت فى أعلى مراتب الشدة قال لما ذقت العشق وعرفت

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِيَ أَنَّنِي عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَالَقُوا (١)

أَبَنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ (٢)

نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا (٣)

شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !

(١) يقول : لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق فى وقوعهم فى العشق وفى جزعهم وعرفت أنى أذنبت بتعييرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت فى العشق من الشدائد مالقوا . وفى مثل هذا يقول على بن الجهم :

وقد كنتُ بالعُشاق أهزأُ مرّةً وها أنا بالعُشاق أصبحتُ باكيا

ويقول أبو الشيص :

وكنتُ إذا رأيتُ فتىً يُبكّى على شجنٍ هزأتُ إذا خلوتُ

وأحسبنى أدالَ اللهُ منّى نصرتُ إذا بُصرتُ به بكيتُ

(٢) نعق الغراب ونغق : صاح . انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت ، ومثل هذا — كما قال الواحدى — يستحسن فى المراثى لا فى المدح . وقوله ابنى أبينا : أى يا إخواننا . يجوز أن يكون نداء لجميع الناس — لأن الناس كلهم بنو آدم — ويجوز أن يريد قوما مخصوصين : إما العرب ، وإما رهطه وقبيلته . يقول : نحن نازلون فى منازل يتفرق عنها أهلها بالموت . وإنما ذكر غراب البين لأن العرب تتشاءم بصياح الغراب ، يقولون إذا صاح الغراب فى دار تفرق أهلها ، وهو كثير فى أشعارهم .

(٣) مثله :

لا يُلبثُ القرناءَ أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ

أينَ الأكاسِرةُ الجبابِرةُ الأُلى كَنَزُوا الكُنوزَ فما بَقِينَ ولا بَقُوا[١]

مِنْ كُلِّ مَنْ ضاقَ الفضاءُ بجَيشِهِ حَتّى ثَوَى فَحَواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ[٢]

خُرْسٌ إذا نُودُوا كأنْ لم يَعلَموا أنَّ الكَلامَ لهُمْ حَلالٌ مُطْلَقُ[٣]

والموتُ آتٍ والنفوسُ نَفائِسٌ والمُسْتَغِرُّ بما لَدَيْهِ الأحْمَقُ[٤]

---

(١) الألى : أى الذين ، وبقين : أى الكنوز ؛ وبقوا : أى الأكاسرة .

(٢) من - فى أول البيت - للتفسير ؛ والجار والمجرور فى موضع الحال من الأكاسرة ؛ ومن-المضافة إليها كل - نكرة موصوفة . والجملة بعدها:صفتها . وثوى : أى أقام فى قبره؛ويروى : توى ، أى هلك . يقول : أولئك الذين ذكرناهم من كل ملك كثرت جنوده حتى ضاق بهم الفضاء لجمعه لحد - شق فى جانب قبر - ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

وأصبحَ فى لَحدٍ مِنَ الأرضِ ضَيِّقٍ وكانَتْ بِهِ حيًّا تَضيقُ الصحاصِحُ

« الصحاصح :جمع صحصح.الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء »

(٣) يقول : إنهم موتى لايجيبون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لايحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن . لأن الميت لايوصف بما ذكره . . . قاله الواحدى .

(٤) النفيس : الشىء الذى ينفس به ؛ أى يضن به : والمستغر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لايغتر بما جمعه من الدنيا لعلمه أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئا ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى: المستعز : أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإنَّ امْرأً أمِنَ الزَّما نَ لمُسْتَغِرٌّ أحْمَقُ

وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ... وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ (١)
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَّتِي ... مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِيَ رَوْنَقُ (٢)
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ ... حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِيَ أَشْرَقُ (٣)
أَمَّا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا ... فَأَعَزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الْأَيْنُقُ (٤)

---

(١) شهية : مشتهاة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيش . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يفيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الطيش والخفة .

(٢) اللمة من الشعر : ماجاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونق : الحسن والنضارة .

(٣) حذرا : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف «قد» ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام . يقول : لكثرة دموعي كاد يشرق بها جفني : أي يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يبلع ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفني أشرق بريق ، وفي هذين البيتين نظر إلى قول الآخر - وهو من باب غير هذا الباب - :

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتِ رَاضِيَةً ... عَنِّي بِذَاكَ الرِّضَا بِمُغْتَبِطِ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتْبَعُهُ ... مِنْكِ التَّجَنِّي وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

(٤) الأينق : النياق ، جمع ناقة - على غير قياس - والقياس : الأنوق . يقول : إن قوم هذا الممدوح أعز الناس لمنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يُقصد ويَسري إليه الطلاب والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدي : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي الرضا — بضم الراء — وهو اسم صنم ؛ وأراد

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ لَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ (١)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ (٢)

ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون ابن عبد مناف .

(١) جعلهم كالشموس فى علو ذكرهم واشتهارهم أو فى حسن وجوههم . يقول : كبرت الله - أى قلت الله أكبر - تعجباً من قدرته حين أطلع شموساً لا من المشرق ، وكانت منازل الممدوحين فى جهة المغرب . قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها فى الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى « رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ » ، « وربّ المشارِقِ وَالْمَغارِبِ » ، وقال الله تعالى « وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ » وقال النخعى :

حَمِيَ الحديدُ عليهم فكأنَّهُ لمعانُ بَرقٍ أو شعاعُ شموس

(٢) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تنبت الورق وهذا من قول البحترى يصف أيام المتوكل :

أشرقنَ حتى كادَ يَحتبِسُ الدُّجى ورَطُبنَ حتى كادَ يجرى الجَندَلُ

ويقول أبو الشمقمق — وكان مع طاهر بن الحسين فى حراقة فى دجلة — :

عجبتُ لحَرَّاقَةِ ابنِ الحسينِ كيفَ تعومُ ولا تغرقُ
وبحرانِ مِن تحتِها واحِدٌ وآخرُ مِن فوقِها مُطبِقُ
وأعجَبُ مِن ذاكَ عِيدانُها وقد مَسَّها كيفَ لا تورقُ

وَتفوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ لَهُمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ (١)
مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إلَّا أَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لَاتَعْبَقُ (٢)
أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِى عَصْرِنَا لَاتَبْلُنَا بِطِلَابِ مَالَا يُلْحَقُ (٣)

ويقول مسلم :

لَوْ أنّ كفاً أعشبَتْ لِسَماحَةٍ لبَدَا بِراحَتِهِ النبَاتُ الأخضَر

(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مَكانَتِكُمْ »
والثناء يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة المثنين عليهم ، ولله ابن الرومى حين يقول :

أعبقتَهُ مِن طِيبِ رِيحكَ عبقةً كادَت تكونُ ثناءَكَ المسْموعا

ولآخر :

لوْ كانَ يُوجدُ رِيحُ مَجدٍ فائحاً لوَجدْتَهُ مِنهُ على أميالِ

ولابن الرومى أيضاً :

إن جاءَ مَن يَبغى لنا منزلا فقل له يَمشِى ويَستَنشِق

ومثله :

ولو أنّ رَكباً يَمّمُوكَ لقادَهم نَسِيمُكَ حتى يَستدِلَّ بك الرَّكبُ

(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لاتعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ، يعنى لايثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يامن يريد أن يوجد له نظير لاتمتحنا بطلاب مالا يدرك ، أى أنه لايوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول البحترى :

ولئِنْ طَلبْتُ نظيرَهُ إنى إذَنْ لمكلفٌ طَلبَ المُحالِ رِكابى

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَداً وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ (١)
يَاذَا الَّذِي يَهَبُ الْجَزِيلَ وَعِنْدَهُ أَنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ (٢)
أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرَقُ (٣)

---

(١) يقول: إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلا كان طلب مثله محالا. وعبارة العكبرى: لا تطلب مثله، فظنى أنه لا يخلق الله مثل محمد، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق فى الأول ولا فى الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم، ومثله لأبى الشيص:

ماكان مثلكَ فى الورَى فيمن مضى أحدٌ وظنّى أنه لا يخلقُ

ولابن الرومى:

فهل من سبيل إلى مِثلِهِ أبى الله ذاك على من خلَق

وللحصنى:

لم يكن فى خليقة الله ندٌّ لك فيما مضى وليس يكونُ

(٢) وعنده: أى وفى اعتقاده أنى إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر؛ والأصل فى هذا قول زهير:

تَرَاهُ — إذا ماجئتَهُ — مُتَهلِّلا كأنكَ تُعطِيهِ الذى أنتَ سائِلُهْ

فقوله أتصدق: أى أعطيه الصدقة وأهبها له: وقد جاء تصدق. بمعنى سأل، وأنشدوا:

ولو أنهم رُزِقوا على أقدارهم للقيتَ أكثرَ من ترَى يتصدّق

(٣) ثرة: غزيرة كثيرة الماء. يقول: اجعل سحاب جودك ماطراً علىّ مطراً غزيراً ثم ارحمنى بأن تحفظنى من الغرق كيلا أغرق فى كثرة مطرك. وهذا ينظر إلى قول ابن أبى السمط فى وصف سحابة:

....

حَتى ظَلِلتُ أقول فى إلحاحها   بالوبل :هل أنا سالِم لا اغرَقُ

هذا : وقد قال ابن الشجرى فى أماليه تعليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلىّ لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجهين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، فحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

* أوجَدُ مَيتاً قُبيلَ أفقدُها *

كما جاء فى قول طَرَفة :

* ألا أيهذا الزاجرى أحْضُرَ الوَغى [1] *

أراد أن أحضر ، فحذفها ؛ يدلك على حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثانى : أن يكون بالفاء مقدرة ، وإذا كانت فى الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع باثباتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون فحذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

* مَنْ يَفعَلِ الحسَنات اللهُ يَشكرُها [2] *

وأما قوله تعالى « لا يضركم » فى قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ؛ والثانى على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضركم كيدهم » « وإن تصبروا وتتقوا » ، وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

---

(١) من معلقة طرفة ، وقد تقدم شرحه فى غير موضع من هذا الشرح

(٢) لبعد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقبله :

إنْ يَسلم المرءُ من قَتلٍ ومن هَرَمٍ   للذة العيش أفناه الجديدان

فإنما هذه الدنيا وزينتها   كالزاد لابدّ يوماً أنه فانى

من يَفعَلِ الحسناتِ الله يَشكرها   والشرُّ بالشرِّ عِند الله سِيَّانِ

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ (١)

---

* إنك إن يُصرَعْ أخوك تُصرَعُ (١) *

والثالث : أن يكون الضم للإتباع .

(١) كذب ابن فاعلة : أي كذب ابن زانية . كنى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا ما دمت في الأحياء مرزوقا ؛ وروى ترزق — بفتح التاء — أي ترزق الناس . أي تعطيهم أرزاقهم ، والأولى أجود .

---

(١) من رجز لعمرو بن خثارم البجلي وهو :

يا أقرعُ بنَ حابس يا أقرع إني أخوكَ فانظُرَنْ ما تصنعُ

إنكَ إن يُصرعْ أخوك تُصرعُ إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا

في باذخ مِن عِز مجد يَفرَع به يَضُرُّ قادرٌ ويَنفع

وأدفعُ الضيمَ غداً وأمنع عِزٌّ ألدُّ شامخٌ لا يُقمَع

يَتبَعُه الناسُ ولا يُستتبَعُ هَل هُوَ إلا ذَنَبٌ وأكرُعُ

وزَمَعٌ مؤتَشبٌ مُجمَّعُ وَحَسَبٌ وَغلٌ وأنفٌ أجدع

وأقرع بن حابس صحابي ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصرع الهلاك ؛ ونزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالي . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : المرتفع . ويقمع : يقهر ويذل . وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أرطاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق . استعاره لأسفل الناس كالذنب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أي غير الصريح في نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

وقال فى صباه ارتجالا :

أَىَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِى   أَىَّ عَظِيمٍ أَتَّقِى (١)
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ ٱللَّـهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ (٢)
مُحْتَقَرٌ فى هِمَّتِى   كَشَعْرَةٍ فى مَفْرِقِى (٣)

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخى :

هُوَ ٱلْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى ٱلْحَزَائِقُ   وَيَا قَلْبِ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ (٤)

---

(١) أى : إستفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة فى العلو إلا وقد بلغها، وليس يخاف عظيما .

(٢ و ٣) المفرق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر . وقوله وما لم يخلق: قال الواحدى : ليس معناه مالا يجوز أن يكون مخلوقا كذات البارى عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون

(٤) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شريطة التفسير ، كقوله تعالى « قل هو الله أحد » وحتى : ابتدائية . وتأنى - بحذف إحدى التاءين - أى تتمهل وترفق . والحزائق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شئ حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تفرق إذا جرى فيها حكم البين؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً — على مالك من علائق القرب - ممن أفارقه ! يعنى أن الأحبة إذا فارقونى ذهب القلب معهم ففارقنى وفارقته . ومثله للعباس بن أحنف :

تَفَرَّقَ قلبى مِنْ مُقِيمٍ وظاعنٍ   فلله دَرِّى أَىُّ قلبٍ أُشَيِّعُ

وَقَفْنا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنا فَرِيقَيْ هَوًى مِنّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ [١]

وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكَا وَصَارَ بَهَاراً فِى الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ [٢]

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ [٣]

ولآخر:

كأنّ أرواحنا لم ترتحلْ معنا أو سِرْنَ فى أثرِ الحىِّ الذى سارا

(١) البث: الحزن. وفريقى هوى: نصب على الحال من الضمير فى وقوفنا. يقول: وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى، منا مشوق - وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه - وشائق - وهو المعشوق يشوق عاشقه - وجعل هذه الحالة تزيده حزنا؛ لأن فراق الأحبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم.

(٢) قرحى: كجرحى ومرضى، جمع قريح: أى جريح؛ فهو بدون تنوين؛ وقال ابن جنى: قلت له - للمتنبي - عند القراءة عليه قرحى: اتريده بالتنوين؟ فقال نعم، جمع قرحة، وهى اسم، لا وصف. والبهار: زهر أصفر، والشقائق جمع شقيقة، زهر أحمر يقال له شقائق النعمان. يقول: صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء، وحمرة الخدود صفرة لأجل البين، كما قال عبد الصمد بن المعذل:

باكَرَتْهُ الحُمّى ورَاحَتْ عليهِ فكسَتْهُ حُمّى الرَّواحِ بَهارَا

لمْ تَشِنْهُ لمّا ألَحّتْ وَلَكِنْ بَدَّلَتْهُ بالاحمِرَارِ اصفرَارَا

وقال أبو تمام:

لم تشِنْ وجهَهُ المليحَ ولكنْ حَوّلتْ وَرْدَ وجنتيهِ بَهارَ

وقال أيضاً:

لها مِن لَوْعَةِ البَيْنِ احتراقٌ يُعيدُ بَنفسجاً وَرْدَ الخُدودِ

(٣) اجتماع: مبتدأ، محذوف الخبر: أى لهم اجتماع؛ والجملة: حال. وقوله

تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ(١)

سَلِ الْبِيدَ: أَيْنَ الْجِنُّ مِنَّا بِجَوْزِهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي: أَيْنَ مِنَّا النَّقَانِقُ(٢)

وميت: أى ومنهم ميت. يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم، يقول: على هذا مضى الناس قبلنا، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة، ومنهم ميت يموت ومولود يولد، ومنهم قالٍ — مبغض — ووامق — محب — كما قال الأعشى:

شَبابٌ وشَيْبٌ وافتِقار وثروَة فللهِ هذا الدهْرُ كيفَ تَرَدّدَا

وقال الآخر:

وما الناسُ والأيامُ إلا كما تَرى رَزيةُ مَالٍ أوْ فِراقُ حَبِيبِ

هذا: وقد عاب أبا الطيب بعض المتحذلقين، فقال كان ينبغى أن يقول: على ذا عهدنا الناس: راض وساخط، وميت ومولود؛ أو يقول: اجتماع وفرقة، وموت وولادة، وقلى ومقة.

(١) الغرانق: الشاب الناعم الجميل، وجمعه غرانق - بفتح الغين - ويقال الغرانيق، وهو فى الأصل طائر مائى يشبه الكركى. يقول: تمر الليالى وتجىء وهى على حالها وبمرّها تغير حالى وشيبتنى وهى لا تشيب. يعنى أن الزمان يُبلى ولا يَبلَى.

(٢) جوز كل شىء: وسطه: والمهارى: جمع مهرية، وهى الإبل المنسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان. ويجوز فى المهارى فتح الراء وكسرها: - كصحارى وصحارى - بتشديد الياء وتخفيفها - قال رؤبة:

بهِ تمَطّت غولَ كلِّ مِيلَهِ بنا حراجيجُ المهَارِى النُّفّهِ(١)

---

(١) قبله:

ومَخْفِقٍ مِن لُهلُهٍ ولُهلُهِ في مَهمَهٍ أطرافهُ في مَهمَهِ

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا مُحَيَّاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ (١)

والنقانق : جمع نِقْنِق ، وهو ذكر النعام . يقول ـ لصاحبه ـ : سل البيد تخبرك أين تقع الجن منا بهذه المفازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن ـ ودن إبلنا أين تقع منها الظلمان فى السرعة : أى أن إبلنا كانت أسرع من النعام .

(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى موضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأنا الخ . ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والمحيا : الوجه . والسمالق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه : لليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السمالق التى كنا نقطعها أظهرت لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلى :

وُجوهٌ لوَ انَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بها صَدَعْنَ الدُّجى حتى تَرَى الليلَ يَنْجَلى

ويقول أشجع السلمى :

مَلِكٌ بِنورِ جَبِينِهِ تَسْرِي وبَحْرُ الليلِ طامِى

ولصريع الغوانى :

أجِدَّكِ هل تدرين أن بتُّ ليلةً كأن دجاها مِنْ قرونِكِ يُنْشَرُ

أَعمى الهُدَى بالجاهِلِينَ العُمَّهِ بِهِ تَمطت غَوْلَ كلِّ مِيلَهِ

بنا حَرَاجِيجُ المَهَارِى النُّفَّهِ يَجْذِبْنَهُ بالبَوْعِ والتأوُّهِ

الخفق : الموضع الذى يخفق فيه السحاب ، واللهله : المكان المستوى الذى ليس به علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد بريد مكانا بعيدا يغتال المشى فلا يستبين فيه ، ولا يكاد يقطع من بعده ، وبعير نافه : كال معى ، والجمع نفه ، ويجذبنه : يريد يجذبن أنفسهن فيه ، والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إذا ماقمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

فما زال لولا نورُ وجهك جُنحُهُ ... ولا جابَها الرُّكبانُ لولا الأيانقُ (١)

٩ وهزٌّ أطارَ النومَ حتى كأنني ... من السُّكرِ في الغَرزَينِ ثوبٌ شُبارِقُ (٢)

١٠ شَدَوْا بابنِ إسحقَ الحسينِ فصافَحتْ ... ذفارِيَها كِيرانُها والنَّمارِقُ (٣)

صَبَرتُ لها حتى تجلّت بغُرّةٍ ... كغُرّةِ يحيى حين يُذكرُ جعفرُ

(١) زال — من الزوال — أي ذهب؛ وجنحه: فاعل. وجنح الليل: إقباله بظلامه يجنح على النهار، أي يميل عليه فيذهب ضوءه. وجابها: قطعها — أي السمالق — والأيانق: النياق، جمع ناقة. يقول: لولا نور وجهك لما زال الظلام، ولولا النياق لما قطعنا السمالق.

(٢) وهز: عطف على الأيانق؛ والمراد بالسكر: النعاس؛ والغرز: ركاب للإبل من جلد مخروز، ويقال ثوب شبارق: خلق ممزق. ويقال شبرق شبرقة وشبراقا: مزّقه. قال امرؤ القيس:

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا ... كما شبرق الولدانُ ثوبَ المقدسي (١)

والهز: التحريك، يعني تحريك الإبل ركبانها في سرعة سيرها، وذلك يمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مائدا بين الغرزين كالثوب الخلق لكثرة تمايله. يقول: لولا هذا الهز الذي وصفه والذي سببه الإسراع لما قطعنا السمالق إليه.

(٣) شدوا بابن إسحاق: أي غنوا بمدح ابن إسحاق؛ وصافحت: أي

---

(١) المقدسي: الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركا، والنسا قال الأصمعي: بوزن العصا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النسا، ولا يقال عرق النسا.

١ بِمَن تقشعِرُّ الأرض خوفاً إذا مشَى عليها وترتجُّ الجبالُ الشواهقُ (١)
٢ فتًى كالسحابِ الجُونِ يُخشَى ويُرتجَى يُرجَى الحيا منها وتُخشَى الصواعقُ (٢)

ماست. مأخوذ من مصالحة الأكف. والذفارى: جمع الذفرى، الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين؛ والكيران: جمع الكور، وهو الرحل؛ والنمارق: جمع نمرقة، وهى الوسادة تحت الراكب؛ والمراد هنا: التى تكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز. يقول: غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رؤسها حتى صالحت أقفاؤها الرحال والوسائد التى عليها — وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه، وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى:

لا تضربُ الركبُ الطلائحَ نحوه بل باسمه يزجُرن كلَّ طليح

ويقول إسحق بن خلف:

إذا ما حُدِينَ بمدحِ الأمير سَبقنَ لحاظ الحثيثِ العَجِل

(١) بمن؛ بدل من ابن إسحاق، إلا أنه أعاد العامل؛ والاقشعرار: أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف؛ وترتج: تضطرب وتتحرك؛ والشواهق: جمع شاهق، وهو العالى. يقول: تهابه الأرض إذا مشى عليها، وتتحرك الجبال خوفا منه.

(٢) الجون: جمع جون — بفتح الجيم — وهو الأسود؛ والسحاب؛ من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع؛ والحيا: المطر. يقول: إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها. وفى مثل هذا يقول أبو تمام:

سماحاً وبأساً كالصواعقِ والحيا إذا اجتمعا فى العارضِ المتألقِ

وَلٰكِنَّهَا تَمْضِى وَهٰـذَا مُخَيِّمٌ ... وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرَ صَادِقُ (١)

تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ ... مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ (٢)

غَذَا الْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى ... فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ الْمَخَانِقُ (٣)

ويقول الآخر :

هُوَ عارِضٌ زَجِلٌ فمَنْ شاء الحَيا ... أرضى ومَنْ شاء الصَّوَاعِق أغضبا

(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضى ، وهذا مقيم فى كل وقت ، والسحاب قد تكذب فى الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والممدوح صادق فيما يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومى :

فَضلتَ أخاكَ الغيثَ بالعِلمِ والحِجى ... وحاصَصْتَهُ فى الجُود أىَّ حِصاص

على أنه يَمضى وأنتَ مُخيِّمٌ ... سماؤكَ مِدرار ورَوْضُكَ وَاصِ (١)

ومثـله للبحترى :

أنَّى يكون له احتفالُك فى الندى ... ووُقوعه فى الحِينِ بعدَ الحِينِ

(٢) يقول : زهد فى الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إعراضاً عن الخلق فلم يزده ذلك إلا جلالة قدر وبُعد صيت ، إذ لم تخل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه شامل . ولعله ينظر إلى قول البحترى :

وشُهِرتُ فى شرقِ البلادِ وغَربِها ... فكأنَنى فى كل نادٍ جالِسُ

(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أى التى عملت ببلاد الهند ؛ والهام : الرؤس ، والطلى : الأعناق ؛ والمدارى جمع مِدرَى ، وهو مايفرق به الشعر ؛ والمخانق جمع مخنقة ، وهى القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رؤس الأعداء وأعناقهم فقد طالت صحبتها للرؤس والأعناق كما تصاحبها المدارى والمخانق ؛ يعنى إذا

---

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا قاسمه فأخذ كل واحد منهما حصته وروض واص متصل النبات .

تَشَقَّقُ مِنهنّ الجُيُوبُ إذا غَزَا وتُخْضَبُ مِنهنّ اللِّحَى والمَفَارِقُ (١)

يُجَنِّبُهَا مَن حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ (٢)

يُحَاجَى بِهِ: مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتاً والسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ (٣)

علت سيوفه الرؤس صارت بمنزلة المدارى، وإذا علت الأعناق صارت بمنزلة المخانق.

(١) تشقق - بحذف إحدى التاءين - أى تتشقق؛ ويروى تشقق - بضم التاء على البناء للمجهول - والجيوب: نائب فاعل؛ وضمير منهن للسيوف والجيوب: جمع جيب، ماينفتح على النحر من أعلى الثوب؛ والمفارق: جمع مفرق، وسط الرأس. يقول: إذا غزا شققت الثاكلات جيوبهن من جراء ماتفعله سيوفه من القتل، وخضبت لحى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء.

(٢) جنبته الشيء: إذا باعدته عنه؛ وصلى بالأمر يصلى: إذا قاسى حره وشدته؛ وأصله من صلى بالنار: إذا قاسى حرها. يقول: من غفل عنه حتفه - موته وهلاكه - ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو مَنْ نَفسُه طالق منه: أى مُفَارِقَتُهُ: كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه، إذ هى لامحالة قاتلته.

(٣) يحاجى به: أى يغالط - من الأحجية، وهى الكلمة المخالفة اللفظ للمعنى، كالشئ الملغز به يلقى على الإنسان ليستنبط معناه، كما قال أبو ثروان: ماذو ثلاث آذان، يسبق الخيل بالرَدَيان؟ يعنى السهم وآذانه قُذَذُهُ، وأصل الكلمة من قولهم: حجا يحجو إذا أقام وثبت، فقيل لها أحجية، لأن الملقى عليه يحتاج إلى التثبت والتفكر. يقول: إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا الممدوح يقولون: ماناطق وهو ساكت، ثم فسر هذا بالمصراع الثانى فقال يرى ساكتاً - يعنى الممدوح - لايفتخر ولايذكر شجاعته والسيف عن فيه

نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِى ... وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللهُ خَالِقُ (١)

كَأَنَّكَ فِى الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ ... وَفِى كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ (٢)

أَلَا قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا ... وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ (٣)

سَيُحْيِى بِكَ السُّمَّارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ ... وَيَحْدُو بِكَ السُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ (٤)

ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عمن بهذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(١) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ - الماضى - ومنه قول الأعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

يقول : أنكرتُ أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغربتك لكثرة ما رأيت فيك من المحاسن التى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبى ثم علمت أن الله قادر على أن يخلق ما يريد؛ وإذن لا عجب .

(٢) من قول البحترى :

تبرع حتى قال من لقى الوغى ... لقاءٌ أعادٍ أم لقاءُ حبائب

(٣) ألا أداة : استفتاح ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح - فاعل تبق - . والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبق على ما نزل بها منك . من كثرة استعمالها فى الحروب والغارات .

(٤) السمار : جمع سامر الذين يسمرون ليلا ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم الذى يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله مالاح وماذر : فما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأبيد ؛ يعنى : أنت أبداً يحيى السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى المسافرون بمدائحك فيحدون الإبل بها .

خَفِ اللهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ (١)

24 فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ (٢)

25 وَلَا تَفْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ وَلَا تَرْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ (٣)

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ (٤)

---

(١) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والخدور : جمع خدر . يقول : استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب فى خدورهن شوقاً اليك وهياماً بك ، ويروى حاضت ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال ـ زعموا ـ دَمُ حيضها ؛ والمعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذُبْنَ وهلكن عشقاً وهياماً .

(٢) و (٣) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ، رتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :

فلا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّهُ ولا يَضَعُ النَّاسُ ما يَرْفَعُ

وقال آخر :

كنَّا مُلوكاً وَكانَ أوَّلُنَا لِلحِلْمِ والبأسِ والنَّدَى خُلِقُوا

لا يرتق الراتقونَ ما فَتَقُوا يوماً ولا يَفْتُقُون ما رَتَقُوا

والأصل فى هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلوات الله عليه :

وما كنتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لا يُرْفَعِ

(٤) لك الخير : دعاء للممدوح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛ ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد الممدوح يقول : غيرى يطلب الغنى من غيرك أى أنا لا أطلبه إلا منك ، وغيرى يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .

هِىَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ الْمُنَى ... وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ (١)

وعرض عليه بدر بن عمار الصحبة للشرب فى غد فقال ارتجالا :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَّابَةً ... تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ (٢)

تُسِىءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ ... وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ (٣)

وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُّـــهُ ... وَذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ (٤)

وَقَدْ مُتُّ أَمْسِ بِهَا مَوْتَةً ... وَلَا يَشْتَهِى الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ (٥)

---

(١) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الا بعد : أى هى غاية مايطلبه الانسان ، فاذا بلغها لم يطلب بعدها شيئاً ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأنت جميع الناس .

(٢) المدامة : الخمر ؛ وغلابة : تغلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك الشوق ، كما قال البحترى :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِى الهُمُومَ وَتَبْعَثُ الشَّـ ... ـوْقَ الذِى قَدْ ضَلَّ فى الأَحْشَاءِ

(٣) أراد بسوء الأدب : مايكون من الشارب — من قول الخنا ، والعربدة والحركات المفرطة — وبتحسين الأخلاق ماتحدثه فيه من السماحة والبذل؛ وفى الخمر يقول القائل :

رأيتُ أقلَّ النَّاسِ عَقلا إذا انتشَى ... أقلَّهُمُ عَقلا إذا كانَ صَاحِيَا

تَزِيدُ حُمَيَّاهَا السَّفِيهَ سَفَاهَةً ... وَتترُكُ أخلاقَ الكرِيمِ كمَاهِيَا

(٤) يقول : أعز وأثمن ماللإنسان: عقله ، والعاقل يكره ضياع عقله .

(٥) جعل غلبة السكر على عقله كالموت ، ثم قال: ومن مات مرة لايشتهى العود اليه، وقد تجنى ابن وكيع - شنشنته مع المتنبي - فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم فى معنى السكر :

يُسِىءُ ويعذِرُهُ حُسنُهُ ... لَدَى عاشقيه بغير اعتذار

وقال فى وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لاعَيْبَ فِيهَا ... سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ (١)
أَمَرْتَ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقَتْنَا ... وَمَا أَلِمَتْ لِحَادِثَةِ الْفِرَاقِ (٢)
إِذَا هَجَرَتْ فَعَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ ... وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ اشْتِيَاقِ

وعرض عليه محمد بن طغج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي الْخَمْرَ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي ... وَوُدٌّ لَمْ تَشُبْهُ لِي بِمَذْقِ (٣)
يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ ... عَلَى قَتْلِي بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِي (٤)

محاسنُ تغفرُ ذنب الصدود ... كما غفر السكر ذنب الخُمار

وأين هذين من بيت المتنبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .

(١) الغدائر : جمع غديرة ، الذؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبرى « أن » هى مخففة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفاصل يفصل بينها : نحو سوف والسين ، ولا ، نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل لا تصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق : المزج ؛ وشابه : خالطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت بحياتك فشربتها ، ولأنى أحبك حباً خالصاً غير مشوب .

(٤) يقول : سقانيها إقسامك علىّ بذلك قسما لو أقسمته تريد به قتلى لفعلت ذلك .

وكان لأبى الطيب حجرة * تسمى الجهامة ، ولها مهر يسمى الطخرور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمُرُوجِ ٱلْخُضْرِ وَٱلْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةَ ٱلْعَوَائِقِ (١)
أَقَامَ فِيهَا ٱلثَّلْجُ كَٱلْمُرَافِقِ يَعْقِدُ فَوْقَ ٱلسِّنِّ رِيقَ ٱلْبَاصِقِ (٢)
ثُمَّ مَضَى لَا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَائِقِ (٣)

---

* أى فرس أنثى ، والذى فى كتب اللغة أنها الحجر ، قالوا والحجر : الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وسميت كذلك لأنهم جعلوها كالمحرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج . جمع مرج ، الموضع تمرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى؛ والحدائق : جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والخلا : الكلأ الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، مايعوق عن النفاذ فى الشىء . يقول : نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا بصق جمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن المعذل :

وَنسجَ الثلجَ على الطيور وأجمد الريقَ على الثغورِ

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه . وجعل أوائل ماذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقاً ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكأن الذوب قاده وساقه حتى ذهب . ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائد الشىء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ ... يَأْكُلُ مِنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لَاصِقِ (١)
كَقَشْرِكَ الْحِبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ ... أَرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوذَانِقِ (٢)
بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ ... عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَافِقِ (٣)
رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ... ذِي مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لَاحِقِ (٤)

---

(١) الطخرور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : الهارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه لإعواز المرعى كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يثبت فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى .

(٢) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها ؛ معرب ؛ وذلك أنهم كانوا يأخذون الخرق ويطلونها بشىء ثم يصقلونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاصق بالأرض بقشر الكاتب الحبر عن الصحيفة ؛ وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للمهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق : الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بمهر مثل الشوذانق . والشوذانق : الشاهين – الصقر – معرب سه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه كنصف البازى . يقول : أطلب الكلأ والنبات من هذا المهر بمهر كالشوذانق لخفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(٣) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل فى القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس فى العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ؛ والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع فى العضد ؛ وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له .

(٤) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد

مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زَاهِقٍ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ (١)

كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ (٢)

بَاقٍ عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالشَّقَائِقِ (٣) وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْهَجِيرِ الْمَاحِقِ (٤)

صدره واسعا يجىء ويذهب ليكون خطوه أبعد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق : فالطرائق طرائق اللحم ؛ ونائه من ناه الشيء ينوه : إذا علا ؛ ونهت به ونوهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق : أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى : الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيما جليلا . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يحبس نفسه . والأطل : الخاصرة : ولحوقها : ضمورها .

(١) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسيم العالى المشرف . والكميت: الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمهزول ؛ والغرة : البياض فى وجه الفرس ، والغرة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلا ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحى الأفق .

(٢) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

(٣ و ٤) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف ؛ والبوغاء: التربة الرخوة . والشقائق : جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى . والأبردان : الغداة والعشى . والهجير : شدة الحر وقت الهاجرة — نصف النهار — والماحق : الذى يمحق كل شيء بحرارته

لِلفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنهُ الوَاثِقِ   خَوفُ الجَبَانِ فى فُؤَادِ العَاشِقِ (١)
كَأَنَّهُ فى رَيْدِ طَوْدٍ شَاهِقِ (٢)   يَشْأَى إِلَى المِسْمَعِ صَوتَ النَّاطِقِ (٣)
لَوْ سَابَقَ الشَّمسَ مِنَ المَشَارِقِ   جَاءَ إِلَى الغَرْبِ مَجِىءَ السَّابِقِ
يَترُكُ فى حِجَارَةِ الأَبَارِقِ   آثَارَ قَلْعِ الحَلْىِ فى المَنَاطِقِ (٤)
مَشْيًا وَإِنْ يَعْدُ فَكَالخَنَادِقِ (٥)

يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة .

(١) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول: لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٢) فى ريد : أى على ريد؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود: الجبل ؛ والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال.

(٣) يشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٤) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك ؛ والمناطق : جمع منطقة ، مايشد بها الوسط . يقول: لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطئ الأبرق بحوافره ترك فيه آثاراً كآثار الحلى إذا قلع من المناطق .

(٥) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا — جرى — ترك آثاراً كالخنادق .

لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ ... لَأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الأَيَانِقِ [١]

إِذَا اللِّجَامُ جَاءَهُ لِطَارِقِ ... شَحَا لَهُ شَحْوَ الغُرَابِ النَّاغِقِ [٢]

كَأَنَّمَا الجُلْدُ لِعُرْيِ النَّاهِقِ ... مُنْحَدِرٌ عَنْ سِيتَيْ جُلَاهِقِ [٣]

---

(١) الضمير فى أوردت: للآثار المشبهة بالخنادق وغب سحاب أى بعده. وأحسبت: كفت، ومنه: حسبنا الله؛ أى كفانا. والخوامس: الإبل التى ترد الخمس — بكسر الخاء — وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع؛ والأيانق: جمع أينق، جمع ناقة. يقول: لو أوردت هذه الآثار التى هى كالخنادق بعد إقلاع سحاب صادق المطر لكان فيها من الماء ما يكفى نياقا عطاشا ترد الخمس: يعنى إذا أقلع السحاب وامتلأت آثار حوافره كفت الإبل العطاش. يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض إذا عدا.

(٢) شحا: فتح فاه. والناغق — بالغين والعين — الصائح. يقول: إذا ألجم لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق، يريد أنه — مع شدته وعتقه — لا يمنع من اللجام؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم.

(٣) الناهق: عظم ناتئ فى مجرى الدمع من الفرس، وهما ناهقان، ويستحب عريهما من اللحم؛ قال أهل اللغة: الناهقان عظمان شاخصان ينذران - يبرزان - من ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما النهاق - أى الصوت - ويقال لهما أيضاً النواهق. قال النابغة الجعدى يصف فرسا:

بِعَارِى النَّوَاهِقِ صَلْتِ الجَبِيـ ... ـنِ يَسْتَنُّ كَالتَّيْسِ ذِى الحُلَّبِ [١]

---

(١) الحلب: نبات ينبت فى القيظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلزق بالأرض حتى يكاد يسوخ، ولا تأكله الإبل، إنما تأكله الشاء والظباء، وهى مَغْزَرَة مَسْمَنَة وتحتبل عليها الظباء. قال الأصمعى: أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى هذا النبت.

بَزَّ الْمَذَاكِي وَهْوَ فِي الْعَقَائِقِ   وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَانِقِ [١]

وفى التهذيب : النواهق من الخيل والحمر حيث يخرج النهاق من حلقه ؛ وأنشد للنمر بن تولب :

فأرسل سهماً له أهزعا   فشكَّ نواهِقَه والفما [١]

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهق : البندق الذى يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيتى قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكى : جمع مُذَكٍّ : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : المذاكى الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فُرِرتُ عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أى السن ، قالوا والمُذَكّى أيضاً من الخيل الذى يذهب حُضره - جريه - وينقطع ؛ وفى المثل : جرى المُذَكّيات غلاب : أى جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجرى غلابا ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية فى الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والعقائق : جمع عقيقة ، وهى الشعر الذى يولد المولود وهو عليه ؛ والنقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الخيل المسنة وهو بعد فَلُوّ — أى مهر — صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام فى طول الساق وصلابته ، وذلك محمود فى الخيل كما قال امرؤ القيس :

* لهُ أيطلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعامةٍ *

---

(١) الأهزع : قيل هو خير السهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة . وقيل هو آخر ما يبقى من السهام فى الكنانة : جيداً كان أورديئا .

وَزَادَ فى الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ وَزَادَ فى الْأُذْنِ عَلَى الْخَرَانِقِ (١)
وَزَادَ فى الْحَذْرِ عَلَى الْعَقَاعِقِ يُمَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَائِقِ (٢)
وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقِ يُرِيكَ خُرْقًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ (٣)
يَحُكُّ أَنَّى شَاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ قُوبِلَ مِنْ آفِقَةٍ وَآفِقِ (٤)

---

(١) الخرانق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبى : وإن أذنه تزيد فى الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٢) العقاعق : جمع عقعق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل فى الحذر فيقال : أحذر من عقعق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه - أى ركضه - فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة فلعب أو جد حسب مراد صاحبه.

(٣) الخرق فى الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق؛ والحاذق: الماهر . يقول إنه لذكائه وحذقه إذا أحس سارقا بليل صهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ، أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو - الجرى - تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ، وحذقه أنه لا يخرج ما عنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبق جريه ، كما قال القائل :

ولَلْقارِحُ اليَعْبُوبُ خيرٌ عُلالةً مِنَ الجذَعِ المُرخَى وأبعَدُ مَنزَعا

وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

ذُو أولقٍ عِندَ الجِراءِ وإنما من صِحة إفراطُ ذاكَ الأولقِ

[الأولق : الخفة من النشاط كالجنون]

(٤) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين

بَيْنَ عِتَاقِ الْخَيْـلِ وَالْعَتَائِقِ فَعُنْقُهُ يُرْبِى عَلَى الْبَوَاسِقِ (١)
وَحَلْقُهُ يُمْكِنُ فِتْرَ الْخَانِقِ أَعْدَدْتُهُ لِلطَّعْنِ فِى الْفَيَالِقِ (٢)
وَالضَّرْبِ فِى الْأَوْجُهِ وَالْمَفَارِقِ وَالسَّيْرِ فِى ظِلِّ اللِّوَاءِ الْخَافِقِ (٣)
يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّفَاسِقِ يَقْطُرُ فِى كُمِّى عَلَى الْبَنَائِقِ (٤)

شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومنقاره إلى أىّ موضع أراد من جسده، ثم قال: إن العتق - الكرم - يكتنفه من قبل أبيه وأمه؛ فكرم الأم يقابل فيه كرم الأب. فالآفق من الخيل: الكريم الطرفين، وهى آفقة؛ ومن آفقة: حال، أى مولودا من آفقة وآفق: أى أنه كريم الأم والأب وكل من أمه وأبيه كذلك.

(١) البيت تتمه لما فى المصراع الأخير من البيت السابق؛ والعتاق من الخيل: الكرام؛ والإناث عتائق؛ والبواسق: جمع باسقة، النخلة العالية. يقول: إن أبويه آفقان بين كرام الخيل وكرائمها: أى أنه وسيط فى العتق ثم قال: وعنقه يزيد على النخل الطوال طولا. والخيل توصف بطول الأعناق، كما قال القائل:

* وَهَادِيها كأَنَّ جِذْعٌ سُحُوقُ *

(٢) يقول: إن أعلى حلقه دقيق حتى لو أراد الخانق أن يطوقه بفتره - مابين الإبهام والسبابة - لاستطاع وأمكنه ذلك، والفيالق: الكتائب من الجيش.

(٣) والضرب: عطف على الطعن. والمفارق: أوساط الرؤس حيث يفترق الشعر: واللواء: الراية؛ وخفقه: اضطرابه فى الهواء.

(٤) النصل: حديدة السيف؛ وسفاسقه: طرائقه؛ والبنائق: جمع بنيقة، لبنة القميص. يقول: يحملنى فى الحرب وسيفى يقطر دما — دم القتلى — فى

لَا أَلْحَظُ الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ وَامِقٍ ... وَلَا أُبَالِي قِـلَّةَ الْمُوَافِقِ (١)
أَيْ كَبْتَ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقِ ... أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ (٢)

وقال يهجو إسحق بن كيغلغ وقد بلغه أن غلمانه قتلوه :

قَالُوا لَنَا مَاتَ إِسْحقُ فَقُلْتُ لَهُمْ ... هٰذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحُمْقِ (٣)
إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا فَقْدٍ وَلَا أَسَفٍ ... أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقِ (٤)

كمى على بنائق . أى يحملى والسيف هذه حاله ؛ قال العكبرى : الرواية التى قرأت بها الديوان على شيخىَّ أبى الحزم وعبد المنعم : والنصل ذو ، بالرفع ، ورفعه على الابتداء ، والواو للحال ، أى فى هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفاً على الضمير المنصوب فى يحملنى ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أى مع النصل .

(١) لحظه : نظر اليه بمؤخر عينه . والوامق : المحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق محب لها فيذل لطلبها ولا أبالى أن لا أجد فيها من يوافقنى على طلب معالى الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدى .

(٢) أى: حرف نداء ؛ وكبت عدوه : أذله ورده بغيظه ، وكبته الله لوجهه: صرعه . قال ابن جنى يخاطب ممدوحاً له ، قال الواحدى : ليس فى هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحدا ، فكيف يخاطب ممدوحا ؟ إنما يخاطب المهر الذى وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدوننى عليك ثم قال : أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٣) يقول : لادواء للأحمق إلا الموت ، كما قال البحترى :

ما قضى اللهُ للجهولِ بسترٍ ... يتلافاهُ مثلَ حتفٍ قاضِ

(٤) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتَهُ ... خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرِ فِي الْمَلَقِ (١)

وَحَلْفَ أَلْفِ يَمِينٍ غَيْرِ صَادِقَةٍ ... مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ فِي نَسَقِ (٢)

مَازِلْتُ أَعْرِفُهُ قِرْداً بِلَا ذَنَبٍ ... صِفْراً مِنَ الْبَأْسِ مَمْلُوءاً مِنَ النَّزَقِ (٣)

كَرِيشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ ... لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ (٤)

---

* فإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيد

وإن عاش عاش وليس من يحفل به أو يبال؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة، كما قال الخبز أرزى:

فأنت فى الخلق لا وجهٌ ولا بدن ... وأنت فى الخُلْق لا عقلٌ ولا أدبُ

(١) هامته: رأسه؛ والخون: الخيانة؛ والملق: إظهار المحبة. يقول: إن العبد الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفى قلبه دغل. فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه.

(٢) رحلف: عطف على خون. يقول: وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه:

شَرَفٌ تتابعَ كابراً عن كابرٍ ... كالرُّمح أنبوبا على أنبوبِ

وقوله أيضاً:

نَسَبٌ كما اطَّرَدَت كعوبُ مُثَقَّفٍ ... لَدْنٍ يزيدُكَ بَسطةً فى الطُّولِ

(٣) يقول: مازلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له، وأعرفه فارغا من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً، ولله ابن الرومى حين يقول:

مَعشَرٌ أشبهوا القرودَ ولكن ... خالفوها فى خِفَّةِ الأرواحِ

(٤) يقول: هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر

تَسْتَغْرِقُ الكَفُّ فَوْدَيْهِ وَمَنْكِبَهُ ... وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الجَوْرَبِ العَرِقِ (١)

فَسَائِلُوا قَاتِلِيهِ كَيْفَ مَاتَ لَهُمْ ... مَوْتاً مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتاً مِنَ الفَرَقِ (٢)

وَأَيْنَ مَوْقِعُ حَدِّ السَّيْفِ مِنْ شَبَحٍ ... بِغَيْرِ رَأْسٍ وَلَا جِسْمٍ وَلَا عُنُقِ (٣)

لَوْلَا اللِّئَامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشَابَهَةٍ ... لَكَانَ أَلْأَمَ طِفْلٍ لُفَّ فِي خِرَقِ (٤)

من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال ، كما قال ابن الرومى :

حِلمك أطيشُ من ريشةٍ ... ورُوحكَ من هَضبةٍ أرجحُ

ولبعضهم :

ياريشةً فوقَ مهبّ الصبا ... يهفُو بها الريحُ على مَرْصَدِ
أطيشَ من قلب فتىً عاشِقٍ ... متيم بات على موعدِ

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو «الشراب» الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعَرِق : الذى بلّه العرَق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قمئ حقير ، فاذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فتكتسى أكفهم نتنا منه انتن رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل مابدا لك أن تقول فإننى ... أثني عليك بمثل ريح الجورب

(٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أى أمات لهم موتا ؛ والفرق : الخوف والفزع. يقول : هو جبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفا أومات بالضرب ؟ ولله أبو تمام حين يقول :

وإلا فأعلِمْهُ بأنك ساخط ... عليه فإن الخوفَ لاشكَّ قاتله

(٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شئ لدمامته وصغر قدره ، فكأنه لاأعضاء له .

(٤) يريد باللئام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابهاً

كَلَامُ أَكْثَرِ مَنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ ... مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْآذَانِ وَالْحَدَقِ (١)

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن على بن الحسين

ابن حمدان العدوى

أَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِى الْمَآقِ (٢)

لهم فيه لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الألأم، وبهذا قد سوّى بينه وبينهم؛ وفى هذا نظر إلى قول بعضهم:

إذا وَلدَتْ حليلةُ باهليٍّ ... غلاماً زِيد فى عددِ اللِّئامِ

(١) ومنظره: أى وجهه، أو النظر إليه، ويشق: يثقل. يقول: إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والهذر، ومنظره على الاحداق — العيون — لما ينطوى عليه من الغل والخبث واضمار غير الجميل وإن كان يلقاك بالبشر.

يلقاك والعسلُ المصفّى يُجتنى ... مِن قوله ومن الفِعالِ العلقمُ

يُبدى الهوى ويثورُ — إذ عرضت له ... فرصٌ — عليك كما يثور الأرقمُ

« الابيوردى »

فلا تغرّنك ألسنةٌ رِطاب ... بطائنهن أكبادٌ صَوادِى

« الديلمى »

فيا رُبَّ وجه كصافى النمير ... تشابه حاملهُ والنَّمِرْ

« شوقى »

إن شئتَ أن يسودّ ظنّك كلُّهُ ... فأجِلْهُ فى هذا السوادِ الأعظمِ

ليس الصديقُ بِمن يُعيرك ظاهراً ... مُتبسماً عن باطنٍ متجهمِ

« أبو تمام »

(٢) حسب يحسب — بفتح السين فى المضارع وكسرها لغتان — وأراها:

كَيْفَ تَرْثِى الَّتِى تَرَى كُلَّ جَفْنٍ   رَاءَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِى (١)

أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكِ لَكِنَّـ   ـكِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنًى وَاشْتِيَاقِ (٢)

حُلْتِ دُونَ الْمَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْ   تِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ (٣)

أنطها : والمآق : جمع مؤق ، مؤخر العين مما يلي الأنف . يقول ـ لصاحبه : أنطها لكثرة ما ترى الدمع فى مآق عشاقها تتوهم أنه خلقه فيها فلا ترحم من يبكى ولا ترثى ، كما قال فى البيت التالى .

(١) راءها : أصله رآها ؛ قدم الألف وأخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقئ : تقول رقأ الدمع والدم يرقأ إذا انقطع ، فليّنه . يقول : إن هذه المعشوقة لاترحم باكياً ، وكيف ترحمه وهى ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها فهى لا ترحم أحداً لأنها تظن الدموع فى أجفان العشاق خلقة؟ .

(٢) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو حال من الضمير المستتر فى الخبر يقول : أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعتها منا إلا أنك عوفيت من الضنى ـ النحول ـ والاشتياق لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعنى فتنت نفسك : أى بالحب ؛ أى وأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جحظة :

لو ترى ما أراهُ منكَ إذا ما   جال ماءُ الشباب فى وجنتَيكا

لتمنّيتَ أن تُقبّلَ خدّيْـ   ـك وإن لم تصلْ إلى خدّيكا

(٣) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والمزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نحلت شوقا إليك ، فلو

إنَّ لَحْظًا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتْفَ اتِّفَاقِ (١)
لَوْ عَدَا عَنْكِ غَيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ الْمَنَاقِي (٢)
وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ (٣)

زرتني اليوم لم تقدري على معانقتي لشدة نحولي ودقة جسمي . فليس في بقية لعناقك .

(١) يقول : إن النظر الذي كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحتف ـ الهلاك ـ من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا في حبائل الهوى .

(٢) عدا عنك : صرف عنك ومنع من لقائك . وغير : استثناء مقدم ؛ وبعد : فاعل عدا ـ وقال العكبري : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف النكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الأبل ، والمناقي : جمع منقية ، وهي الناقة السمينة التي في عظامها نِقى ـ أي مخ ـ يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لا هجرك لواصلنا السير إليك حتى تنضى الأبل ويسيل مخها : أي لأتعبناها في طي البعد بيننا ، ولكن الذي يحول بيننا هو الهجر ، وهو مالا سبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أَبْعَدُ نأيِ المليحة البخَلُ فى البُعدِ ما لا تُكلفُ الإبلُ

(٣) الضمير في عليها : للمناقي ، والارماق : جمع رمق ، بقية الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نحلنا وهزلنا من شدة الشوق حتى نصير من الخفة كأننا أنفاس على أرماق : أي على ابلنا التي نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الذماء فكأنها أرماق : كما قال الآخر :

* أنضاءُ شوقٍ على أنضاءِ أسفارِ *

مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْعُيُونِ اللَّوَاتِى ... لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ (١)
قَصَرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِى الْمَوَاضِى ... فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِى الْبَوَاقِى (٢)
كَاثَرَتْ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا ... لِ بِمَا نَوَّلَتْ مِنَ الْإِيرَاقِ (٣)

وكما قال هو أيضاً :

بَرَتنى السُّرَى بَرْىَ الْمُدَى فرددننى ... أخفَّ على المركوبِ من نفسي جِرْمى

وقال ابن جنى : ولسرنا ولو وصلنا إليك ، هى تحملنا على استكراه ومشقة كما تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأنا قد بلغنا أواخر أنفسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال كيف يحمل الرمق النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره ؟ ثم فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والاشفار : جمع شفر منبت الهدب ؛ والحداق : جمع حدقة سواد المقلة . يقول : أى شىء أصابنا من هوى العيون الكحلاء الجفون السوداء الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتها بالهجران . وأيام الوصال توصف بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى الهجر بليالى الوصال : أى بذكرها والتحسر عليها .

(٣) قال الواحدى : الإيراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً ، وأورق الغازى إذا لم يغنم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئا قال : وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت : هى تطلب بإسهادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية ، فكأنها تكاثره نوالا ، لكن نوالها الأرق ونواله الورق . قال الواحدى : فإن كان أبو الطيب أراد بالإيراق هذا — أى أنه من الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإيراق من الأرق إنما يقال أرق يأرق أرقاً وأرقه تأريقا ، والأولى أن يحمل الإيراق على منع الوصل والتجنيب

لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ ... سَادَ هٰذَا الْأَنَامَ بِاسْتِحْقَاقِ (١)

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْـ ... ـلَقَ بِالذُّعْرِ وَالدَّمِ الْمُهْرَاقِ (٢)

ذَاتُ فَرْغٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمُخْـ ... ـبَرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ (٣)

منه . يقول : هي فى منعها وصلها فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية . فكأنها تكاثر عطاءه بمنعها لينظر أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(١) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس؛ وخبرها : الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فساد الخلائق بحق غير هذا الممدوح ؛ ومما يتصل بمعنى البيت قول البحترى :

قدرهُ مرتفع عن حظهِ ... لا يرُعك الحظُّ لم يوجد بحقّْ

(٢) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : المصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعتها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفا شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما فى البيت ، يريد أنه يخرج منها دم ثائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٣) ذات : خبر مبتدأ محذوف : أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والمخبر : يروى بفتح الباء وبكسرها . يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجرى من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدِّث خوفا واستعظاما حتى لكأنها فى جوفه

ضَارِبُ الْهَامِ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَرْ هَبُ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِ (١)
فَوْقَ شَقَّاءَ لِلْأَشَقِّ مَجَالُ بَيْنَ أَرْسَاغِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ (٢)
مَا رَآهَا مُكَذِّبُ الرُّسْلِ إِلَّا صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبُرَاقِ (٣)

(١) يقول : هو ضارب الهام — الرؤس — فى الهيجاء، ويسقى الأقران كؤس الموت ولا يبالى أن يشرب مايسقيهم شجاعة وولوعا بالمجد والفخار ومن ثم لايبالى بالموت

(٢) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق ، إذا كان رحب الفروج طويل القوائم، قال جابر أخو بنى معاوية بن بكر التغلبى :

وَيومَ الكُلابِ استنزَلَتْ أسلاتُنا شُرَحبيلَ إذ آلى أَلِيَّةَ مُقْسِم
لِيَنتزِعَنْ أرماحنا فأزالهُ أبو حَنَشٍ عن ظهرِ شَقَّاءَ صِلدِمِ (١)

والأرساغ : جمع رسغ ، وهو مستدق مابين الحافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق : جلدة البطن ؛ قال الأصمعى : الصفق الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، وأنشد للجعدى :

أطمَنُه بِتُرسٍ شَدِيدِ الصِّفَا قِ مِن خَشَبِ الجوزِ لم يُثقَبِ (٢)

يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان — الذكر — الطويل بين قوائمها و بطنها .

(٣) البراق : هو ذلك الذى روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله عليه ركبه ليلة الإسراء وقطع به مابين الأرض والسماء فى ليلة ، وقيل فى وصفه

---

(١) عن ظهر: يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول حلف عدونا لينتزعن أرماحنا من أيدينا فقتلناه (٢) يقول: ذلك الموضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق.

هَمُّهُ فِي ذَوِي الْأَسِنَّةِ لَا فِيـهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنِّطَاقِ ⁽¹⁾
ثَاقِبُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْـدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِقْلَاقِ ⁽²⁾
يَا بَنِي الْحٰرِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَعْـدَمْكُمُ فِي الْوَغَى مُتُونُ الْعِتَاقِ ⁽³⁾
بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِ يِ فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ التَّلَاقِي ⁽⁴⁾

أنه يضع يديه عند منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجرى جرى البراق ، فاذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ماقيل فى وصف البراق .

(١) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : مايشد به الوسط . يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها — رماحها — حوله كالنطاق ، فان همته حينئذ إنما هى فى الأبطال وأخذ ارواحهم لا فى اتقاء رماحهم ، فهو لايبالى بها ولا هى تثنيه عنهم .

(٢) ثقوب الرأى : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : المضيء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم : الأناة والتعقل . يقول : لايقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

يعتصِمُ الحلم بجَنْبي حبوتى إذا رياح الطيش طارت بالحبا

(٣) الحارث بن لقمان : جد أبى العشائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن لايفارقوا ظهور الخيل فرسانا فى الوغى — الحرب — قال ابن جنى : قوله فى الوغى حشو إلا أن فيه نكتة ، وهى أنهم ملوك إنما يركبون الخيل لحرب أو دفع ملم ، لذلك خص حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل فى الوغى لاقتضى الدعاء أن لايفارقوا ظهورها فى وقت ، وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(٤) يقول : بعثوا خوفهم فى قلوب الأعداء قبل وصولهم اليهم ، فكأنهم

وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِى نَفْسَهَا إِلَى الأَعْنَاقِ (١)

وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الإِشْفَاقِ (٢)

كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْناً كَبُدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ (٣)

قاتلوهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما فى قلوبهم من الأوجالِ

هذا : والأعادىّ — بالتشديد — جمع الأعداء ، وأصله أعادئ بالهمز فأدغم .

(١) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضى : تستل . يقول : انهم عودوا السيوف أن تغمد فى الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أغمادها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبى تمام :

وتَبَهْنَ مثل السيف لو لم تَسُلَّهُ يدانِ لسلته ظُباهُ من الغِمْدِ

(٢) الاشفاق : الخوف والفزع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلدوا وصبروا .

(٣) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدا محذوف : أى هم — الممدحون — كل ذمر الخ ؛ والمحاق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا فى طلب المجد والرفعة ازداد شرفهم فازداد حسن ذكرهم بموتهم ، كالبدور فانها تستفيد الكمال بالمحاق ، و مالم تصر إلى المحاق لم تتم ، لأنها فى المحاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فمحاقها سبب كمالها ؛ كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفا . وقال ابن جنى : تمامها فى المحاق الكلام متناقض الظاهر ، لأن المحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له ذلك قوله يزيد فى الموت حسناً : أى هو

جَاعِـــل دِرْعَـهُ مَنِيَّتَـهُ إنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقِ (١)

من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا فى طلب المجد، فشبههم ببدور تمامها فى محاقها، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف والتعجب منه، فشبه مايجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعا وتصرفا.. وقال ابن فورجه: أراد أن البدور يفضى أمرها إلى المحاق. فهو غايتها التى تجرى إليها ومصيرها الذى تصير اليه، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم، وليس التمام فى هذا البيت الذى يعنى به استكمال الضوء، والدليل على ذلك قوله كبدور والبدور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوئها، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهلة.. قال الواحدى: وعلى هذا الامدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك؛ وإنما شبههم ببدور تمامها فى المحاق بريادتهم حسناً بالموت لانتهاء آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بمالا يخرج عما ذكرناه أولا.

(١) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقى العار ولو بموته، فإذا لم يجد واقيا من العار غير منيته جعلها درعا له، فاتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وقد كانَ فَوتُ الموتِ سهلا فردّهُ إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلقُ الوعرُ

وقال بعضهم:

ومَوتٌ لا يكون عليّ عارا أحبُ إليّ مِنْ عَيشٍ رِماق (١)

---

(١) الرماق: العيش اليسير الدون الذى يمسك الرمق، ومن كلامهم: موت لا يجر إلى عار خير من عيش فى رماق، ومنه العيش المرمق: أى الدون قال الكميت:

أراناعلى حُبّ الحياة وطُولِها يُجَدُّ بنا فى كل يوم ونَهزِلُ

كَرَمٌ خَشَّنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ ⁂ فَهْوَ كَالْمَاءِ فِي الشِّفَارِ الرِّقَاقِ (١)
وَمَعَالٍ إِذَا ادَّعَاهَا سِوَاهُمْ ⁂ لَزِمَتْهُ جِنَايَةُ السُّرَّاقِ (٢)
يَابْنَ مَنْ كُلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِي ⁂ غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ (٣)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكَرِّ لِقَوْمٍ ⁂ حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ (٤)

---

(١) الكرم: ضد اللؤم: والشفار: جمع شفرة، حد السيف. والرقاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لهم كرما خشن جوانبهم على الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الخسف ويقبلوا الإهانة، ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابة ومضاء ونفاذا، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وكالسيف إن لاينته لان مَتْنُه ⁂ وحدّاه إن خاشنته خشنانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فإنّ الحسامَ الهندُوانيّ إنما ⁂ خشونتُه مالم تُفلَّل مضاربه

(٢) يقول: لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاها سواكم نسب إلى الخيانة والسرقة.

(٣) يقول: أنت شديد الشبه بأبيك، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه، وإن غاب شخصه، وقال ابن الرومي:

إذا سافَ أودَى وخلّف مثلَه ⁂ فما ضرّه أن غيّبته الروامسُ

(٤) تنكرت: غيرت زيك حتى لا تعرف، والمكر: مكان الكر في

نعاجُ مُرَمَّقًا من العيش فانياً ⁂ له حارِكٌ لا يحملُ العِبءَ أجزلُ
[الحارك: أعلى الكاهل].

كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزَّنْدُ وَالآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فى الآفَاقِ (١)
قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ (٢)
إِلْفُ هٰذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فى الأَنْفُسِ أَنَّ الْحِمَامَ مُرُّ الْمَذَاقِ (٣)

الحرب . يقول : لو غيرت زيك فى ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التى لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جنى : فى المكر حشو وفيه نكتة ، وهى أنه إنما شبهه فى المكان الذى يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبهه فيها لا فى غيرها مما ليس له شهرتها . وقال التبريزى : حلفوا أنك ابنه : أى ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ، فكأن المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(١) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحى الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهى قد اشتملت على نواحى الأرض ، أى استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت فى قبضته

(٢) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيوف الحديد لامتناعك على أسلحتهم ببأسك وشجاعتك وشدة شوكتك . فلا يلقونك إلا بسيف النفاق ، يعنى أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٣) قال أبو العلاء المعرى : إن هذا البيت والذى بعده يفضلان كتابا من كتب الفلاسفة ، لأنهما متناهيان فى الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألفت هذا الهواء فظنت أن الموت كريه الذوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع فى الأنفس أن الموت مر الطعم . قال الواحدى : وفى هذا بيان

وَالأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ   وَالأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الفِرَاقِ (١)
كَمْ ثَرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ   كَانَ مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقِ (٢)
وَالغِنَى فِي يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ   قَدْرَ قُبْحِ الكَرِيمِ فِي الإِمْلَاقِ (٣)

عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهروه بالحرب ، لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام ، قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية . فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية بضد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الميت بشىء مما هو فيه . وعبارة أبى الفضل العروضى : لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر وينغص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب فى هذا إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذى قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام . قال : هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الألحاد . وإنما قال هذا من حيث الظاهر .

(٢) الثراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقته من إساره وأبحته لطلابه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال فى يد اللئيم قبيح - لأنه يضن به عن حقوقه - كما يقبح الفقر فى يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم فى الإملاق : يريد أن يقول قدر قبح الإملاق فى الكريم ، فقلب للضرورة

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسِ فِعْلِكَ كَالشَّمْـ ـسِ وَلٰكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ (١)

شَاعِرُ الْمَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـ ـظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدِّقَاقِ (٢)

لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلٰكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النُّهَاقِ (٣)

والقافية . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لله كانَتْ عِنْدَهُ فكأنَّها في غُرْبَةٍ وإسارِ

وقول العطوى :

نعمة الله لا تُعاب ولكنْ ربما استُقْبِحَتْ على أقوام

لا يليق الغِنى بوجه أبي يَعْـ ـلى ولا نُورُ بهجةِ الإسلامِ

وسِخِ الثَّوبِ والقلانسِ والبِرْ ذَوْنِ والوجهِ والقفا والغُلامِ

(١) يقول : إن قولى لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس في الإشراق : أي أن قوله في فعل الممدوح الذي هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفؤاً له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعاني الدقيقة فهو يفتن في صناعته : وأرد بالخدن : نفسه ، جعل نفسه خدنا ـ صاحبا وصديقا ـ للمدوح ترفعا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبي تمام :

غَرُبَتْ خلائقُهُ فأغرب شاعرٌ فيه فأبدَعَ مُغرِبٌ في مُغرِبِ

(٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار في مديحك ـ لأنك ملك همام كثير المداح ـ ولكن شعرى يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد

لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِى الْأَدْ ... هُرِ أَوْ رِزْقِهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ (١)
أَنْتَ فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ ... يَشْتَهِى بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلَّاقِ (٢)

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثر سؤّاله وغاشيته فقال له إنسان جعلت مضربك على الطريق فقال: أحب أن يذكره أبو الطيب فقال:

لَامَ أُنَاسٌ أَبَا الْعَشَائِرِ فِى ... جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرِقِ (٣)
وَإِنَّمَا قِيلَ لِمْ خُلِقْتَ كَذَا ... وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخُلُقِ (٤)

نهيق الحمير، ولعله ينظر فى هذا إلى قول خداش بن زهير.

ولن أكونَ كمن ألقى رحالَهُ ... على الحمارِ وخلّى مَنْسِجَ الفرسِ

وقول الآخر:

أَلِمَّ بابنِ عمِّك لا تكونى ... كمختارٍ على الفرسِ الحمارا

(١) يقول: إن دهرك بجدود - محظوظ - مرزوق بك، فليت لى مثل ماله من الحظ والرزق، ثم بين ذلك فى البيت التالى.

(٢) يقول: كان كل عصر يشتهى بعض هذه السعادة لأنه لا يطمع فى كلها ومثله لمسلم بن الوليد:

كالدهرِ يحسُدُ أولاه أواخرَهُ ... إذ لم يكن كان فى أعصارِه الأُوَل

وفيه نظر إلى قول أبى تمام.

مَضَى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بُقعَةٌ ... غداةَ ثوى إلا اشتهت انها قبرُ

(٣) العين: الذهب؛ والورق: الفضة، وقيل هى الدراهم المضروبة.

(٤) يقول: إن الذى يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما؟ أى أنه طبع على الجود وليس ينفع اللوم على ماطبع عليه الإنسان؛ لأن المطبوع على الشىء لا يستطيع أن يحيد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته،

قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطُّرُقِ (١)

فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ (٢)

بِضَرْبِ هَامِ الْكُمَاةِ تَمَّ لَهُ كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ (٣)

والذى خَلق خَلْقَه خلق خُلُقَه.

(١) كان أبو العشائر بميافارقين ، فضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحته ونداه فى البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصاد ؟!

(٢) الشح : البخل ؛ والفرق : الخوف والذعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا ، وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف ، وذلك أن الشح خوف الفقر . والشجاع لا يفرق ، كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول أبو تمام :

وإذا نظرتَ أبا يزيد فى وَغًى ونَدًى ومُبدِى غارةٍ ومُعيدا
يَقْرِى مُرَجِّيه مُشاشَةَ ماله وشَبا الأسنَّةِ ثُغرَةً ووريدا(١)
أيقنتَ أن من السماح شجاعةً تُدْمِى وأن من الشجاعة جودا

ويقول الآخر :

إلى جوادٍ يَعدُّ البخلَ مِن جُبُنٍ وباسلٍ بُخلُه يعتدّه جُبنا
يَلقَى العفاةَ بما يَرجونَ من أمَلٍ قبلَ السؤال ولا يبغى به ثمنا

(٣) الهام : الرؤس ؛ والكماة : جمع كمى ، الشجاع المستتر فى سلاحه . يقول : إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يُحَب من يتملق الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب الهام ما يكسبه المتملق ، كما قال :

---

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة رأس العظم الذى يمكن مضغه ، والثغرة — بالضم — نقرة النحر

الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا يَحْجُبُهَا بُعْدُهَا عَنِ الْحَدَقِ (١)

كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْغَرَقِ (٢)

ومِن شَرَفِ الإقدام أنكَ فيهِم على القتلِ مَوْموقٌ كأنك شاكِدُ (١)

(١) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع بعدها يراها كل راء .

(٢) يقول : كن أيها الجود بحراً ذا لجة مهلكا ، فهو لايخاف الفقر ولا يقدر على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سُؤاله وقصاده مالا أخذ له سيفه أضعاف ذلك ؛ وهذا كقوله :

فالسِلمُ يَكسِرُ مِن جناحَيْ مالِهِ بنواله ما تجبُرُ الهيجاء

وقيل المعنى : كن أيها الجود بحرا إن شئت فإنه لايخاف أن يغرق لأن سيفه أعطاه الأمان من كل تهلكة ، يريد أنه مع سماحته شجاع حتى لو صار الجود تهلكة ما خافه .

---

(١) شكده : أعطاه أومنحه .

قافية الـكاف

وقال وقد أجل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا ... وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاظَتْ بِهِ مَلِكَا (١)

مَنْ يَعْرِفِ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا ... أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا (٢)

تَسُرُّ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ ... إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَا (٣)

ولما أُنشد أجاب دمعى (٤) الخ استحسنها فقال :

إِنَّ هٰذَا الشِّعْرَ فِي الشِّعْرِ مَلَكْ ... سَارَ فَهْوَ الشَّمْسُ وَالدُّنْيَا فَلَكْ (٥)

---

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك ـ انصب ـ بسيف الدوله ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه ؛ ورب قصيدة مدح بها فغاظت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسنها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يجحد فضلك كالشمس لايدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، وهما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداشيئاً فقد سررت بمالك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر فى هذا إلى قول عدى بن زيد :

ولك المال والبلاد وما ... يُملكُ من ثابتٍ ومُستاقِ

(٤) أراد القصيدة التى مطلعها :

أجاب دمعى وماالداعى سوى طَلَلِ ... دعاه فلباهُ قبل الرَّكبِ والإبِلِ

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالملك بين الناس يفضل سائر الأشعار

عَدَلَ الرَّحْمٰنُ فِيهِ بَيْنَنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدِ لَكْ [١]

كما تفضل الملائكة الخلق ، وهو سائر فى الدنيا سير الشمس فى السماء . هذا :
والملك — بالتحريك — واحد وجمع . قال الكسائى : أصله مَأْلَكَ — بتقديم
الهمزة — من الألوكة ، وهى الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل مَلْأَك .
وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلى يمدح بعض الملوك ، قيل هو
النعمان : وقال ابن السيرافى : هو لأبى وَجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السماء يَصوبُ

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك . فلما جمعوه ردوها إليه ،
فقالوا : ملائكة وملائك أيضا ، قال أمية بن أبى الصلت :

وكأنَّ بِرْقِعَ والملائكَ حولها سَدِرٌ تواكلَه القوائمُ أجربُ [١]

قال ابن برى : صوابه أجرد — بالدال — لأن القصيدة دالية ، وقبله :

فأتمَّ سِتًّا فاستوت أطباقها وأتى بسابعة فأنى تورَد

وفيها يقول فى صفة الهلال :

لا نقصَ فيه غير أن خَبِيئَهُ قمرٌ وساهورٌ يُسلُّ ويغمَدُ [٢]

(١) يقول : عدل الله فيه بينى وبينك فقضى لى بالإحسان فى نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فحكم لى بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائما ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

خذْ مِنْ فوائدكَ التى أعطيتَنى فالدُّرُّ دُرُّكَ والنِّظام نِظامى

---

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هى السابعة ، وسدر : أى بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد لملاسته لا لجريه . وقوله تواكله القوائم : أى تواكلته الرياح فلم يتموج
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعمه العرب .

فَإِذَا مَرَّ بِأُذْنَىْ حَاسِدٍ صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلَكْ (١)

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح:

أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُكُ (٢)
أَلْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكُ (٣)

---

(١) يقول: إذا سمع شعرى حاسد لى من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله. وما فيه من المحامد لم يمدح به أحد من الملوك.

(٢) الحبك: طرائق النجوم فى السماء. جعل مجلسه فى علو قدره كالسماء. غير أنه ليست له طرائق كما للسماء.

(٣) الفرقد: نجم معروف، وهما فراقدان. جعل ابنه - وهو قريب من المصباح - كالفرقد، وأراد بالصاحب: الفرقد الآخر، وفى هذا نظر إلى قول على بن الجهم:

كأنه وَوُلاةُ الأمر تَتْبَعُهُ بدر السماء تليه الأنجمُ الزُهرُ

وقال ابن وكيع: هذا التشبيه من قول أبى نواس:

قَضى أيلولُ وارتفع الحرور وأذكت نارَها الشِعرَى العَبور
فقومَا فانكِحَا خمرا بماء فإن نتاجَ بينهما السرور
نتاجٌ لاتَدُرُّ عليه أم بحَمْـل لا تعدّ له الشهور
إذا الكاسات كرّتها علينا تكوّن بينها فلك يدور
تسير نجومه عَجِلا ورَيثاً مشرِقة وأحيانا تغور
إذا لم يُجزهِنَ القطب مِنّا وفى دوراتهن لها نشور

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحترى :

بَكَيْتُ يَارَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكَا ... وَجُدْتُ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِيكَا (١)

فَعِمْ صَبَاحاً لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي شَجَناً ... وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوكَا (٢)

بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذاً ... رِئْمَ الفَلَا بَدَلاً مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَا (٣)

أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا انْبَعَثْنَ لَنَا ... إِلَّا ابْتَعَثْنَ دَماً بِاللَّحْظِ مَسْفُوكَا (٤)

---

(١) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى كان به أهله . يقول : بكيت عليك ياربع حتى لو كنت ممن يعقل لرثيت لحالى وبكيت لبكائى ، فقد أتلفت نفسى وأفنيت دمعى فى مغانيك أسفا عليك وتذكراً لأهلك . فقوله وجدتُ بى : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أتلفتها .

(٢) عم صباحا : بمعنى انعم ، يخاطب الربع على عادة العرب فى مخاطبة الربوع والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول — للربع على سبيل الدعاء : أنعم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق لفقد الأحبة .

(٣) الرئم : الظبي الخالص البياض ، والفلا : جمع فلاة الصحراء . يقول : أى حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا من ظباء الإنس اللاتى رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام :

وَظِباءِ أنسك لم تبدَّلْ بعدها ... بظباءِ وَحشكَ ظاعنا بمقيم

(٤) أرادبالشموس : الحسان ؛ وانبعثن : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وابتعثن : أسلن . يقول : إنى لأذكر أيام فيك شموس ماظهرن لنا إلا أبكيننا دما مصبوبا بنظرنا إليهن : أى أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :

وَالعَيْشُ أَخْضَرُ وَالأَطْلَالُ مُشْرِقَةٌ كَأَنَّ نُورَ عُبَيْدِ اللهِ يَعْلُوكَا (١)
نَجَا امْرُؤٌ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ وَخَابَ رَكْبُ رِكَابٍ لَمْ يَؤُمُّوكَا (٢)
أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا (٣)

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته إلاّ تشحط بينهن قتيلُ

وقال أشجع السلمى :

فإذا نظرتَ إلى محاسنها فلكل موضع نظرةٍ قتلُ

وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وجفون لك لاتطْـ رف إلاّ عن قتيل
ماجميل الصبر عنها عند مثلى بجميل

(١) خضرة العيش : كناية عن الخصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار. يقول : كان العيش رغداً طيباً وأطلالك - أى التى هى أطلال اليوم - كانت مشرقة قبل تفرق الأحبة وارتحالهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص:

(٢) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك: يقول : تخلص من مكاره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بانتجاعه وخاب من لم يقصدك ، ويروى بدل ركب ركاب : ركب رجاء ؛ أى قوم ركبوا وفى قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك .

(٣) يقول : انك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والمجد ، وعلمتهم من غوامض المعانى حتى استغنوا عن إخراجها بالفكر ، فسهل عليهم الشعر حتى كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً ، فامتدحوا ممدوحيهم بما فيك من خصال المجد ومعانى الشرف وهى لك ، غير أنهم ينحلونها ممدوحيهم ، وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى :

مدحَ الأولونَ قوماً بأخلا قِكَ من قبلِ أن ترَى مخلوقا

وَعَلَّوا النَّاسَ مِنكَ المَجدَ واقتدروا ... عَلَى دَقيقِ المَعَانِي مِن مَعانِيكا (١)

فَكُنْ كَمَا أنتَ يا مَنْ لا شَبيهَ لَهُ ... أو كيفَ شِئتَ فما خَلقٌ يُدانيكا (٢)

شُكْرُ العُفَاةِ لِما أوليتَ أوجدَني ... إلى نَدَاكَ طَريقَ العُرفِ مَسلُوكا (٣)

وَعُظْمُ قَدْرِكَ في الآفاقِ أوهَمَني ... أنّي بِقِلّةِ ما أثنيتُ أهجُوكا (٤)

نحلوهم ذخائراً لكَ بالبا ... طِلِ مِنْ قولهم وكانَ زَهوقاً

فانتزعنا الحقوقَ من غاصبيها ... فَحَبا صادقٌ بها مَصدوقاً

وفى البيت التالى زيادة بيان لمقصوده

(١) مثله لأبي العتاهية :

شِيَم فتحتَ مِنَ المدحِ ماقد ... كانَ مُستغلِقاً على المدّاح

ولابن أبي فنن :

يُعلّمُنا الفتحُ المديحَ بجوده ... ويُحسِنُ حتى يُحسِنَ القولَ قائلُه

وقال أبو تمام :

ولولا خِلال سنّها الشعرُ مادرى ... بُناة العلى مِن أينَ تؤتى المكارم

وقال أيضاً :

تُغرَى العيون بهِ ويُفلق شاعر ... في وصفه عفواً وليسَ بمفلقِ

(٢) يقول : كن على الحالة التى أنت عليها أوكما شئت ، فليس أحد يقاربك فى أوصافك وأخلاقك ، وإنما قال كماشئت : لأنه لايكون إلا على طريقة من الكرم والمجد بديعة فى جميع أحواله .

(٣) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ؛ وأوليت : أعطيت . وأوجدنى : جعلنى أجد . يقول : إن شكر السائلين لعطائك دلنى عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا اليك فسلكته إلى جودك .

(٤) الآفاق : النواحى . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر فى جنب قدرك حتى

كَفَى بِأَنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ فِى شَرَفٍ   وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِيكَا (١)

وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ   عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِى مِثْلَ شَانِيكَا (٢)

لَبَّى نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِى   يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِى وَأَفْدِيكَا (٣)

لتخيلت الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر إستحقاقك ، قال البحترى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ المديح فقد كا   دَ يكُونُ المديحُ فيه هجاءَ

(١) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : فى موضع رفع فاعل كفى ؛ وفى شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر فى الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والموالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — فى موضع شريف أو نسب شريف فان فخرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك

(٢) الشانى : المبغض ، وأصله الشانئ — بالهمز — فلينه للقافية . يقول لو نقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقلة مثل عدوك الذى يبغضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لو كما تنقص تزدا   د إذن نلت السماء

ثم نقله أبو تمام فقال :

أَمَا لو انّ جهلكَ كان علما   إذن لنفذتَ فى علم الغيوب

(٣) لبى : تثنية لب - مثل لبيك ، واللب : اسم من الإلباب ، وهو الملازمة يقال ألبّ بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الاضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم لبيك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ، وقوله من رجل : فمن زائدة ؛ والمجرور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبى نداك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع

مَا زِلْتَ تُتْبِعُ مَا تُولِي يَدًا بِيَدٍ ... حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكَا (١)

فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتٌ عُرِفْتَ بِهَا ... أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فُوكَا (٢)

من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا مجيب لما يريد بي من الاحسان إليّ وصوغ المديح له . ثم دعا للممدوح فقال: يفديك من رجل صحبي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ ويدا : بدل بعض من الموصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أياديك عندى فظننت أن حياتى كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لا تَنْتِفَنِّي بعدَ أن رِشْتَنِي ... فإنَّني بعض أياديكا (١)

(٢) ها - ههنا- بمعنى خذ. يقول : فإن قلت لى خذ فتلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فانك لاتقول لا — أى لاأعطيك أولاأقضى حاجتك - فانّ فاك - فمك - لايجود بهذه الكلمة ، ولسانك لايؤتيك عليها ، لأنك لم تتعود ذلك؛ وفى مثل هذا يقول الفرزدق :

مَا قالَ لاقطُّ إلا فى تشهدِهِ ... لولا التشهُّدُ كانَت لاءَهُ نَعَم

ويقول أبو العتاهية :

وإنّ الخليفةَ مِن بُغضِ لا ... إليهِ ليُبغِضُ مَنْ قالها

ويقول العكوك فى ابى دلف :

ماخطّ لا كاتباهُ فى صحيفته ... كما تخطط لا فى سائر الكتب

وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى الصاحب كتبا وكتب معها :

العميرى عبدكافى الكفاة ... وإن اعتدّ من وجوه القضاة

---

(١) يقال راشه يريشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، ونتف الريش نزعه ؛ والمراد هنا : سلبه ماأعطاه إياه.

ورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار
بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهَنَّا بِصُورٍ أَمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا ... وَقَلَّ الَّذِي صُورٌ وَأَنْتَ لَهُ لَكَا (١)
وَمَا صَغُرَ الأُرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي ... حُبِيتَ بِهِ إِلاَّ إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَا (٢)

خدَمَ المجلسَ الرفيعَ بِكُتْبٍ ... مُتْرَعاتٍ من حسنها مُفْعَمات

فكتب إليه الصاحب :

قد أخذنا من الجميع كتابا ... وَرَدَدنا لوقتها الباقيات
لستُ أستغنم الكثير فطبعي ... قول خُذ ليس مذهبي قول هات

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام ، وتهنا بصور : أى أتهنأ بصور ؛ فحذف همزة الاستفهام لما دلت عليه أم ولين همزة تهنأ للوزن. يقول: أتهنأ بولاية صور أم نهنئ صورا بك ؟ ثم قال : وقَلّ لك الذى صور له وأنت له : أى أنت أحد أصحابه ، يعنى ابن رائق ، يريد: لو كنت أنت ابن رائق — أى لو كنت تملك ما يملكه — لعد ذلك قليلا بالنسبة إلى ما تستحقه ، فصور — فى الشطر الثانى — مبتدأ ؛ وأنت : عطف عليها ؛ وله: خبره ؛ ولكا: متعلق بقل ؛ وفى مثل هذا يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أَنُهَنِّيكَ بطوسٍ ... أم نُهَنِّي بكَ طوسا
أصبحت بعد طلاقٍ ... بك يا فضل عروسا

ويقول أشجع السلمى :

إنَّ خراسانَ وقد أصبحتْ ... تَرفع مِن ذى الهِمَّةِ الشانا
لمْ يَحْبُ هارون بها جَعْفراً ... لكنه حابَى خراسانا

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكى]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحبيت به : أُعطيته . يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر بالنسبة إليك وإلى عظم قدرك ، وإلا فهى عظيمة الشأن فى نفسها .

تَحَاسَدَتِ البُلْدَانُ حَتَّى لَوَ انَّهَا نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ نَحْوَكَا (١)
وَأَصْبَحَ مِصْرٌ لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمٍ بَكَا (٢)

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة فى الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّاكَا لَا لِسِوَى وُدِّكَ لِى ذَاكَا (٣)

---

(١) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضا على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل لسعى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلمساً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير فى كلامهم ، قال ابو تمام :

لَوْ سَعَتْ بَلْدَةٌ لِإِعظامِ نُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا المَكَانُ الجَدِيبُ

وقال البحترى :

وَلَوَ انَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فوقَ ما فى وُسْعِهِ لَسَعَى إليكَ المِنْبَرُ

(٢) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح — ههنا — تامة . والواو — من قوله ولو انه — واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للمصر الذى حرم أمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .

(٣) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشئ سوى ودك لى ؛ أى إنما أنادمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن — ههنا — نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن « إلا » ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فما نُبَالِى إذا ما كنتِ جارَتَنا أنْ لا يُجاوِرَنا إلَّاكِ دَيَّارُ (١)

---

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى ما بها أحد ، وهو فيعال : من دار يدور . يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكترث لعدم مجاورة غيرك لنا .

وَلَا لِحُبِّيهَا وَلَكِنَّنِي أَمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَاكَا (١)

وقد كان تاب بدر بن عمار من الشرب مرة بعد أخرى ،

فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارتجالا :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فِي مِلْكِهِ لَا مُلْكِهِ (٢)

فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَنَا دَمُ كَرْمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفْكِهِ (٣)

وَالصِّدْقُ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ فَنَبِّنَا أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ (٤)

وقال فى محمد بن طغج وهو عند طاهر العلوى :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَا (٥)

وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَا (٦)

---

(١) لحبيها : أى لحبي إياها — يعنى الخمر — كنى عنها وإن لم يجر لها ذكر. يقول : لست أنادمك لأنى أحب الخمر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعداؤك ، ومن كان كذا تجب طاعته .

(٢) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك فى مالك ، لا فى مُلْكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

ومَن كثُرت فى ماله شركاؤه غدا فى معاليه قليلَ المشارك

(٣) جعل الخمر دم الكرم ، وجعل شربها سفكا لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .

(٤) يقول : الصدق دين الكرام الأشراف نخبرنا عن أيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا قال له بدر بل من تركه ، وقوله فنبنا : هى فنبئنا ، فترك الهمز .

(٥) و (٦) يقول — وكان عنده فى مجلس الشراب ليلا وأطال — : قد

وقال فى أبى العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة فى داره فقال:

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ فى وَصْفِهَا ... لَقَدْ تَرَكَ الحُسْنَ فى الوَصْفِ لَكْ (١)

لِأَنَّكَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ ... لَتَأْنَفُ مِنْ مَدْحِ هَذِى الْبِرَكْ (٢)

كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَا مَلَكْـ ... ـتَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَا مَلَكْ (٣)

فَأَكْثَرُ مِنْ جَرْيِهَا مَا وَهَبْتَ ... وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكْ (٤)

بلغت بنا ماأردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجىء اليك الدار اشتياقا اليك ومحبة لك.

(١) يقول: إن كان قد أحسن فى وصف البركة فقد ترك الحسن فى وصفه إياك إذ لم يصفك ولم يمدحك.

(٢) يقول: كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها؛ قال الواحدى: والذى سمعته فى معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان قد شبه البركة بأبى العشائر؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن فى وصفك حيث شبهها بك، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير.

(٣) يقول: أنت كسيفك لأنك تفنى ماتملكه فلا يبقى لديك، وكذلك سيفك يفنى مايظفر به فلا يدع أحدا حيا؛ وجعل السيف مالكا — حيث قال ولا ماملك — مجازاً، ويقال ملكتهم السيوف: إذا لم يمتنعوا منها.

(٤) من جريها: أى من جرى ماء البركة. يقول: إن ماجرى من هباتك وعطاياك أكثر مما جرى من ماء البركة، وماسفك سيفك من الدماء أكثر من مائها.

أَسأْتَ وأَحسنْتَ عَنْ قُدرَةٍ ودُرْتَ على النَّاسِ دَوْرَ الفَلَكْ (١)

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال، وجرى
فيها كلام كأنه ينعى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها
فى شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وفيها قتل :

فِدًا لكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا فَلاَ مَلِكٌ إذَنْ إلاَّ فَدَاكَا (٢)

---

(١) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٢) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أيهذا الوزير لازال يَفديـ ـكَ مِنَ النَّاسِ كلُّ مَنْ هُوَ دُونَكْ
وإذا كانَ ذاكَ أوجبَ قولى أن يكونوا بأسرِهِمْ يَفدونكْ

هذا : ويقال فداه يَفديه فداء وفَدًى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأنقذه ؛ وفدّاه بنفسه وفدّاه : إذا قال له جعلت فداك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر أوله يمدّ ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قُمْ فِدًى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداءِ — بالتنوين — إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداءٍ لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء ، وأنشد الأصمعى للنابغة :

مَهلاً فِداءٍ لكَ الأقوامُ كلهمُ وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولَدِ

وقال الفراء : العرب تَقصر الفداء وتَمده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالوا فَداك . وقال فى موضع آخر : من العرب من يقول فدًى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومَدّها . وقال

وَلَوْ قُلْنَا فِدًى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَا (١)

وَآمَنَّا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مِلَاكَا (٢)

النابغة - وعنى بالرب: النعمان بن المنذر - * فدًى لك من ربّ طريفي وتالدي *

(١) قلاك : أبغضك، يقال قلاهُ يقليه قَلْيًا وقلاء إن فتحت القاف مددت ومَقلِيَةً : أي أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيبويه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفي الحديث : «وجدتُ الناس اخبُرْ تَقْلِه[1]»، وتقلى الشيء تبغض؛ قال كثير :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إن تقلّت (٢)

يقول المتنبي : ولو قلنا يفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء، لأنهم كلهم دونك، ولا يساوونك : وقال ابن جني : المراد أن الخلق كلهم فداء الممدوح لأنهم يقصرون عن مداه، فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء، لأنهم لا يساوونك في الملك، بل يقصرون عنك .

(٢) وآمنا : عطف على قوله دعونا . وملاك الشئ : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه. إذا كان يفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبارة العكبري : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكهم المترفين، وإن كان من بين تلك النفوس من هو ملاك

---

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر : أي من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم، ومعنى نظم الحديث: وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غايب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُودًا ... وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشِّبَاكَا (١)

وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهُ ... وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ السُّكَاكَا (٢)

فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمُ صَدِيقًا ... لَقَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ عِدَاكَا (٣)

لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفًا ... إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَا (٤)

مملكة ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إضافتهم اليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لاحظ لهم فى الملك . . . فقوله فداءك : مفعول ثان لآمنا مقدم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يفتعل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً فى جرّ المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذى هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذى يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : يروى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمنا فداءك كذلك من ألصقه عماه وغفلته بالتراب أو بالحضيض — وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والخلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن والتك قلوبهم فقد عادتك أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فان بينك وبينهم بوناً بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٤) الحسب : مايعدّه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق

أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي   بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا (١)
وَقَدْ حَمَّلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا   ثَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرَاكَا (٢)

المكتنزه، يكون ذلك فى الناس والإبل، الذكر والأنثى فيه سواء، وامرأة ضناك: ضخمة - من الضنك الذى هو الضيق، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم. قال العجاج يصف جارية:

فَهِىَ ضِنَاكٌ كالكثيبِ المُنهالْ   عَزَّزَ منه وهو معطى الأسهال
ضربُ السوارى مَتْنَهُ بالتَّهتالْ (١)

يبين المتنبى الوجه فى معاداة أخلاقهم له، يقول: إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره، وهو كثير المال يقدر على كسب المآثر والمحامد، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته، والنحيف والضناك: استعارة، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم:

سَليلُ خِلافةٍ وغذىُّ ملكٍ   جَسيمٌ مجاهد منهوك مال

(١) يقول: أروح عنك وقد ختمت على قلبى بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف علىَّ من بِرِّك فلم يدع حبك فيه لغيرك مكاناً ينزل بساحته؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز:

لا شركَ النَّاسَ فى محبَّتِهِ   قلبى عَنِ العالَمِين قد خُتِما

(٢) وقد حملتنى: عطف على الحال — فى البيت السابق — والحراك: بمعنى الحركة. كنى بثقل الشكر عن كثرة النعم التى تقتضيه، وهذا ينظر إلى قول أبى نواس:

---

(١) الضناك: الضخمة — كالكثيب الذى ينهال عزز منه — أى سدد من الكثيب ضرب السوارى: أى أمطار الليل، فلزم بعضه بعضاً. شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر، وهو معطى الاسهال: أى يعطيك سهولة ما شئت

أُحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا   فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَا (١)
لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً   يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَا (٢)
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي   فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا (٣)

قد قلتُ للعباسِ معتذراً   من ضَعْفِ شُكرِيهِ وَمُعترفا
لا تُسْدِيَنَّ إليَّ عارفةً   حتى أقومَ بشكرِ ما سلفا

(١) الضمير — فى يشق — للشكر ؛ والسواك : بطء السير من عجف أو اعياء ، يقال تساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلى ضعيفة . قال الشاعر :

إلى الله أشكو ما تجرى بجيادنا   تساوكُ هزلى مُخُّهن قليل

يقول : أحاذر أن يثقل هذا الشكر على دوابى لكثرة ما حملتنى منه — والمراد النعم — فلا تمشى بنا إلا ضعيفة .

(٢) الضمير فى يجعله : للرحيل ، وأراد بجعل هذا الرحيل رحيلا ، فأضمر للأول ، وفسره بالثانى . والذرا : الكنف والناحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق سببا لإقامتى عندك بأن أصلح أمورى وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلى إلى حضرتك فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفى هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تقولُ سُليمى لو أقمتَ بأرضِنا   ولم تدرِ أنى لِلمُقامِ أطوفُ

وقول أبى تمام :

أآلفةَ النحيبِ كم افتراقٍ   أظلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ
وليست فرحةُ الأوباتِ إلا   لِموقوفٍ على ترحِ الوداعِ

(٣) يقول : لو قدرت لغمضت عينى ولم أرفع بصرى إلى أحد بالنظر إليه حتى أعود إليك ، قال أبو النجم :

لما تيقنتُ أنى لا أعاينُكم   غضضتُ طرفى فلم أُبصِرْ به أحدا

وَكَيفَ الصَّبرُ عَنكَ وَقَدْ كَفَانِي ... نَدَاكَ المُستَفِيضُ وَمَا كَفَاكَا (١)

أَتَترُكُنِي وَعَينُ الشَّمسِ نَعلِي ... فَتَقطَعَ مِشيَتِي فِيهَا الشِّرَاكَا (٢)

أَرَى أَسَفِي وَمَا سِرنَا شَدِيدًا ... فَكَيفَ إِذَا غَدَا السَّيرُ ابتِرَاكَا (٣)

وقال صريع الغوانى :

إن يَحجُبوها عَنِ العُيونِ فقد ... حَجَبتُ طَرفى لها عن البشر

(١) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفانى ماجدت به علىّ ولم يكفك ذلك فتأبى إلا أن تعطينى فوق ما أعطيتنى وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا أسرع العود إليك ؟ وفيه نظر إلى قول البحترى :

فَلَمْ أَملَ إلا مِنْ مَوَدَّته يَدِى ... ولا قلت إلا مِنْ مواهبِهِ : حسبى

(٢) أتتركنى : أراد أأتركك ، فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛ والاستفهام إنكارى : أى لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام : والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من انتعل عين الشمس ، وإذا فارقتك فارقتنى هذه الرفعة ، فكأنى مشيت فى تلك النعل حتى قطع مشيى شراكها . وإليك عبارة ابن جنى : بحصولى عندك وقصدى لك شرفت عند الناس ، فإذا بعدت عنك زال ما كسوتنيه من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت نعله عين الشمس فمشى فيها فانقطع شراكها فسقطت من رجله .

(٣) وما سرنا : حال معترضة بين مفعولى أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله : السقوط على الركب . يقول : أرى أسفى لمفارقتك شديدا وأنا لم سر بعد ، فكيف يكون أسفى إذا جد بنا المسير ؟ وفى هذا المعنى يقول سحيم عبد بنى الحسحاس :

أَشَوقًا ولمَّا يَمضِ غيرُ لُيَيلَةٍ ... فكيف إذا جدّ المَطىُّ بنا عشرا ؟

وقال أشجع السلمى :

وَهٰذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَا (١)
إِذَا التَّوْدِيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتَ لَا صَاحَبْتَ فَاكَا (٢)
وَلَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةٌ لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَا (٣)

فها أنتَ تبكِي وَهُمْ جيرةٌ فكيف تكونُ إذا ودعوا
لقد صنعوا بكَ مالا يحلُّ ولوْ راقبوا اللهَ لمْ يَصنعوا
أتطمَعُ في العَيشِ بعدالفِراق مُحالٌ لعَمرُكَ ماتطمع

وقال آخر :

لقد كنتُ أبكِي خيفةً لفِراقِهِ فكيف إذا بان الحبيبُ فودّعا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك — لغتان — أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل فى عمل السيف ولم تتفارق وأثر فى تأثيره ولم أُضرَب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا حضر الوداع قال لى قلبي الزم الصمت بعد مفارقته ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت فاك : أى لانطقت . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والمنى: جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا أن أكثر ماتمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضامناك فى الارتحال حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى الممدوح . وعبارة بعض الشراح : قوله ولا مناكا :أراد ولا صاحبت مناك — بضم تاء صاحبت — ضمير الشاعر ، أو بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين — فى البيت السابق — يقول : ولولا أن أكثر ماتمناه قلبي أن أعود إليك لقلت

قَدِ اُسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ وَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا (١)
فَأَسْتُرُ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي هُمُومًا قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَاكَا (٢)
إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَاكَا (٣)

له ولا صاحبت مناك أيضا : أى لا كانت لك منية تتمناها ، وهو دعاء عليه باليأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرحيل حينئذ ، فهو من جملة تلك المنى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال المنى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى عند الممدوح.

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه — : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للممدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل بما أعلك : أى أنك تداويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويروى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق الممدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا داويت شوقك بفراقه فقد داويته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :

أرَى بَصَرِى قد رَابَنِى بعد صحة وَحَسْبُكَ دَاءً أن تصِحَّ وتَسلما

وقال بعضهم :

أفضَى بك الهجر إلى آلنا لجئت من داء إلى داء

(٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فأستر عنك يا عضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عراكها ومغالبتها .

(٣) الركاك : الضعاف ، جمع ركيك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هذه الهموم — هموم الشوق إلى الأهل — ولم أجبها إلى السفر والرحيل

وَكَمْ دُونَ الثَّوِيَّةِ مِنْ حَزِينٍ ... يَقُولُ لَهُ قُدُومِى ذَا بِذَاكَا (١)
وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إذَا أَنَخْنَا ... يُقَبِّلُ رَحْلَ تُرْوَكَ وَالوِرَاكَا (٢)

اشتدت على، وإذا طاوعتها وأزمعت الرحيل ضعفت وهانت. وقال الواحدى: المعنى: إذا عاصيت هذه الهموم فى فراق الممدوح اشتدت علىّ وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها. ومثل هذا قول أبى العتاهية:

كم أُمورٍ عاصيتهُنّ زماناً ... ثم هوّنتها علىّ فهانت

(١) الثوية: مكان بالكوفة. وذا: مبتدأ؛ خبره: الظرف بعده. يقول: كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراق إذا قدمت عليه سر بقدومى فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد، كما قال أبو تمام:

وليسَتْ فَرْحَة الأوبات إلا ... لموقوفٍ عَلى تَرَح الوَداع

وقال ابن الرومى يخاطب أمه وقد أراد سفراً:

فقلتُ لها إن اكتئاباً بشاخص ... سيُتْبِعهُ اللهُ ابتهاجاً بِقادِمِ

(٢) ومن عذب: عطف على من حزين؛ والرضاب: الريق؛ وأنخنا: أى أنخنا مطايانا، وهو كناية عن النزول. وتروك: إسم ناقة حمله عليها عضد الدولة؛ والوراك: النمرقة: التى تلبس مقدم الرّحل ثم تثنّى تحته يُزَيّن بها، والجمع وُرُك. قال زهير:

مقوّرَةً تَتَبارَى لا شَوارَ لها ... إلا القطوعُ على الأجوازِ والوُرُك (١)

يقول: وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا مطايانا قبل رحل ناقتى ووراكها لأنها أدتنى اليه.

---

(١) الشوار والشارة: اللباس والهيئة، ويقال جاءت الإبل مقورة: أى شاسفة يابسة — من الضمر، والمقور أيضا من الخيل الضامر، والقطوع: جمع قطع، الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفى البعير، والأجواز: الأوساط.

يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطِّيبَ بَعْدِى ... وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا (١)
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ ... وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَا (٢)
يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنِّى ... فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا (٣)
وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِقْنَ إِلَّا ... وَقَدْ أَنْضَى الْعُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا (٤)
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ ... إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا (٥)

---

(١) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بالشبابِ صاك العبير بأجلادها

والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزنا على فراق ، وهو مع ذلك تشم منه راوئح الطيب حتى لكأن الطيب قد لصق به .

(٢) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والصب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يبذل ثغره للسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٣) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدومى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه حدثه عن إحسانك إلى حتى يعذرنى فى الإقامة عندك .

(٤) البخت : الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى السمان من الإبل ؛ ويعرقن : أى يأتين العراق ؛ والكوفة - بلد أبى الطيب - : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللكاك : المكتنزة اللحم . يقول : وليت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاها ثقل ما حملت من عطاياك .

(٥) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عنى فلست أرضى له

وَلَا إلَّا بأَن يُصغِى وَأَحكِى ... فَلَيتَهُ لا يتيمهُ هَوَاكَا (١)

وَكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ لَيسَ يَدرِى ... أَيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائِى أَمْ عُلَاكَا (٢)

وَذَاكَ النَّشرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكًا ... وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهرِى وَالْمَدَاكَا (٣)

بحلم إذا انتبه من نومه توهمه كذبا : أى أنى آبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ما وصف له الحلم .

(١) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، لحذف الفعل للعلم به . يقول : ولا أرضى بشئ إلا بأن يستمع إلىّ وأحكى ما أغدقته علىّ من نعمك وافضالك ، فليته عند ذلك لا يتيمه هواك ويستعبده حبك ، لأن الإحسان يستعبد الإنسان ؛ وفليته ولا يتيمه : على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الياء من يصغى ؛ وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٢) يقول : وكم من إنسان تطرب مسامعه إذا سمع شعرى فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علو شأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؟ وعبارة العكبرى : والمعنى كلاهما عجب لأنى أثبت فى شعرى من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى؟ .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة ؛ ويريد به : الثناء ؛ والعِرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاية التى يداك عليها : أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرائحة الذى هو عِرضك كان بمنزلة المسك ؛ وكان شعرى بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلَا تَحْمَدْهُمَا وَاحْمَدْ هُمَامًا ... إِذَا لَمْ يُسْمِ حَامِدُهُ عَنَاكَا (١)

أَغَرَّ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ ... غَدًا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَا (٢)

وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ ... وَآخَرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَا (٣)

وما ازدادَ فضلُ فيكَ بالمدحِ شهرةً ... بلى كانَ مثلَ المسكِ صادفَ مخوضا

[المخوض : الذى يحرك به الطيب ؛ وذلك لايزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحته ، كذلك هذا الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس ولا يزيده فضلا].

(١) الهمام: الملك العظيم الهمة . يقول : لاتحمد الفهر والمداك اللذين جعلتهما مثلا لشعرى واحمد نفسك فانك تستحق الحمد بخصالك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده : يعنى بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إنعامك ولم أذكر اسمك كنت أنت المعنى بذلك الحمد ، لأنه لايليق إلا بك؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

وإن جرتِ الألفاظُ منا بمدحةٍ ... لغيركَ إنسانا فأنتَ الذى نعنى

(٢) أغر : صفة لهماما ؛ والمراد بالأغر: الشريف؛ والشمائل : الأخلاق. يقول : أنت ورثت شمائل أبيك، وكما ورثتها من أبيك تورثها بنيك ،فهم غدا: أى إذا شبوا عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم - يلقون أباك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك . قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أباك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه.

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففيهم من يكون حزينا عند فراق أحبته مختصا بالوجد دون غيره ، وفيهم من يدعى الاشتراك فى الوجد وليس لدعواه حقيقة ، يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك على غير حقيقة .

إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِى خُدُودٍ   تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى (١)
أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِى شُجَاعٍ   لِعَيْنِى مِنْ نَوَاىَ عَلَى أُولَاكَا (٢)
فَزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِى رِكَابٍ   لَهَا وَقْعُ الْأَسِنَّةِ فِى حَشَاكَا (٣)
وَأَيًّا شِئْتِ يَا طُـرُقِى فَكُونِى   أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَا (٤)

---

(١) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .

(٢) يقولون : أذم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأذم له على فلان: أخذ له الذمة ليجيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاكا : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح فى معنى البيت ، فذهب ابن جنى إلى أن المعنى : أن مكرمات أبى شجاع أخذت لعينى عهداً من البعد أن تكون فى مأمن من تلك الدموع : أى دموع المتباكى ، يعنى أن مكرماته تمنع عينى أن تجرى على فراقه دموعا كاذبة لأنه قد ملك قلبى بإحسانه ، فأنا أبكى على الحقيقة لا تكلفا ، فالإشارة فى أولاكا للدموع الكاذبة . وقال الواحدى : أن مكرماته منعت عينى وعقدت لها عقدا على أهلى من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة فى أولاكا لأهله ، وهذا على رواية نواى ؛ وروى : ثواى - مقصور الثوى - أى المقام ؛ يعنى أن مكرماته أذمت لعينى من المقام عليهم - أى على أهله - اى عقدت لعينى عقدا يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على اولاكا متعلق بالثوى .

(٣) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد ، يقول : تنح عن ايدى هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٤) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول - لطريقه - : كونى كيف

فَلَوْ سِرْنَا وَفِى تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِى قَبْلَ أَنْ يَرَوُا السِّمَاكَا (١)

يُشَرِّدُ يُمْنُ فَنَّاخُسْرَ عَنِّى قَنَا الْأَعْدَاءِ وَالطَّعْنَ الدِّرَاكَا (٢)

وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِى طَرِيقِى سِلَاحاً يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَا (٣)

شئت فانى لا أبالى وإن كان الهلاك فى سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(١) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى العشر وأيامه ٣٠ ؛ والسماكان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شىء ، والمراد هنا : السماك الأعزل ، وقد كان هذا النجم يطلع فى الثالث عشر من تشرين الأول . يقول : لو سرنا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرآنى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدآبه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة — بلده — وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

(٢) فناخسرو : اسم عضد الدوله ؛ والطعن الدراك : المتتابع . يقول : سعده ويمنه يطرد عنى رماح الأعداء وطعنها المتتابع .

(٣) سلاح شائك وشاك - على حذف العين - حاد ذو شوكة يقول : رضاه عنى بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عنى . هذا : والسلاح اسم جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد — يؤنث ويذكر والتذكير أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر — مثل حمار وأحمرة ورداء وأردية — ويجوز تأنيثه . قال الطرماح - يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا ... وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا (١)

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ ... يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا (٢)

حَيِيٌّ مِنْ إِلٰهِي أَنْ يَرَانِي ... وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَا (٣)

يَهُزُّ سِلَاحًا لَمْ يَرِثْهَا كَلَالَةً ... يَشُكُّ بِهَا مِنْهَا أُصُولَ الْمَغَابِنِ (١)

(١) هذا استفهام إنكارى . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس اليك زور وباطل، لهم صورتك وليس لهم معناك ، وهذا كقول عمران بن حطان :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٢) يقول : أنا فى انطلاقى من عندك وسرعة عودى اليك كالسهم إذا رمى به فى الجو فأنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض. يشير بهذا البيت والذى قبله إلى أنه ينوى الرجوع اليه .

(٣) حيي : أى أنا حيي . وقد فارقت دارك: حال . يقول : إنى أستحى من إلهى أن يرانى وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكل إليك أرزاق العباد ، فكأنى إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن جنى: واصطفاكا ـ بكسر الطاء ـ قال وهو من باب قصر الممدود ، واستشهد على قصره باشعار ، وقصر الممدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وَأَنْتَ لَوْ بَاكَرْتَ مَشْمُولَةً ... صَفْرَا كَلَوْنِ الفَرَسِ الأَشْقَرِ

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحى من الله إذا فارق دار الممدوح واختياره له ؟ بل لا وجه لحيائه فى فعله ذاك ، وإنما يستحى

---

(١) سمى روقيه سلاحا لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول ؛ لم يرثه كلالة أى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق

....

من الله إذا فارق دار الممدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحى من خالقه ، وإنما يقول : أستحى من الله أن أفارقك ، وقد اصطفاك ووكل اليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حياء، إذ ذكر اصطفاءه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر فى شعرى بمدوداً إلا فى موضع واحد وهو:

خذ مِنَ ثناى عليك ما أسطيعه   لا تلزِمَنى فى الثناء الواجبا

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه فى هذه القصيدة بما لم يقع له فى غيرها وما لم يخطر على قلبه فى جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وترامبها فى البلاد ، وقد وقع له فى أثنائها كلام كأنه ينعى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحاله من شيراز ومفارقته لأعمال فارس قتل فى الطريق كما تراه فى مدخل هذا الشرح وهذا ـ عمرك الله ـ من غريب الاتفاق

قافيــة اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن
أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ   تَأَنَّ وَعُــدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ (١)
وَجُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً   فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ (٢)
لِأَكْبِتَ حَاسِداً وَأَرَى عَدُوّاً   كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ (٣)

---

(١) تأنَّ . تمهل ، ويروى تأيَّ : أى توقف ، والضمير فى عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأنَّ ؛ وتنيل : تعطى . يقول : أمهل سيرك وترفق فى رحيلك واحسب هذا التمهل من جملة ماتعطيه ، يعنى أنا نعده منك نوالا وعطاء لوأقمت ساعة؛ وهو ماذكر فى البيت التالى

(٢) وجودك : أى وَجُد جودَك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام: الإقامة ؛ وقليلا: خبر كان محذوفة بعدلو، ،واسمها ضمير المقام . يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فان الذى تجود به لايعدّ قليلا ، لأن كل ماكان من جهتك فهو كثير وإن قل ، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلا نَظرةٌ إن نظرْتُها   إليك وقـُلٌّ منكِ غيرُ قليلِ

وكما قال إسحاق الموصلى :

إنّ ماقلّ منكَ يكثُر عندى   وكثير ممنْ تحب القليلُ

(٣) الكبت : الاغاظة والاذلال ؛ وأصل الكبت : الكبد ، فقلبت الدال تاء أخذ من الكبد ، وهو معدن الغيظ والاحقاد ، فكأن الغيظ لما بَلغ

وَيَهْدَأَ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَكْنَا   أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَبِيلُ (١)
وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلاً فى سَمَاحٍ   فَهَا أَنَا فى السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ (٢)

بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، ولهذا يقال للأعداء: هم سود الأكباد . وأرى - من الورى - وهو إصابة الرئة . وقال أهل اللغة : الوَرْى - على مثال الرَّمى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم ؛ والعرب تقول للبغيض إذا سعل وَرْياً وقُحَاباً ، وللحبيب إذا عطس ، رَعياً وشبابا ، وفى الحديث «لأن يمتلئَ جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيَه خير له من أن يمتلئَ شعراً» يقول المتنبى : جد بالإقامة لأكبت من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام فى قبح الوداع :

قَبُحْتَ وزدْتَ فَوقَ القبح حتى   كأنكَ قد خُلقتَ من الوَداعِ

(١) ويهدأ : عطف على أكبت؛ وتغلب : قبيلة الممدوح ؛ والحيا : المطر ؛ والقبيل : العشيرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلا من أياديك الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر فى الكثرة . وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

فقلت نَدَى السماءِ أم ابنُ وَهْبٍ   تجلىَّ نورُه أم عاش وهبُ

(٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود، فلما رأيت إفراط سيف الدولة فى الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عطاءٌ لوِ اسطاعَ الذى يَستميحُهُ   لأصبحَ مِنْ بين الورَى وهْوعاذلُ

وقال البحترى :

إلى مُسْرِفٍ فى الجودِ لوْ أنّ حاتِماً   لديه لأضحى حاتمٌ وهْو عاذلُهْ

وقال ابن القطاع : الضمير فى «له» للسحاب ، يعنى صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه فى السماح مخافة أن يكدر عليه الطريق

وَمَا أَخْشَى نُبُوَّكَ عَنْ طَرِيقٍ وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلُ (١)
وَكُلُّ شَوَاةِ غِطْرِيفٍ تَمَنَّى لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ (٢)
وَمِثْلِ الْعُمْقِ مَمْلُوءٍ دِمَاءً جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولُ (٣)
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ (٤)

---

(١) النبو: الكلال، وسيف الدولة: مبتدأ؛ خبره: مابعده؛ والجملة حال. يقول: لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضى الصقيل، والسيف إذا كان ماضيا لايخاف عليه الكلال. يريد: إنى لم أطلب إليك عدم الرحيل فى المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق.

(٢) الشواة: جلدة الرأس، وجمعها شَوًى؛ والغطريف: السيد الكريم فى قومه. وتمنى — بحذف إحدى التاءين — أى تتمنى. والمفرق: وسط الرأس. يقول: إن كل سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك، يعنى لشرفك لايستنكف السيد من وطئك رأسه، بل يتمنى ذلك تشرفا بك، وفى هذا نظر إلى قول أبى تمام:

مَضَى طَاهِرَ الأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلاَّ اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٣) ومثل العمق: أى ورب مكان مثل العمق؛ والعمق: الموضع العميق؛ وقيل واد بعينه. يقول: ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكترث لذلك. فكيف أخشى عليك قطع الطريق؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى.

(٤) المنايا: جمع منية، الموت؛ والوحول: جمع وحل، مايبقى فى الأرض من آثار المطر. يقول: إذا تعوّد الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم

وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ   أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ (١)
أَتَخْفِرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَالِي   وَتَنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ (٢)

يال بالوحول ؛ يريد أن الوحل لايمنعه من السفر لأنه تعود أن يخوض ماهو اشد من الوحل .

(١) الحزونة : جمع حزن ، ماخشن من الأرض وصعب : ضدالسهل . يقول : من تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يمتنع عليه ولم يصعب سلوكه .

(٢) نشر الله الميت وأنشره : بعثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والخامل : الساقط الذى لانباهة له ؛ والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته بالمحن تخفره وتجيره منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشَرْتُكَ مِنْ مَوتِ الخمول بِقُدْرَةٍ   لما هو أدهَى لو عَلِمتَ وأنكرُ (١)

هذا : ويقال خَفَرَ الرجل يَخفِرِ خَفْراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خَفيرا يمنعه ، وكذلك خفّره تخفيرا ، قال أبو جُندَب الهذلى :

ولكنَّنى جَمْرُ الغَضَى من ورائه   يُخفِّرنى سَيفِى إذا لم أُخفَّر

والاسم من ذلك الخُفرة والخَفارة والخُفارة — بالفتح والضم —

---

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبى ، وقبله :

أخالد أعييتَ الهجاء وَفَتَّهُ   فقولى وإن أبلغتُ فِيكَ مُقصر

وبعده :

وللموت خير لامرئ مِنْ نشورِهِ   إذا كان للتخليد فى الناس يُنشَرُ

وَتَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ   يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ (١)
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعَ فِعْلٌ   وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ (٢)
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَّالُ صَبْرًا   وَقَدْ فَنِيَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ (٣)
يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ   وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ (٤)

ويقال أخفرته إذا بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل: إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الذمة: لم يَفِ بها .

(١) الحسام : السيف القاطع . يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال وأنت حسام يعيش به القتيل : أى أنك تحيي من قتله الفقر وأماته الذل بجودك — كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب ، لأنه استثناء مقدم . ومثله قول الكميت :

ومالى إلا آلَ أحمدَ شيعَةٌ   ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبّر الجيوش ويقول لهم اصبروا صبرا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا الفرس على الصهيل . فقوله صبرا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهو مقول القول .

(٤) وفيه قصد : أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهابة والشرف أن الجماد يعرفك ؛ فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن ينالك مع طوله هيبة لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترئ على مطاعنته .

فَلَوْ قَدَرَ السِّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ (١)
وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْداً وَلٰكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ (٢)

وقال يرثى والدة سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلثمائة، وأنشده إياها فى جمادى الآخرة من السنة :

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ (٣)

---

(١) يقول : لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحيد عنك وأقصر — مع طولى — عن طعنك لهيبتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إنّ السنانَ وصدرَ السيف لو نطقا لخبّرا عنك يوم الروع بالعجب

وللحصنى :

يُثنِى عليك إذا النفوس تطايرت حدُّ المهنّدِ والسنانُ اللهذَمُ

وأصله قول عنترة :

لو كان يعلم ما المحاورةُ اشتكى ولكانَ لوْ علِمَ الكلامَ مُكلِّمى

(٢) يقول : لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولكن الدنيا لا تخلد أحدا وشنشنتها إفناء خلانها ، فهى مطبوعة على الغدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فلو كان حىٌّ فى الحياة مخلداً لخلدتَ لكن ليس حىٌّ بخالد

ومثله لمحمد بن يزيد المهلبى :

لو خلد الله مخلوقا لنجدته لكان ربُّكَ فى الدنيا مُخلّده

(٣) المشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالى : الرماح ؛ والمنون : المنية ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤنث ويذكر ، ويكون واحدا وجمعا . يقول : نعد

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ ... وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِى (١)

وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا ... وَلٰكِنْ لَاسَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (٢)

نَصِيبُكَ فِى حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ فِى مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ (٣)

السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن المنية تخترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تغنى عنا تلك الأسلحة شيئا.

(١) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدناة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والخبب : ضرب من العدو — الجرى — لا يستفرغ الجهد : يقول: ونرتبط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا ألمّ بنا حادث، ومع هذا لا تنجينا من سعى الليالى، وخببها فى آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركنا حيثما كنا ، وبديع قول عبدالله بن طاهر فى الدهر :

كأننا فى حُروبٍ مِنْ حوادِثِه ... فنحنُ مِنْ بين مَجروح وَمَطعونِ

(٢) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال — أى مواصلة — يقول : من الذى لم يعشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال ،

(٣) نصيبك - الأول - مبتدأ ، خبره : نصيبك - الثانى - يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيبه فى حياته كحظه من وصال خياله فى منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كالمنام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

ثمّ انقضتْ تلك السنُونَ وأهلها ... فكأنها وَكأنهمْ أحلامُ

وقال التهامى :

فالعيشُ نَومٌ والمَنِيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهُما خيال سارِى

وَرَمانى الدَّهْرُ بالأَرْزاءِ حتَّى ... فُؤَادِى فى غِشَاءٍ مِنْ نِبالِ (١)
فَصِرْتُ إذَا أَصَابَتْنِى سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ (٢)

(١) الارزاء: جمع رزء، المصيبة؛ وحتى: ابتدائية؛ والغشاء: مايغطى الشىء، يقول: كثرت علىّ أرزاء الدهر وترادفت على قلبى فجائعه حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار فى غلاف من سهام الدهر.

(٢) النصال: جمع نصل، الحديدة التى فى السهم. يقول: فصرت الآن إذا رمانى الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبى، إذ لا تجد لها موضعاً للاصابة، وإنما تتكسر نصالها على النصال التى قبلها، لأنها تصطك بعضها ببعض، قال الواحدى: وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالت على حتى هانت عندى والشىء إذا كثر اعتاده الانسان كما صرح بذلك فى البيت التالى. وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع – وما أكثر مايتجنى على المتنبى – قال: لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يُرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر، وأمّا أن يكون الرمى من ناحية واحدة فلا يصح ذلك، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح:

لم يَنتظِرْنَ فتستبيكَ قلوب ... حتى رَمَينَ فرشقهنّ مصيبُ
نجلٌ يَتَّبِعْنَ السهامَ بمثلها ... فلهن مِنْ تحتِ الندوب ندوب

فهذا كلام يصح مثله، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة؛ ومثله لأخى ذى الرمة:

ولم يُنْسِنِى أو فى المصيباتُ بعدهُ ... ولكنَّ نكْأَ القرحِ بالقرحِ أوجعُ (١)

(١) قيل إن إخوة ذى الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعودا رثى بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب عليها قبل هذا البيت:

وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا ... لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي (١)

وَهٰذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا ... لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ (٢)

---

(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رمانى الدهر . يقول : وهان الدهر علىّ فلا أحفل بمصائبه علماً بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسي :

وقد جَعَلَتْ نفسى على البَيْنِ تنطوى ... وعَيْنِي على فَقْدِ الحبيب تنام

وفارقتُ حتى ما أبالى من النوى ... وإن بانَ جيرانٌ علىّ كِرام

ومثله قول الخريمى :

صَبَرْتُ فكان الصبرُ خيرَ مغبّةٍ ... وهل جزع أجدى علىّ فأجزعُ

ويروى بدل هان فما أبالى : وها أنا ما أبالى.

(٢) يقول : هذا الناعى — وكان نعيها ورد إلى أنطاكية — أول الناعين جميعاً لأول امرأة ماتت فى هذا الجلال ، يعنى لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة — بفتح الميم — أى ميتة ، مخففت ؛ ورويت ميتة — بكسر الميم — يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى : والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الأحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طراً . أى جميعاً منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلا حالا ، واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟

تعزّيتُ عن أوفى بغيلانَ بعده ... عَزاءً ، وجَفْنُ العين ملآنُ مُترَع

نعى الركبُ أوفى حين وافت ركابُهم ... لعمرى لقد جاؤا بشرّ وأوجعوا

نعَوا باسِقَ الأخلاقِ لا يُخلِفُونَه ... تَكاد الجبالُ الصُّمّ مِنه تَصدّع

خَوَى المسجد المعمور بعد ابن دَلْهَم ... وأمسَى بأوفى قومُه قد تضعضعوا

كَأَنَّ المَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ (١)

فقال أحمد الله إلى طُرٍّ خلقه؛ قال ابن سيده : أنبأني بذلك أبو العلاء، وفي نوادر الأعراب رأيت بني فلان بطرٍ إذا رأيتهم بأجمعهم. والناعون : جمع ناعٍ ، وهو الذي يأتي بخبر الميت ؛ والنعي والنعِيّ :خبر الموت أو الدعاء بموت الميت ، والإشعار به،نعاه ينعاه نعياً ونعياناً ، وقال الجوهري : كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاءِ فلانا : أي انعه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير : أي هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهي مبنية على الكسر مثل قطامِ ودَرَاك ونزال ، بمعنى أدرِك وانزِل وأنشدوا للكميت :

نعاءِ جُذاما غيرَ موتٍ ولا قتل ولكن فِراقا للدعائم والأصلِ

(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يموتوا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ؛ ومن بديع ماقيل في الموت — وليس من قبيل بيت المتنبي ، ولكنه ينظر إليه من بعيد — قول الحسن البصري : مارأيت حقا أشبه بباطل من الموت . . . وقال البحتري :

ولم أرَ مِثلَ الموتِ حقـًا كأنهُ إذا ما تخطتهُ الأمانيُّ باطِلُ

وقال زين العابدين أو جرير :

نُرَاعُ إذا الجنائزُ واجهتنا ونلهو حِين تغدو رائحات
كَرَوعةِ ثلةٍ لِمَغَارِ ذِئبٍ فلماغاب عادتْ راتعاتِ (١)

وأخذه محمد بن وهب فقال :

نُراع لذِكرِ الموتِ ساعة ذِكرِهِ وَتَعتَرِض الدُّنيا فنَلهو وَنلعب

(١) الثلة : القطيع من الغنم

صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ (١)

عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِى كَرَمِ الْخِلَالِ (٢)

فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصاً جَدِيداً ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِى (٣)

يقين كأنّ الشكّ أغلب أمرِه عليه وَعرفانٌ إلى الجهل يُنْسَبُ

(١) صلاة الله: مغفرته ورحمته؛ والحنوط: طيب يخلط لغسل الميت. يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت، وجعل وجهها مكفنا بالجمال، كأن الجمال كفن لوجهها، وفى ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها، وكأنه يقول: رحم الله وجهها الجميل، قال ابن وكيع: وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار، وهو من قول النمرى:

تحياتٌ ومغفرةٌ ورَوح على تلك المحلّةِ والحلول

وعبارة ابن الأفليلى: رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التى غيبها الجمال كما غيبها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس.

(٢) على المدفون: بدل من قوله على الوجه — فى البيت السابق — وذكّر على إرادة الشخص؛ وصونا: مفعول له؛ واللحد: الشق فى جانب القبر، والخلال: الخصال. يقول: إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن فى الترب، وقبل أن تدفن فى اللحد كانت مدفونة فى كرم الخلال: أى أنها كانت محجبة مستورة قبل أن تستر بالتراب، وكان كرم خصالها يمنعها ويعفها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد.

(٣) ذكرناه: أى ذكرنا إياه، فاعل جديدا. ووضعُ الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز، ومثله قوله تعالى «أنلزِمُكموها» وأنشد سيبويه

وقد جعلتْ نفسِى تطيبُ لضَغْمةٍ لِضَغْمِهِماهَا يقرَعُ العَظْمَ نابُها (١)

---

(١) الضغم: العض ما كان، وقيل أن يملأ فمه مما أهوى اليه، ومنه سمى الأسد

وَمَا أَحَدٌ يُخَلَّدُ فى البَرَايَا بَلِ الدُّنْيَا تَؤُولُ إلى زَوَالِ
أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتاً تَمَنَّتْهُ البَوَاقِى وَالخَوَالِى (١)
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَىْ يَوْماً كَرِيهاً يُسَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ (٢)
رِوَاقُ العِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فى كَمَالِ (٣)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى فى القبر إلا أن ذكرنا إياه جديد باق أبداً لا يبلى : قال الخريمى .

وإن تك للبِلَى أمسيتَ رَهْناً فقد أبقيتَ مَجداً غيرَ بالى

(١) الخوالى : المواضى . يقول : مت فى العز والعفاف ، فموتك كان موتاً يتمنى مثله من بقى من النساء ومن مضى منهن ، وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخيرى الدنيا والآخرة .

(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارقتنا دون أن ترى يوماً كريهاً يبغض لك عيشك ويحبب الموت اليك حتى يسر الروح بفراق البدن فى مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهَوَّنَ مِنْ وَجْدِى وليس بهيّنٍ سَلَامَتُها بالموت من جَرْعَةِ الثُّكلِ

(٣) مسبطر : ممتد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن

ضيغما - بزيادة الياء - قال الشنتمرى : وصف هذا الشاعر عنزة أصابه بها رجلان فيقول . قد جملت نفسى تطيب لاصابتهما بمثل الشدة التى أصابانى بها ؛ وضرب الضغمة مثلا ثم وصف الضغمة فقال : يقرع العظم نابها فجعل لها نابا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدى والرجلان من قومه ، وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبـــل التفرق شربةً يَمُرُّ على باغى الظلام شرابها

«والظلام جمع ظلامة»

سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فى الْغَوَادِى ... نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِى النَّوَالِ (١)

لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ ... كَأَيْدِى الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ الْمَخَالِى (٢)

عباد لفظة مسبطر. قال: إن ذكرها فى مرثية النساء من الخذلان المبين . . . والصاحب مولع بنقد المتنبي وذمه بالحق وبالباطل، وإلا فالكلمة لا غبار عليها؛ وقال العروضى: سمعت أبا بكر الشعرانى خادم المتنبي يقول: قدم علينا المتنبي وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة، وقال مستظل، قال العروضى: وإنما غيرها الصاحب وأنكرها عليه. يقول: مت وأنت فى هذه الحال من العز المتطاول والملك الكامل من ملك ابنك.

(١) المثوى: المنزل. يريد قبرها الذى أقامت به. والغادى: السحاب يغدو بالمطر؛ والنوال: العطاء. يدعو لها بأن يسق قبرها سحاب يفضل السحب فيضا كما كان عطاء كفها يفضل عطاء الأكف سخاء؛ وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء.

(٢) الساحى: الذى يقشر الأرض بشدة انصبابه؛ والأجداث: القبور؛ والحفش: شدة الوقع، ويقال حفشت السماء حفشا: إذا جادت بالمطر؛ وحفشت الأودية: سالت؛ والمخالى: جمع مخلاة، الوعاء الذى يجعل فيه التبن والشعير للدابة. بالغ فى وصف المطر حيث جعله فى إلحاحه على القبر بالقشر كأيدى الخيل إذا رأت مخالى الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها. قال الواحدى: وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطر يحفر حفر أيدى الخيل. وقال ابن جنى: الغرض من الدعاء للقبور بالغيث: الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة، وهو مذهب العرب؛ ألا ترى إلى قول النابغة:

ولا زالَ قبرٌ بين بُصْرَى وجاسِم ... عليهِ مِنَ الوَسْمِىِّ سَحٌّ ووابلُ

أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ ... وَمَا عَهْدِى بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِى (١)

يَمُرُّ بِقَبْرِكِ الْعَافِى فَيَبْكِى ... وَيَشْغَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ (٢)

وَمَا أَهْدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ... لَوَ انَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالِ (٣)

بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ فَإِنَّ قَلْبِى ... وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غَيْرُ سَالِ (٤)

فيُنبِتُ حَوذاناً وعوفاً مُنَوَّراً ... سأُتبِعُهُ من خير ماقالَ قائلُ (١)؟

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأسرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبته الملازمة له، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالى : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر، كما تقول : عهدى بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى .

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كعادته ، قال البحترى :

فلم يَدرِ رَسمُ الدارِ كيفَ يُجيبُنا ... ولانحنُ مِن فَرطِ البُكا كيفَ نسألُ

(٣) ما ـ فى ما أهداك ـ تعجبية ؛ والجدوى: العطاء والإفضال؛ والفعال: الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ، ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كعادتك فى الحياة .

(٤) قال الواحدى : يقسم عليها بحياتها؛ يقول لها : هل سلوت عن حب

---

(١) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع. له زهرة حمراء فى أصلها صفرة، وورقته مدورة ، والحافر يسمن عليه، وهو من نبات السهل، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِى مَكَانٍ بَعُدْتِ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ (١)
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الْخُزَامَى وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ الطِّلَالِ (٢)
بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُّ الْحِبَالِ (٣)
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُزْنِ فِيهِ كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ (٤)

النّوال فإن قلبى وإن بعدتُ عنك غير سال عن نوالك؟ وقال ابن جنى وآخرون: هذا مما وضعه فى غير موضعه، ولا يجوز أن يرثى بمثل هذا، قالوا: والمعنى هل سلوت عن الحياة؟ فإنى غير سال عن الحزن عليك، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك، وأندبك وإن كنت منتزحا عن موضعك.

(١) على: بمعنى مع، وجملة بعدت الخ: نعت لمكان؛ والعائد محذوف أى بعدت فيه ـ والنعامى: ريح الجنوب، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها؛ والشمال: الريح التى تهب من ناحية القطب. يقول: نزلت ـ على كراهتنا لنزولك ـ فى مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح.

(٢) الخزامى: نبت طيب الريح؛ والطلال: جمع طل. المطر الخفيف. يقول: وحجبت عنك روائح الأزهار لا تصل اليك وكذلك ندى الأمطار. يشير إلى ما كان يحيط بها فى حياتها من الرياض والبساتين، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها.

(٣) أراد بالدار: القبر؛ ومنبت: منقطع، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته، وطال هجره إياهم، وانقطع وصاله عنهم. فالمراد بالحبال: الشمل. وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدى:

تَبدّلَ دارا غيرَ دارى وجيرةً سوايَ واحداثُ الزمانِ تنوبُ
أقام بها مستوطنا غير أنّهُ على طول أيامِ المُقامِ غريبُ

(٤) الحصان: العفيفة؛ وحصان: مبتدأ؛ وفيه: خبر؛ والمزن: السحاب.

يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ الشَّكَايَا وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ المَعَالِي (١)
إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ (٢)

يقول : فى هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن فى النقاء والطهارة ، كاتمة للسر ، صادقة فى القول :

(١) يعللها : أى يعالجها من علتها ؛ والنطاسى : الطبيب الحاذق . والشكايا : واحدها شكوى ، يريد الأمراض التى تشكى ، وأراد بواحدها : ابنها سيف الدولة الذى هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالى : أى العالم بأدواء المعالى فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقى لنفى ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستعارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لغلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعنى : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لادافع له ، والأصل فى هذا المعنى قول ليلى الأخيلية :

إذا هَبَطَ الحَجَّاجُ أرضاً مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أقصَى دائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الداءِ العُضَالِ الذى بِهَا غُلامٌ إذا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاهَا

وقال أبو تمام :

وقَدْ نُكِسَ الثَّغْرُ فابْعَثْ لَهُ صُدورَ القَنَا فى ابْتِغَاءِ الدَّوَاءِ

وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ وَلَا اللَّوَاتِي ... تُعَدُّ لَهَا القُبُورُ مِنَ الحِجَالِ (١)

وَلَا مَنْ فِي جِنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ (٢)

مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً ... كَأَنَّ المَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّئَالِ (٣)

وَأَبْرَزَتِ الخُدُورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الغَوَالِي (٤)

---

(١) الحجال: جمع حجلة، بيت صغير فى جوف البيت يستر النساء. يقول: ليست كغيرها من النساء اللواتى يعدّ لها القبر ستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر.

(٢) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد، وقيل بالفتح: النعش إذا كان الميت فيه، وبالكسر: النعش وحده؛ والتجار: جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر، مثل صحاب وصحب. يقول: ولم تكن من نساء السوقة يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر، أى أنها كانت ملكة.

(٣) حوليها: كحولها. تقول حولك وحوليك وحواليك وحوالك: الجميع بمعنى واحد؛ والمرو: حجارة بيض براقة؛ والزف: صغار الريش؛ والرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام. يقول: لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حوالها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام.

(٤) النقس: المداد؛ والغوالى: جمع الغالية، أخلاط من الطيب يتضمخ بها. يقول: خرجت لموتها نساء كنّ مخبآت فى الخدور غير مباليات بالتستر وهنّ يسودن وجوههن بالمداد مكان الغالية التى كنّ يتطيبن بها حزناً للمصيبة بموتها؛ ولعله يريد جوارى المرثية، وهذا منقول من قول بعضهم:

قد كانت الأبكار بيضاً فاغتدت ... سوداً لفقدك اوجهُ الأبكار

أَتَتْهُنَّ الْمُصِيبَةُ غَافِلاَتٍ فَدَمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلاَلِ (١)
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ (٢)
وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلاَ التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلاَلِ (٣)
وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ (٤)

وهتكن أستار الحياء وطالما سُترت محاسنهن بالأستار
وظهرن للأبصار بعد تستر بالحُجب دون لواحظ الأبصار

ومثله :

قد كن يخبأن الوجوه تسترا فالآن حين بدون للنظار

(١) يقول: فجعن بفقدها على حين غفلة. فبيناهن يبكين دلالا على سبيل الدعابة إذ بكين حزناً، فاختلط الدمعان، فهن يبدين الدلال مع الحزن والذلة مع الحسن.

(٢) يقول: لو كان نساء العالم كهذه المرثية في الكمال لفضلن على الرجال: يعني أن هذه المرثية كانت أفضل من الرجال، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل — أي فضلهن على الرجال؛ قال ابن وكيع: وهذا ينظر إلى قول على بن الجهم:

إذا ما عُــد مثلكمُ رجالاً فما فضلُ الرجال على النساءِ

(٣) ما — هنا — تميمية؛ ولك أن تجعلها حجازية فتنصب عيب وفخر. يقول: لم تزر بها الأنوثة، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها، والذكورة لا تعد فضيلة في أحد، كما لا يحصل للقمر فخر بتذكير اسمه:

والشمسُ ليسَ بضائرٍ تأنيثها وتزيدُ بالنورِ المنيرِ على القمرْ

(٤) أفجع: مبتدأ، خبره: من وجدنا؛ ومفقود المثال: مفعول ثان لوجدنا. يقول: أشد المفقودين فجعة على الفاقدين من كان مفقود النظير في

يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعضاً وَتَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (١)

وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحِي كَحِيلٌ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ (٢)

وَمُغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِخَطْبٍ وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي الْهُزَالِ (٣)

أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٤)

حال حياته ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عمن لا نظير له ؟

(١) الهام : الرؤس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، فقلب ، وهو كثير فى كلامهم . يقول : ندفن أمواتنا ونمشى على رؤسهم بعد الموت ؛ يعنى لانخلو من فقد ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصل فى هذا المعنى قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هـــذا عليها وهذا تحتها بالى

(٢) النواحى : الجوانب ؛ وكحيل : بمعنى مكحولة ، خبر كم . يقول : كم عين كانت تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟ .

(٣) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل فى الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفواً عنه . والخطب: الأمر العظيم . والهزال : النحول : يقول : وكم من إنسان أغضى للموت وكان لا يغضى لنزول خطب به ؟ وكم من بال تحت التراب وكان إذا رأى فى جسمه هزالا يشتغل قلبه به ويفكر فى علاجه ؟ وهذا ينظر إلى قول البحترى يرثى غلامه قيصر :

وَأَصْفَحُ لِلْبِلَى عَنْ ضَوْءِ وَجْهٍ غَنِيتُ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

(٤) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذى فجعت به ، فأنت أهل

فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّى وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِى الْحَرْبِ السِّجَالِ (١)

وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِى كُلِّ حَالِ (٢)

فَلَا غِيضَتْ بِحَارُكَ يَا جَمُومًا عَلَى عَلَلِ الْغَرَائِبِ وَالدِّخَالِ (٣)

الصبر الثابت على الأرزاء حتى لفقت الجبال فى هذا وبوذها أن تكون مثلك فى ثباتك .

(١) الحرب السجال : التى تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك فى غنى عن أن يُصبَّر ويعزّى ، فقد ألفت الخطوب وتمرست بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تُصبّر الناس فصرت فى غنى عن أن تُصبّر :

(٢) شتى : جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فحالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لا أُمسِكُ المالَ إلا رَيثَ أُتلِفُهُ وَلا يُغيِّرُنِي حَالٌ إلى حَالِ

(٣) غاض الماء : قلّ ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم : الذى يزداد ماؤه وقتاً بعد وقت ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ والظرف : فى موضع الحال من فاعل جموما . والعلل : الشرب الثانى بعد النهل ؛ والغرائب : الإبل الغريبة التى ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول ــ على طريق الدعاء ــ لا نقصت بحارك يا بحراً كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقص عطاؤك وإن كثر العفاة والسائلون ، كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثر وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا   كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ (١)

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ   فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ (٢)

على توالى المحن وشدتها . يدعو له بذلك .

(١) المحال : المعوج ، من قولهم حالت القوس والعصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . يقول : أنت بين الملوك كالمستقيم بين المعوج : أى أنك تفضلهم فضل المستقيم على المعوج . وقوله فى الذين أرى ملوكا : أى فى الذين أراهم ملوكا ؛ فملوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف .

(٢) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الشيء جملته ، كالمسك — وهو بعض دم الغزال — وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى : قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربى : كان سيف الدولة يسر بمن يحفظ شعر المتنبى ، فأنشدته يوماً :

• رأيتك فى الذين أرى ملوكا •

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذى يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف الدولة : كذا حدثنى الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبي واهتز ، فأردت أن أحركه ، فقلت إلا أن فى أحدهما عيباً فى الصنعة ، فالتفت المتنبي التفات حنق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم فى محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة ، وإنما ضدها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمية ، فكيف تعمل فى تغيير قافية البيت الثانى؟ فقلت عجلا كرد الطرف :

فإن تفُق الأنام وأنتَ منهم   فإنّ البَيْض بعضُ دم الدجاج

فضحك ، وضرب بيده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه

وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوى من أسر الخارجى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْىَ فى الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (٢)

يصلح أن يباع فى سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هى «إلى» الجارة ، و«ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من «ما» طلبا للخفة واعتدادا بإلى الجارة ، وكذلك يفعلون فى : «مم» و«فيم» ، و«عم» ، و«علام» . و«حتام» . والعاذل : اللائم ؛ والواو - فى ولا رأى - حالية . والطماعية : مصدر بمعنى الطمع ، كالكراهية والعلانية . يقول : إلى متى يطمع العاذل فى أن أستمع كلامه والحب يقع اضطرارا لا اختيارا ، والعاقل لا يقع فى شرك الحب برأيه واختياره فلا معنى للوم فيه لأن المحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وَمَا مِنْ فَتًى فى النَّاسِ يُحْمَدُ عَقْلُه فيوجَدُ إلا وهو فى الحب أحمقُ

قال العكبرى : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين قوله فى ظاهره : ولا رأى فى الحب ، من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفى تعلقه به وجوه : أحدها يريد إلام يطمع عاذلى فى إصغائى إلى قوله ، والعاقل إذا أحب لم يبق له مع الحب رأى يصغى به إلى قول ناصح فعذله غير مجد نفعا ؟ والثانى أن العاقل لا يرتئى فى الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراراً ؛ فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رأيه أن يورط نفسه فى الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذل الجاهل أضيع من سراج فى الشمس ؛ وكيف يطمع فى نزوعه ؟

(٢) يقول : يريد العاذل من قلبى أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على

وَإِنِّى لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولِى وَكُلَّ امْرِىءٍ نَاحِلِ (١)
وَلَوْ زُلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيْتُ عَلَى حُبِّىَ الزَّائِلِ (٢)
أَيُنْكِرُ خَدِّى دُمُوعِى وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُ فى مَسْلَكٍ سَابِلِ (٣)

حبكم ، فكيف أنقل عن شيء طبعت عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لا تَحْسَبنِّى عنكم مُقصِراً إنِّى على حُبكم مطبوعُ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طُبُع : ككتاب وكتب .

(١) يقول : بلغ من عشقى لكم وحبى إياكم أنى أحب نحولى فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس فى الحب لأنه يشبهنى فى أثر حبكم . قال ابن جنى ، وفيه معنى قول أبى الشيص :

أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لذكرِكِ فليلُمْنى اللوَّمُ

وهو معنى قول الآخر :

أُحِبُّ لحبها السودانَ حتى أُحِبُّ لأجلها سودَ الكلاب

(٢) زلتم : بعدتم . يقول ، ولو فارقتمونى ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبى إياكم ، يعنى : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عنى الحب لبكيت على فراقه لاغتباطى بما ألاقيه فى هذا الحب . قال العكبرى : وقوله ولو زلتم وتعقيبه فى آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع فى الشعر .

(٣) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدى ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهى تجرى منه فى طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ (١)

وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لَامَنِي وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلِ (٢)

كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ (٣)

وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلِ (٤)

---

(١) يقول : ليس دمعي الآن بأول دمع جرى فوق خدي ، وليس حزني على هذا الفراق بأول حزن على مفارق . يعني أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة .

(٢) يقول : تركت السلو لمن يلومني على الوجد،فهو حظه ـ لا حظي ـ إذ لِي من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللائم .

(٣) الثاكل : التي فقدت ولدها . يقول : تباعد ما بين جفوني سهرا فليست تلتقي النوم ، فكأنها ثياب ثاكل شقت . يعني : إذ فقدتهم وفقدت النوم بعدهم ، فكأن جفوني شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن ، وهذا كقوله الآتي :

* قد عَلَّمَ البينُ مِنَّا البينَ أجفانَا *

قال العكبري : شبه مقلتيه في حزنهما بتلك الثاكل في وجدها، وتبعيد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا، وهذا مما شبه فيه شيـــآن بشيئين ، وهو من أرفع وجوه البديع . وأخذ المهلبي الوزير هذا المعنى فقال :

تَصَارَمَتِ الأجفانُ لمَّا صَرَمْتِني فما تَلْتَقِي إلاَّ عَلى عَبْرَةٍ تجرى

(٤) أبو وائل : هو ابن عم سيف الدولة ، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج . يقول : لو كان الذي أسرني شيئا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل ، إذ ضمن للخارجي الذي أسره مالا حتى خرج من

فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النُّضَارِ ... وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ (١)
وَمَنَّاهُمُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً ... فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ (٢)
كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ ... مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ (٣)
دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ ... عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ (٤)
فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ ... لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ (٥)

أساره، وقد بين ذلك فيما يلي :

(١) النضار : الذهب ؛ والقنا الذابل : الرماح، والرمح يوصف بالذبول للينه . يقول : ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء ، إذ أتى الخارجي بجيشه وقتله وأنقذ أبا وائل .

(٢) مناه الشيء : جعله أمنية له ؛ والأمنية : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب ، وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل في فدائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .

(٣) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأننا في ظلمة، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله .

(٤) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لاستنقاذه فأجبته ،ولو سكت لما قعدت عنه ولما غفلت، فكم ساكت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة ؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبته على انتزاح مستقره، ورب ساكت لبعده عنك، كالمخاطب لك ، لما يوجبه كرمك من اهتمامك بشأنه، واعتنائك بأمره .

(٥) بك : أي بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن

خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِى عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فى وَابِلِ (١)
فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِينَ السِّيَاطَ بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ (٢)
شَفَنَّ لِخَمْسٍ إلَى مَنْ طَلَبْنَ قُبَيْلَ الشُّفُونِ إلَى نَازِلِ (٣)
فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الثَّرَى عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْغَاسِلِ (٤)

أتيته بنفسك فى جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(١) النقع : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوابل : المطر الكثير ؛ وخرجن : أى الخيل . يقول : خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار فى سحاب ومن العرق فى مطر .

(٢) الصفا : الصخر : والماحل : الذى لم يمطر . يقول: لما نشفت الخيل من العرق تلقت السياط من أعجازها بمثل الصخر الذى لاندوة به ؛ يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسياط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

(٣) يقال شفنت الرجل : إذا نظرت اليه بمؤخر عينك ، أونظرا فى إعراض ؛ وأنشد الجوهرى للقطامى :

يُسَارِقْنَ الْكَلَامَ إلَىَّ لَمَّا حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونِ

قال: وهو الغيور . . . والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبى وائل — الذى كانت جادة فى طلبه — قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعنى أن فرسان هذه الخيل لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أباوائل فى ركضة واحدة وأوقعوا بالقوم الذين أسروه .

(٤) دانت : فاعلت ، من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت قوائمها فى التراب إلى مرافقها ثقة بأن الدم الذى سيسفكه فرسانها سيغسلها ويزيل عنها ذلك التراب؛ ويروى بدل الثرى : البَرَى ، وهو التراب

وَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْمُسْتَغِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْبَائِلِ (١)
فَلَقَّيْنَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ (٢)

قال مُدرِك بن حِصن الأَسدىّ :

ماذا ابتغت حُبّى إلى حَلّ العُرَى حَسِبتنى قد جئت من وادى القُرَى
بِفِيك من سارٍ إلى القومِ البَرَى (١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يبروه برواً : أى خلقه ؛ وقيل: البرية الخلق ، وأصله الهمز ، يقال برأه الله .

(١) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستغير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى يتفحج — يباعد مابين رجليه — ليبول . يقول : إن هذه الخيل المستغيرة على هؤلاء الخوارج كانت لشدةالعدْو — الجرى — تتفحج كما يتفحج البائل لئلا يصيبه البول . ويجوز أن يريد — كما قال الواحدى — أنها تعرق فى عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها كأنها تبول .

(٢) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمصبوحة : الفرس التى تسقى اللبن صباحا لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، لحذف الهاء ، وهى الناقة التى قلّ لبنها وخف ومرؤ ونجع فى شاربه ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل؛ قال ابن القطاع : حذف الهاء لإقامة الوزن ، والشائلة: التى مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها ، وجمعها شَوْل ، والشائل - بلاهاء- التى تشول بذنبها ولا لبن لها، وجمعها شُوَّل: كراكع ورُكع . . قال ابن جنى : سألت المتنبى عن قوله الشائل وقلت له الشائل لالبن لها ، وإنما التى لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بالهاء ، فقال

(١) يقال فى الدعاء على الإنسان : بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم : بفيه البرى، وحمى خيبرا، وشر ما يرى فإنه خيسرا .

وَجَيْشَ إمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الإمَامَةِ فى البَاطِلِ (١)
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُــدَّامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالعَاسِلِ (٢)
فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أُسْدُهَا آكِلَ الآكِلِ (٣)
بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَائِرٍ لَهُ فِيهِمِ قِسْمَةُ العَادِلِ (٤)

أردت الهاء وحذفتها، كقول كثيّر:

لَعَمرِي لئنْ أمُّ الحكيمِ تَرَحَّلتْ وَأخلتْ لخَيماتِ العُذَيْبِ ظِلالها

أراد العذَيبة، فحذف الهاء. يقول المتنبي: إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجي بالرماح الردينية وبالخيل التى تسق لبن النياق صباحاً لكرمها.

(١) وجيش: عطف على كل — فى البيت السابق — والمراد بالإمام: الخارجي. يقول: ولقيت هذه الخيل جيش إمام فى قومه صحيح الإمامة عليهم، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين... وإنها لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة فى الباطل. وقال ابن جنى: معناها قد صح أن أمامته باطلة لاشك فى ذلك؛ والتفسير الأول أوجه.

(٢) ينحزن: من الانحياز، وهو كالانهزام، الانضمام إلى جانب. والعاسل: الذى يجنى العسل من خلايا النحل. قال شارحو الديوان جميعاً: أى أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل. وقال اليازجي: أى أن خيل الممدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل. يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة؛ وهو الأظهر والأوجه.

(٣) يقول: فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعا يأكلهم ويفنيهم، يعنى كنت أشجع منهم وإن كانوا شجعاناً.

(٤) يقول: إن أكلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعاً، وأنت وإن

وَطَعْنٍ يَجْمَعُ شُذَّانَهُمْ كَمَا اُجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الحَافِلِ (١)
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ (٢)
فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْهَا اللِّحَى فَتًى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ (٣)
وَلَا يَسْتَغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلَا يَتَضَعْضَعُ مِنْ خَاذِلِ (٤)

بالغت فى الضرب وأسرفت إسراف الجائر — الظالم — إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذا الضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو فى الحقيقة عدل ، لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله تعالى ؛ وفى معناه لحبيب :

أَنْ لَسْتَ نِعْمَ الجَارُ لِلسُّنَنِ الأُلَى إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بِئْسَ الجَارِ (١)

(١) الشذان: المتفرقون ؛ والدرة: اللبن إذا كثر وسال ؛ والحافل : التى حفل ضرعها ؛ أى امتلأ باللبن . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل اجتمعوا فيه اجتماع اللبن فى الضرع ؛ وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته ؛ وحصرهم بمخافته ، كجمع الضرع لدرته.

(٢) يقول : إذا نظرت إلى الفارس - وهو أقدر على الفرار من الراجل - تحير فزعاً منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة .

(٣) الناصل : الذى ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء لحاهم بدمائهم ، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب : يعنى أنه إذا ضرب إنسانا بسيفه لم يبق فيه مايحتاج إلى إعادة الضربة .

(٤) يقول : إنه مستغن بقوته عمن ينصره فلا يستنصر أحداً مستغيثاً اليه

---

(١) بئس الجار : يريد للكفار .

وَلَا يَزَعُ الطِّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ ... وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ (١)

إِذَا طَلَبَ التَّبْلَ لَمْ يَشْأَهُ ... وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَاطِلِ (٢)

خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا ... فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِى الْعَاجِلِ (٣)

وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ ... فَعُودُوا إِلَى حِمْصَ مِنْ قَابِلِ (٤)

فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِى ... قُتِلْتُمْ بِهِ فِى يَدِ الْقَاتِلِ (٥)

ولا يجزع ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة فى جيش .

(١) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدَم : مصدر ، أو اسم مكان : أى عن إقدام أوعن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل: الأمر العظيم المخيف . يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أوعن شىء يقدم عليه ؛ أى لايخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع . ولا يهوله شىء فيرد طرفه — نظره — عنه .

(٢) التبل : الثأر : ولم يشأه : لم يسبقه . يقول : إذا طلب ترة — ثأراً — لم تفته وإن كانت ممتنعة صعبة الحصول كالدين عند الماطل؛ وإن طال العهد .

(٣) يستهزئ بهم . يقول : اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبى وائل وخذوه؛ فان الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لايصل اليكم . . . والذى أتاهم به هو الوقيعة بهم .

(٤) حمص : كانت موضع الواقعة ؛ ومن قابل : أى العام القابل . يقول: إن كان قد حصل لكم مرادكم فى عامكم هذا من قصد حمص فعودوا فى السنة التالية ليعود اليكم القتال . . .

(٥) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : المخضوب . يقول : فان السيف

يَجُودُ بِمِثْـلِ الَّذِى رُمْتُمُ فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ (١)
أَمَامَ الْكَتِيبَـةِ تُزْهَى بِهِ مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ (٢)
وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالاً بِكُمٍّ عَلَى بَازِلِ (٣)
أَقَالَ لَهُ اللهُ لَا تَلْقَهُـمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ (٤)

الذى خضب بدمائكم وقتلتم به لايزال فى يد من قتلكم به ، فنى عدتم لقيتم فى المرة الثانية كما لقيتم فى الأولى .

(١) على السائل : متعلق بيجود . يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذى طلبتموه من الضمان فلم تدركوه لأنكم طلبتموه لاعن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٢) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال من الضمير المستكن فى الخبر بعد - وهو قوله : مكان السنان . فانه خبر عن محذوف ، هو ضمير الممدوح - وتزهى : تفتخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل :صدر الرمح. يقول : هو من عساكره الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقدم السنان الرمح ، وهو الطاعن ، وهم بدونه لايغنون شيئاً.

(٣) البازل من الإبل : الذى قد فطر نابه وظهر فى السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد ؛ وكان الخارجى قد ركب ناقة ، وهو يشير بكمه يحث أصحابه على القتال ، فهو يقول : إنى لأعجب ممن يؤمل ظفرا بتحريك كمّ وركوب ناقة !

(٤) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الخيل : التى لم تحمل ، وإذا حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه اليه أن لاتلق جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجى

إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً ... بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِى الْكَاهِلِ (١)

وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِى هِمَّةٍ ... دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٢)

يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ ... وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِى السَّاحِلِ (٣)

أَمَا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ ... عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ (٤)

يدعى النبوة ويقول: لا آتى إلا ما أمرنى الله به — فقال المتنبي: آلله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها؟

(١) الهامة: الرأس. وبراها: قطعها. والكاهل: أعلى مجتمع الكتفين. يقول: هل قال الله له لا تلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه؟ وجعل ذلك الصوت كالغناء منه، كما قال أبو نواس:

إذا قامَ غنتهُ على الساقِ حليةٌ ... لهـا خطوهُ وَسْطَ الغناء قصير

« يعنى بالحلية: القيد » فنقل المتنبى وصف القيد إلى السيف.

(٢) يقول: ليس الخارجى بأول من دعته همته إلى مالا يناله؛ وكان هذا الخارجى يطمع فى الخلافة والملك.

(٣) اللج: معظم الماء؛ والبيت مثل. يقول إن هذا الخارجى فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها؛ أو أنه فى ادعائه النبوة وطمعه بها فى الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة - وهو أحد أمراء الإسلام - كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والموج يغمره فى ساحله؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير.

(٤) الفاصل: القاطع، ويروى: الفاضل. يقول: أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها؟.

يَقُدُّ عِدَاهَا بِلاَ ضَارِبٍ ... وَيَسْرِى إلَيْهِمْ بِلاَ حَامِلِ (١)

تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فى النَّقَـا ... وَمَا يَتَخَلَّصْنَ لِلنَّاخِلِ (٢)

فَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيعَ السِّبَاعِ ... فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ (٣)

وَعُدْتَ إلَى حَلَبٍ ظَافِرًا ... كَعَوْدِ الْحُلِيِّ إلَى الْعَاطِلِ (٤)

وَمِثْلُ الَّذِى دُسْتَـهُ حَافِيًا ... يُؤَثِّرُ فِى قَـدَمِ النَّاعِلِ (٥)

---

(١) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى اليهم غير محمول؛ يعنى إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالمحاماة عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٢) النقا : الكثيب من الرمل . يقول : دست رؤس أصحاب الخارجى بحوافر الخيل فطحنتها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤسهم شىء .

(٣) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ربيعاً بما وسعت عليها من لحومهم؛ فلو قدرت السباع لأثنت عليك بما شملتها من إحسانك .

(٤) الحلى : جمع حَلى ، ما يتزين به ؛ والعاطل : التى لا حلى عليها . يقول : وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٥) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرِّى إنك

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَـبَرٍ شَائِعٍ   لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الجَائِلِ (١)
وَيَوْمِ شَرَابٍ بَنِيهِ الرَّدَى   بَغِيضِ الحُضُورِ إِلَى الوَاغِلِ (٢)
تَفُكُّ العُنَاةَ وَتُغْنِي العُفَاةَ   وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الجَاهِلِ (٣)
فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ   وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِى الآجِلِ (٤)

ناعلة. (١) يقول: إن ما فعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب؛ جعل الحافى مثلا لمن لم يتأهب، والناعل مثلا للمتأهب.

(١) الشية: لون يخالف بقية لون الجلد؛ والأبلق: الذى فيه سواد وبياض؛ والجائل: الذى يجول بين الصفين. يقول: كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشتهر اشتهار الشية فى الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل.

(٢) الواغل: الداخل على القوم فى شرابهم من غير أن يدعى، أما الذى يدخل على القوم فى طعامهم فهو الوارش. يقول: وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كئوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله، وتكره المشاركة فى ذلك الشراب، وهذه استعارة جميلة.

(٣) العناة: جمع عان، الأسير؛ والعفاة: جمع عاف، السائل. يقول: ديدنك فك الأسرى، وإغناء السائلين، والعفو عن المذنبين.

(٤) معطيكه: معطيك إياه، والآجل: ما قابل العاجل. والآجل فى غير هذا الموضع: من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا: جناه وهيجه؛ قال توبة

---

(١) قال أهل اللغة: هذا المثل يقال فى جلادة الرجل، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه؛ وأصل هذا أن رجلا قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة، فقال لها: اطرى: أى خذى فى أطرار الوادى ـ وهى نواحيه ـ فإنك ذات نعلين. قال الجوهرى: وأحسبه عنى بالنعلين: غلظ جلد قدميها.

فَذِي الدَّارُ أَخْوَنُ مِنْ مُومِسٍ وَأَخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الحَابِلِ (١)
تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ (٢)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصده معز الدولة الديلمى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى المَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالقُبَلِ (٣)

ابن مضرس العبسى :

وأهلِ خِباءٍ آمنينَ فجعتُهم بشيءٍ عزيزٍ عاجلٍ أنا آجله
وأقبلتُ أسعَى أسأل القومَ مالهمْ سؤالكَ بالشيءِ الذى أنت جاهله

، أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مرّ بصبية يتضاربون ، فاستغاثه بعضهم على بعض ، فضرب صبيا منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به ، يدعو المتنبى له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاله وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه .

(١) المومس والمومسة : الفاجرة . والكفة : الحبالة : أى الشرك ؛ والحابل : الصائد ذو الحبالة . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالمومس لا تقيم على خليل ، وهى أخدع من حبالة الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

(٢) الطائل : كل شىء يرغب فيه أو ما فيه غناء . يقول : تفانى الناس فى التشاحّ على الدنيا ولم يحصلوا على شىء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ما تبنى وتمر بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، قبحها الله وقبح من تهالك عليها !

(٣) الأسل : الرماح . يقول : أعلى الممالك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبل : أى يستلذ الطعن استلذاذ القبل ؛ وعجز البيت من قول أبى تمام :

وَمَا تَقِرُّ سُيُوفٌ فى مَمَالِكِهَا ... حَتَّى تَقَلْقَلَ دَهراً قَبلُ فى القُلَلِ (١)

مِثْلُ الأَمِيرِ بَغَى أَمْراً فَقرَّبَهُ ... طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِى الخَيْلِ وَالإِبِلِ (٢)

وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلُ ... مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ (٣)

عَلَى الفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِى حَلَبٍ ... تَوَحُّشٌ لِمُلْقِى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ (٤)

يَستَعذبونَ مناياهم كأنهمُ ... لا ييأسون من الدنيا إذا قُتِلوا

والذى يؤخذ من كلام العكبرى أن الضمير فى محبيهن للطعن — على أنه جمع طعنة — وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى الممالك — جمع مملكة — سلطان الملك فى رعيته .

(١) تقلقل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس؛ من قلة الجبل . يقول : لاتستقر السيوف فى الممالك حتى تتحرك زمانا فى رؤس الأعداء، يريد : لايثبت لك الملك حتى تقطع رؤس المعادين لك. قال العكبرى : وأشار بذلك إلى انصراف الديلمى عن الموصل بغير حرب هيبة لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأجهدُ عزمى والمطايا فإننى ... أرى العفو لا يُمتاح إلا من الجهدِ

ونصب دهرا على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الاضافة بناه على الضم .

(٢) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد المنال قربته عليه الرماح وأيدى الخيل والمطايا ، يعنى أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بما له من العدة والاعتزام الذى ذكره فى البيت التالى .

(٣) عزمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان الترب ؛ والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل — الكوكب المعروف — بقدر علو زحل عن التراب .

(٤) الأعاصير : جمع أعصار، الريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش :

تَتْلو أَسِنَّتَه الْكُتْبَ الَّتى نَفَذَتْ ... وَيجعلَ الْخَيلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسُلِ (١)

يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلا يَلْقَى سِوى جَزَرٍ ... وَمَا أَعَدُّوا فَلا يَلْقَى سِوَى نَفَلِ (٢)

صَانَ الْخَلِيفَةُ بِالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ ... صِيانَةَ الذَّكَرِ الْهِنْدِىِّ بِالْخِلَلِ (٣)

بمعنى الوحشة . ويريد بملقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيثما قصد : أى يستقبل به . ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات ـ النهر المعروف ـ رياح تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفى حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(١) تتلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول : إن رماحه تتبع كتبه إلى أعدائه فهو ينذرهم أولا ، فإن لم يطيعوه صمد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو استعتاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يحب الظفر اغتيالا ومواراة لثقته بنفسه ؛ وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحيا لا يخاتلُ قِرنَهُ ... ولكنه بالصحصحان ينازله

وقول صريع الغوانى :

مَن كان يَختِلُ قِرناً عند مَوقفِهِ ... فإن قِرنَ عَلىّ غيرُ مختتلِ

(٢) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوهم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا : عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة . يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم وبجيوشهم ، فلا يكونون إلا مأكلا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .

(٣) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛

الفَاعِلُ الفِعْلَ لَمْ يُفعَلْ لِشِدَّتهِ وَالقَائِلُ القَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلِ (١)

وَالبَاعِثُ الجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ (٢)

أَلجَوُّ أَضْيَقُ مَا لَاقَاهُ سَاطِعُهَا وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ المُقَلِ (٣)

والهندى : السيف ؛ والخلل أغشية الاغماد . يقول : إن الخليفة أكرمه فصانه بمـا وجه إليه من الأبطال والرجال كما يصان السيف الهندى بالخلل . وعبارة العكبرى : لما علم الخليفة أنه سيفه الذى يسطو به صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم فى رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه ، كما يصان السيف الكريم بالأغماد التى يتخلل فيها ، والجفون التى يحفظ بها ؛ وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيبه بسيف الدولة .

(١) يقول : إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد أتى به بكرا ويكون أبا عذرة ذلك الفعل ، ويقول مالم يقله أحد فى بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً لأن كل بليغ يريد أن يأتى بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه . قال العكبرى : من روى الفعل بالنصب أراد : يفعل الفعل ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل ؛ ومن روى بالجر جعله مضافا : كقوله تعالى « والمقيمى الصلاة » .

(٢) غاله يغوله : ذهب به ؛ وأصله الإهلاك ، والعجاجة : الغبرة ؛ والطفل : وقت غروب الشمس . يقول : يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذى يستر ضوء الشمس بغباره حتى يصير الظهر كوقت الطفل ؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

(٣) الساطع : المنتشر ؛ والضمير المضاف إليه : للعجاجة . يقول : إن ماسطع من غبار هذا الجيش ملأ كل فضاء ، فكان الجو أضيق شىء به ، لأنه على سعته ملأه حتى ساوى أضيق ما فيه ، وكانت عين الشمس فيه أحير

يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهْيَ نَاظِرَةٌ   فَمَا تُقَابِلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلِ (١)
قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ   وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغِيَلِ (٢)
وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ   لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٣)

العيون ، لأنه بلغ إليها وأحاط بها؛ وكل هذا مبالغة . وعبارة العكبرى : مابعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار مما قرب ، لأنه فيه تجتمع جملته وتراقى كثرته ، وماقرب فإنما يرده الشيء بعد الشيء فينجلي منه ولا يجتمع؛ وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه .

(١) يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك فما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدها ، لأنها ترى أنه مظفر يدرك مايقصده . وقال بعض الشراح : يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع موضعها وهي ناظرة إليه غير مساوية في الارتفاع له فتقابله وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(٢) عرّضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النوائب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين: إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاغتيال؛ يقال قتل فلان غيلة : أي اغتيالا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نوائب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم في دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أي تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أي جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٣) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعاً ويخفونه دونه ، فعلم ماأسروه وانكشف له ماأضمروه ؛ يعني أنه ألمعي صادق الفراسة

هُوَ الشُّجَاعُ يَعدُّ الْبُخلَ مِن جُبُنٍ وَهُوَ الجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبنَ مِن بُخلِ (١)

يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(١) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لأن الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإذا رَأيتَ أبا يَزيدٍ فى وغىً وَنَدًى وَمُبدِى غارَةٍ وَمُعيدا

يقرِى مُرَجِّيه مُشَاشَةَ مالهِ وشَبا الأسنَّةِ ثُغرَةً وَوَرِيدا (١)

أيقَنتَ أنّ من السماح شجاعةً تدمِى وَأن مِن الشجاعةِ جودا

وعبارة ابن الإفليلى : يريد أنه الشجاع المتناهى الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد المتناهى الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جَوادٍ يَعدُّ الجبن مِن بَخلٍ وباسلٍ بخلهُ يَعتدُّه جُبنا

يَلقَى العفاةَ بِما يَرجُونَ مِن أملٍ قبلَ السؤالِ ولا يبغِى بِهِ ثمنا

وقد بين صريع الغوانى أن الشجاعة جود بالنفس فى قوله :

يجودُ بالنفسِ إذ ضَنّ الجوادُ بِها وَالجودُ بالنفسِ أقصَى غايةِ الجودِ

---

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثغرة : نقرة النحر .

يَعُودُ مِن كُلِّ فَتحٍ غَيرَ مُفتَخِرٍ ... وَقَد أَغَذَّ إِلَيهِ غَيرَ مُحتَفِلِ (١)

وَلا يُجِيرُ عَلَيهِ الدَّهرُ بُغيَتَهُ ... وَلا تُحَصِّنُ دِرعٌ مُهجَةَ البَطَلِ (٢)

إِذا خَلَعتُ عَلى عِرضٍ لَهُ حُلَلاً ... وَجَدتُها مِنهُ في أَبهى مِنَ الحُلَلِ (٣)

---

(١) أغذ: أسرع فى السير؛ واحتفل بالأمر: اهتم. يقول: كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفتخر بها، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقته بقوته وشجاعته؛ وعبارة العكبرى: هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفخر بها ويسرع إليها، ولا يحتفل لها. استقلالا لعظيم مايفعله وارتفاعا عن نهب من يقصده. قال ابن جنى: فإن قيل كيف يكون مغذا غير محتفل، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه، وإن كان محتفلا عند غيره، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده.

(٢) أجار عليه: منعه مما يطلبه. قال تعالى: «وهو يُجِيرُ ولا يُجارُ عليهِ» أى لا يمنع مما يريده. يقول: إذا رام الممدوح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحميه منه، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده كان ما كان من البطولة. أو تقول: إذا تحصن قرنه بالدرع لم يمتنع بها.

(٣) خلعت: يروى جعلت. يريد أن يقول: إذا مدحته تزين مدحى به أكثر مما يتزين هو بمدحى. فضرب لهذا المعنى مثلا فقال: إذا ألبست عرضه حللا وجدت تلك الحلل من عرض الممدوح فى شىء أحسن من الحلل: أى أن عرضه أحسن من الحلل، وهذا من قول أبى تمام:

وَلَم أَمدَحكَ تَفخيماً لِشِعري ... وَلَكِنّي مَدَحتُ بِكَ المَديحا

والعرض: ما يمدح ويذم من الإنسان؛ والحلل: جمع حلة، الثياب. قالوا: ولا تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين، أو إزارا ورداء.

بِذِي الغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ　　كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الوَرْدِ بِالجُعَلِ (١)

لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا　　وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خِيرَةُ الدُّوَلِ (٢)

فَمَا تُكَشِّفُكَ الأَعْدَاءُ مِنْ مَلَلٍ　　مِنَ الحُرُوبِ وَلَا الآرَاءُ عَنْ زَلَلِ (٣)

---

(١) الجعل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجعل . يقول : إذا أنشد الجاهل شعرى تضرر به ، لأنه لا يعرفه و يغيظه ذلك ، فيظهر عليه من أثر الجهل والغيظ ما يظهر على الجعل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة العكبرى : إذا أنشد شعرى بَعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك فى نفسه ، وانكشف له قدر تقصيره ، واستضر بحسن قولى وبديع شعرى كما يستضر الجعل برائحة الورد التى تؤذيه وتقتله لمضادته لها . يعنى إنما يعرف شعرى وجودته وجوهره من هو صحيح الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجعل ، وإن كان مستلذا فى الحقيقة . قال : وهـــذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .

(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء . فخيرة : مؤنث خير ، بمعنى أفضل ؛ أنثوها بالتاء تشبيها لها بالوصف المحض لمفارقتها صيغة التفضيل ؛ وجربت : يروى وجردت . يقول : أنت ملء كل عين بهيبتك وبهائك ، وأنت خير سيف لخير دولة ، يعنى دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا تمل الحروب وأن طالت ، لأنك ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام إن تحملك على الملل من الحروب ، ولا تزل فى رأى ، فقد أوتيت السداد فى التدبير حتى لا يفضى بك رأى إلى زلل .

وَكَمْ رِجَالٍ بِلاَ أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ ... تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضًا بِلاَ رَجُلِ (١)

مَازَالَ طِرْفُكَ يَجْرِى فِى دِمَائِهِمِ ... حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْىَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ (٢)

يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ ... فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِى الْجَذَلِ (٣)

إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ ... وُفِّقْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٤)

---

(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفى عن الأبصار حتى كأنهم رجال بلا أرض، فقتلتهم وأفنيتهم حتى خليت أرضهم فبقيت ولا رجل فيها ؛ قال العكبرى : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب فى صفة الجيش :

ملأ الملا عصباً فكاد بأن يُرى ... لاخلفَ فيه ولا له قدامُ

(٢) الطرف : الفرس الكريم، والثمل : السكران . يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشى السكران .

(٣) الناظران : العينان . والجذل : الفرح . يقول : إنه ملك لايرد عن شىء ، فما حكمت به عيناه استحسانا فهو له : أى مايريده مما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا تمنى قلبه شيئاً وصل إليه لايحول دونه حائل . وقال ابن الإفليلى : وله حكم ناظريه أن لايريهما إلا مايسره ، وحكم نفسه أن لايعرفه الله إلا مايفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم ـ ههنا ـ اسم للمفعول ، لا للفعل ، فإن الناس مستوون فى أفعال نواظرهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ماحكم به ناظرك استحسانا فهو لك لايعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٤) وفقت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله :أقمت أو ارتحلت ، قال

أَجْرِ الْجِيَادَ عَلَى مَا كُنتَ مُجْرِيهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِى أَخْلَاقِكَ الْأُوَلِ (١)

يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَهَا قَرْعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ (٢)

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلِ (٣)

العكبرى : يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من الموادعة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(١) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى. قال العكبرى : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت مجريها أولا من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كفاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد .

(٢) ينظرن : أى الجياد : والأحجة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين ، والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب : والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس . يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرماح : أى أن الرماح لا تقع إلا فى مقاديمها ، لأنها لا تنثنى حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها ، قال العكبرى : يشير بذلك إلى ما حضه عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد ألفت ذلك .

(٣) يدعو له . يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر .

وقال يرثى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب وقد توفى بميافارقين فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنكَ فَوقَ الرَّملِ مَا بِكَ فِي الرَّملِ ... وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي (١)

كَأَنَّكَ أَبصَرتَ الَّذِي بِي وَخِفْتَهُ ... إِذَا عِشتَ فَاختَرتَ الحِمَامَ عَلَى الثُّكْلِ (٢)

تَرَكتَ خُدُودَ الغَانِيَاتِ وَفَوقَهَا ... دُمُوعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ فِي الأَعيُنِ النُّجْلِ (٣)

---

(١) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذى بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت فى الأرض ، فإن هذا الحزن يضنى ويهزل مثل الموت الذى يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يَا مُلْكُ إِنْ كُنْتِ تَحتَ الأَرضِ بَالِيَةً ... فَإِنَّنِي فَوقَهَا بَالٍ مِنَ الحَزَنِ

(٢) الحمام : الموت ؛ والثكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت مابى من الوجد بك والحزن عليك فخفت أن تبتلى بمثله لو عشت وفقدت حبيباً عزيزاً عليك ، فاخترت الموت على فقد الأعزة والحزن عليهم .

(٣) الغانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التحسين ، والأعين النجل : الواسعة الحسنة . يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة عليك تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين ، ويزيل حسنها ؛ كما قال :

أَلَيْسَ يَضُرُّ العَيْنَ أَنْ يَكْثُرَ البُكَا ... وَيُمْنَعَ عَنهَا نَوْمُهَا وَهُجُودُهَا

وإنما قال « تذيب » ولم يقل « تزيل » لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئاً فشيئا ، كان استعارة الاذابة لمثله أحسن ، وأيضاً لما كان الذوب فى معنى السيلان والدمع سائل ، كان كأن الحسن سال معه ؛ وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع ويسخنه ، وسخونة الدمع تذيب شحمة المقلة

تَبُلُّ الثَّرَى سُودًا مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ   وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعَرِ الْجَثْلِ (١)
فَإِنْ تَكُ فِى قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِى الْحَشَى   وَإِنْ تَكُ طِفْلًا فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ (٢)
وَمِثْلُكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ   وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ (٣)

فتذيب حسنها ، والثانى أن الحسن عرض لايقبل الاذابة . يقول : هذه الدموع تذيب مالا يقبل الاذابة ، فكيف ما يقبلها ؟

(١) الثرى : التراب ؛ ومن المسك : تعليل ؛ والجثل : الكثيف . يقول : إن هذه الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهى سود لامتزاجها بالمسك وحده لأن الغانيات لا يكتحلن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهن يغنيهن عن التكحل ، وقد استعملن المسك قبل المصيبة فبقى فى شعورهن ، والكحل لايبقى طويلا ، وهذه الدموع قطرت وهى حمر لامتزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سودا ، وإنما قطرت على الشعر لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ، وهذا من قول أبى نواس :

وقد غلبَتْها عَبْرَةٌ فدموعها   على خدِّها حُمر وفى نحرِها صُفْرُ

فجعلها صفرا على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران .

(٢) الأسى : الحزن . يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن كنت طفلا صغيرا فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير ، ومعنى المصراع الأول من قول أبى تمام :

لها مَنزلٌ تحتَ الثرى وعَهدُها   لها منزِلٌ بين الجوانحِ والقلبِ

والثانى من قول الآخر :

إن تكُنْ مُتَّ صَغيرًا   فالأسَى غيرُ صَغيرِ

(٣) المخيلة — هنا — الفراسة ، وهى فى الأصل : السحابة التى يرجى

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الأُلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ ... نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمُ مُهْجَةُ الْبُخْلِ (١)
بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ ... وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ (٢)
تُسَلِّيهِمِ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ ... وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ (٣)

مطرها . يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط البكاء عليك ، وإنما تُبكَى على قدر أصلك ؛ إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة فيك ؛ إذ كنا نتفرس فيك الملك . فلهذا يكثر البكاء عليك .

(١) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الذين . يقول ـ مخاطبا الميت ـ أنت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلاهم : أى أنت من القوم الذين أفنوا البخل بجودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل [جودهم] بمنزلة رماح تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبي تمام :

وإنْ أزَماتُ الدهرِ حَلّتْ بِمَعْشَرٍ ... أُرِيقَتْ دِماءُ المَحْلِ فيها فَطُلَّتِ (١)

وقال ابن الرومى :

وَمَا فى الأرضِ أسمحُ مِن شجاعٍ ... وإنْ أعطى القليلَ مِنَ النَّوالِ
وَذاكَ لأنه يُعطيكَ مِمّا ... تفيءُ [عليه] أطرافُ العوالي

(٢) الأعطاف : جمع العطف ، هو الجانب . يقول : إن صبي هؤلاء القوم كغيره من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل فى أعطافه ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة .

(٣) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيهم عما

---

(١) المحل : الجدب ، ويقال طل دمه : اى أهدر .

أَقَلُّ بَلَاءً بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَا وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ(١)

يصيبهم ، فهم يترفعون عن الجزع الذى هو شنشنة النفوس الوضيعة ، أما من نبل قدره ؛ وارتقت فى المعالى همته ؛ فإنه يتسلى بالمعالى عن الجزع والهلع ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله عن الشغل بما عدا ذلك . والعلياء - : بفتح العين والمد . أما بضم العين فهى مقصورة .

(١) أقل : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هم أقل بلاء ؛ والبلاء : فعال من المبالاة ؛ والرزايا : جمع رزية ، المصيبة ؛ والقنا : الرماح . وأقدم : أى أشد إقداماً ، استعمل أفعل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن ، أو تقول إنهما من قدم يقدم إذا تقدم ؛ قال حسان بن ثابت :

كلتاهُما حَلَبُ العَصِير فَعاطِنِي بِزُجاجَةٍ أرخاهما لِلمَفصِلِ (١)

أراد أشد ارخاء . والجحفل : الجيش العظيم . يقول : هم لايبالون بما يصيبهم من الرزايا كما لايبالى بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا ، والقنا جماد ، والجماد لايوصف بالمبالاة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام المرسلة التى تأبى إلا التقدم . وبعبارة أخرى : إذا أصابتهم مصيبة لم يبالوا بها ، كأنهم لشدة تجلدهم لايشعرون بها ، فهم فى ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالى بما يصيبها ، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شىء ؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لايقف دون غايته .

---

(١) قبله :

إنّ التى ناولْتَنِي فرَدَدْتُهــا قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَهاتِها لمْ تُقْتَلِ

فقوله كلتاهما : أى التى قتلت - أى مزجت بالماء - والتى لم تقتل - أى لم تمزج وأرخاهما للمفصل : أى التى لم تمزج — أى الصرف .

عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ   فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ (١)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ   كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِى أَهْلِ (٢)
وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً   وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ (٣)
تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِى سَلِيلِهِ   وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ (٤)

---

(١) النصل : حديدة السيف . يقول : الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذى يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى ، لأنك قد تعودت الشدائد ، لأنك سيف ، والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم المبالاة بمقارعة الحديد . قوله عزاءك : منصوب على الاغراء ؛ أى الزم عزاءك ؛ أو بفعل مضمر تقديره تعزّ عزاءك ؛ والمقتدى به فى موضع نصب صفة لعزاءك ؛ والضمير فى به : للعزاء .

(٢) مقيم : إما صفة لنصل - فى البيت السابق - أو خبر مبتدأ محذوف : أى أنت مقيم . والهيجاء : من أسماء الحرب ، والصوارم : السيوف القواطع . يقول : أنت مقيم فى كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت فى أهلك ، وهذا من قول أبى تمام :

حَنَّ إلى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ   بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَى الْوَطَنِ

وقوله أيضاً :

لِتَعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ   غَدَاةَ الْوَغَى آلُ الْوَغَى وَأَقَارِبُهْ

(٣) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمعة الحزن ، ولا أثبت عقلا منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفزع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش فى الحروب . وعبرة : أى دمعة تمييز .

(٤) السليل : الولد ؛ والأنثى : سليلة ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السليلة بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَيبقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُه ... وَيبدُو كَمَا يبدُو الْفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ (١)

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْس كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ ... فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي (٢)

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ ... يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ (٣)

وَمَا هِندُ إلا مُهرة عربيةٌ ... سليلة أفراسٍ تجللها بَغلُ (١)

والرجل: جمع راجل، وهم المشاة. يقول: متعجباً —: إن المنايا تخونه فى ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفعاً ولكنها تنصره فى الحرب وتنفذ مراده فى أعدائه، وفى هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان. وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد:

أَلَمْ تَعجَبْ له أنّ المنايا ... فَتَكْنَ به وهُنّ له جُنودُ

(١) الفرند: جوهر السيف وماؤه؛ ويبدو: أى الصبر. يقول: إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع — الصدأ — ظهر فرنده، كذلك هو؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره.

(٢) يقول: من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغنته عن تعزية غيره وأسلته عن مصيبته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو فى دهره من الحوادث؛ ومن عرف هذا وطن نفسه على فقد الأحبة.

(٣) يقول: ليس الموت إلا سارقا، بَيْدَ أنه ليس كسائر السُّرّاق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسعى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه، وإنما

---

(١) تجللها: علاها؛ وقوله بغل: قال بعضهم إنه تصحيف؛ والصواب: نغل — بالنون — وهو الخسيس من الناس والدواب، لأن البغل لا ينسل.

يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ ... وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ (١)

بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ ... إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ (٢)

هو سارق دقّ شخصه — أى لاشخص له — يصول دون كف يظهرها، ويسعى دون رجل ينقلها، فلا يُدرَى كيف يأتى، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد؛ ومن ثم لاسبيل إلى الاحتراس منه

(١) الشبل: ولد الأسد؛ والخميس: الجيش؛ يقال: إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه. يقول: إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل، وإنما يسلمه له، فهو يحمى ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير؛ وهذا مثل. يقول: إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده، مع كون الموت على ماوصفه لاجيش له ولا سلاح، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما، ولكن لامدفع للموت.

(٢) الوليد: المولود؛ وطَرَّقت المرأة والناقة وكل حامل: نشب ولدها فى بطنها ولم يسهل خروجه. قال أوس بن حجر:

لها صَرخةٌ ثم إسكاتةٌ ... كما طرَّقت بِنِفاسٍ بِكْرُ

يقول: أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض — لاتطرق بالحمل. قال الواحدى: وإنما قال لاتطرق لأنها إما جماد لاتوصف بالتطريق وإن كانت تسمى أمّاً لكون الأموات فى بطنها، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطونها بسهولة وسرعة، كما قال عز من قائل «فإنما هى زَجْرَةٌ واحدة. فإذا هم بالساهرة». فسر قوم هذا البيت على العكس، قالوا: معنى لاتطرق بالحمل: لاتخرج الولد من بطنها؛ والتطريق: إظهار الطريق — من قولهم طرِّق طرِّق: أى خل الطريق —

بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرِّوَى ... وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ (١)

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا ... إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)

وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى ... وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِي (٣)

يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن المتنبي كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجيه .

(١) الروى - بكسر الراء - مصدر رَوِيَ من الماء ، يقال ماء رِوًى - بالكسر والقصر - ورواء - بالفتح والمد - أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشمائله واعدة بالخير وَعْدَ السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا ، فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ؛ والركاب : ما توضع فيه الرجل من السرج . يقول : صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف ؛ وجاشت القدر : غلت وهاجت ؛ والضروس : الشديدة العض ؛ وما مشى ، وما تغلي : حالان ؛ يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تغلي - أى الحرب - تنبيه إلى أن الحرب قامت معنى لا صورة . وذلك المعنى هو الخوف ؛ ومن روى يغلى : أراد جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقاً عليهم ، ومن روى يفلى - بالفاء - فهو من فليت رأسه بالسيف : أى ضربته : أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ؛ ويروى يقلى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

أَيَفْطِمُهُ ٱلتَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ ٱلْبُلُوغِ إِلَى ٱلْأَكْلِ (١)

وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ ٱلْعَذْلِ (٢)

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ ٱلسِّلْمِ وَٱلْوَغَى وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي مَلِيكاً بِلَا مِثْلِ (٣)

تُوَلِّيهِ أَوْسَاطَ ٱلْبِلَادِ رِمَاحُهُ وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ ٱلْعَزْلِ (٤)

نُبَكِّي لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ تَفُوتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَلَا مَوْهِبٍ جَزْلِ (٥)

---

(١) التوراب : لغة فى التراب ؛ والفطام : منع الصبى من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب من أمه باشتماله عليه قبل أن تفطمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السلمى :

فطمتك المنون قبل الفطام واحتواك النقصان قبل التمام

(٢) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن يرى من جوده ما رأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام فى الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت .

(٣) السلم : المسالمة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، وبفتح السين وكسرها ؛ والوغى : الحرب . يقول : وقبل أن يلق ما تلقاه أنت من ارتفاع الشأن وعظم السلطان فى السلم ، ومن ثمرة الظفر فى الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكا لا نظير له .

(٤) توليه : صفة مليكا . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسرا فيغتصبها رماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا توليه من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل . . .

(٥) الموهب — كالموهبة — العطية ؛ والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غنائه من الباكى . يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم

إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ (١)

ونحن نعلم أنه لم يفتهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى باحرازه؛ يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر .

(١) يقول : إذا ألقيت بالك إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك فى الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره فى الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذى ينتهى اليه الإنسان ضربا من القتل ، ومن أجل ذلك لايجمل بالمرء أن يغتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال فى آخر القصيدة وما الدهر الخ . وعبارة الشراح : إذا ماتأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ماحتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان فى مكروههما متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره مايحذر من أموره ؟ وهذا يوجب الزهد فى الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الأسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ المصير فى الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

إذا بَلَّ مِنْ داءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الذى هُوَ قَاتِلُه

قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتوم على كل أحد ، فجعل الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر وبه الداء الذى هو قاتله : البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت؛ وهو معنى ينظر إلى ماجاء فى الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حُمَيد بن ثور :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسلَمَا

هَلِ الوَلَدُ المحْبُوبُ إلَّا تَعِلَّةٌ ... وَهَلْ خَلْوَةُ الحَسْنَاءِ إلَّا أَذَى البَعْلِ (١)

وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ البَنِينَ عَلَى الصِّبَا ... فَلَا تَحْسَبَنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلِ (٢)

ويقول الآخر :

كانت قناتى لا تلينُ لغامزٍ ... فألانها الإصباحُ والإمساء

ودعوت ربى بالسلامة جاهداً ... ليُصِحَّنى فإذا السلامة داء

(١) التعلة : التعلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلة : إذا كان يطيب به نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لايدوم ، وإنما هو تعلة إلى وقت والحزن بسببه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بامرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها تجلب لك ولداً تغتم من أجله ، وتتأذى بتربيته ، ولعل العاقبة إلى الثكل . ينهى عن الخلوة بالمرأة لئلا تلد . وقال ابن جنى : وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أذى ذلك إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذاك من المضار التى تلحق مواصل الغوانى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .

(٢) الحلواء : الحلاوة . قال زهير :

* تبدلتُ مِن حلوائِها طَعمَ علقمِ *

يقول : جربت حلاوة الأولاد وقت شبابى فوجدت الأمر على ماقلته ووصفته ولم أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : هل الولد المحبوب إلا تعلة ؟ ويجوز أن يكون قوله على الصبا : على صبا البنين — أى فى حال صباهم . وعبارة ابن جنى : لست أسليك إلا عما قد فجعت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا - أى الذى قال ابن جنى - بعيد .

وَمَا تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا ... وَلَا تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي (١)

وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ ... حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ (٢)

وقال يمدحه :

لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ ... لَوْلَا ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ (٣)

---

(١) يقول : إن علمى بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمى وإن ماأمليه من الحكم ونوابغ الكلم لاتحسن الأيام أن تكتبه . يعنى أنه يعلم ماتعجز الأيام عن مثله ، فهى - مع أنها تأتى بالعجائب - لاتحسن أن تكتب ماأمليه ؛ فكيف تعلمه ؟ يريد توكيد ماقدمه من حنكته وطبّه بالأمور وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وفقده . وعبارة العكبرى : ماتسع الأزمان ماأعلمه من أمرها وأتيقنه من شدة نكدها ، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتمال عليه ، وأن الأيام لاتحسن أن تكتب ماأمليه وتضبط ماأعده ؛ والمعنى أن الأيام التى تأتى بالحوادث لاتحسن أن تكتب ماأمليه من الحكمة والكلام النادر ؛ فكيف تعلمه ؟

(٢) يقول : إن الدهر خوان ليس أهلا أن ترجى عنده الحياة لأنه لايحقق الرجاء فى الحياة ولا يفى بالأمل ، وليس أهلا لأن يشتاق فيه إلى الولد ، لأن الولد إذا عاش بعدك لاقى من مكاره الدهر ماينغص عيشه ويسأم معه الحياة ، ولأنه لايبقى على الولد بل يفجع به الوالد .

(٣) الحلم : النوم ؛ والمثال : الصورة ؛ والزيال : المزايلة والمفارقة . والضمائر فى البيت : للحبيب - وإن لم يجر له ذكر ، لدلالة المقام - يصف شدة هجر الحبيب وأنه لايلم به فى النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة فى النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب ، كما قال أبو تمام :

إنَّ المُعِيدَ لَنَا المَنَامُ خَيَالَهُ كَانَتْ إعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ (١)

* صَدَّتْ وعلمت الصدودَ خَيالَها *

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعا من صدوده. يقول: لم يجد الحلم بالحبيب: أى لم أره فى النوم ولا رأيت خياله لولا أنى أطلت تذكر وداعه ومفارقته وواصلت الفكر فيه ليلا ونهاراً. يعنى: تذكرى فى اليقظة الوداع والفراق أرانى فى النوم خياله، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره فى النوم: أى أن موجب رؤية الخيال هى استدامة ذكر الوداع والفراق. قال الواحدى ناقداً: جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله. ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله، لا رؤية شخصه بعينه؛ وقال بعض الشراح: يريد أنه بعدما ودّعه الحبيب بقى يتذكر وداعه ورحيله، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته فى وهمه. وصار إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور، لا عن العيان، فهو يقول: لولا استدامة هذا التذكر ما جاد علىّ الحلم بمرأى خياله ولا خيال صورته: وهذا تفسير وجيه، وهو ينظر إلى قول القائل:

ثمَّ فما زارَكَ الخيالُ ولكنَّـ ـكَ بالفِكرِ زُرتَ طيفَ الخيالِ

(١) يقول: إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأراناه فى النوم كان ذلك الذى أرانا خيال الخيال: يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله: فالذى رأيناه فى النوم كان خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال، وهذا البيت تأكيد لما قبله من أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق. والمنام ـ فى البيت ـ فاعل المعيد؛ وخياله: مفعول به. وقوله كانت إعادته: لك أن تجعل «كانت» تامة، بمعنى حصلت: وخيال خياله:

بِتْنَا يُنَاوِلُنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ[١]
نَجْنِي الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَائِدِ جِيدِهِ وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ[٢]
بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فِيكُمُ وَسَكَنْتُمُ ظَنَّ الْفُؤَادِ الْوَالِهِ[٣]

منصوبا بالإعادة، ويجوز أن يكون أراد بالإعادة: الشيء المعاد - على تسمية المفعول بالمصدر - فيكون خيال خياله: خبر كانت.

(١) يصف الحال التي رأى خيال الخيال عليها في النوم. يقول: رأيناه يعاطينا الشراب بكفه وما كان يجري في خاطره ان نراه للبعد الذي بيننا، والشاعر يجعل مايراه في النوم كأنما يراه في اليقظة، قال البحتري:

أُرَدُّ دُونَكِ يقظاناً ويأذَنُ لِي عليكِ سُكْرُ الكَرَى إن جئتِ وسنانَه

ولأبي نواس:

إذا التقى في النومْ طيفانا عادا إلى الوصل كما كانا
ياقُرَّةَ العينِ فما بالنا نشقَى ويلتذ خيالانا
لو شئتِ إذ أحسنتِ لي نائما أتممتِ إحسانَكِ يقظانا

(٢) التشبيه في البعد، لا في الصورة. يقول: ما كنا نظن ان نراه فلما رأيناه صرنا كأنا نرى بقلائده الكواكب وبخلخاله الشمس. يعني رأينا في المنام مالم نصل إليه في اليقظة، وقال العكبري: شبه ما في قلادته من الدر بالكواكب وخلخاله بعين الشمس؛ يريد لمعان خلخاله، وذكر أنه يجني الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلمسه إياها؛ قال: فأحرز قصبات التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه في حسن النظر؛ وأشار إلى المعانقة والملامسة بأحسن إشارة، فجعل مد يده إلى تلك الفرائد جنيا للكواكب وإلى الخلخال نيلا لعين الشمس.

(٣) القريحة: التي بها قروح من طول البكاء. والوله: التحير؛ أي

فدنوتم ودنوكم من عنده وسمحتم وسماحكم من ماله (١)
إنى لأبغض طيف من أحببته إذ كان يهجرنا زمان وصاله (٢)

ذهاب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعدتم عن مرأى العين التى قرحت بالبكاء فى سبيلكم وسكنتم فى ظن وفكرى - أى فى قلبى - فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن الفؤاد : ويروى طى الفؤاد ، وهذا كقول القائل .

لئن بعدت عنى لقد سكنت قلبى فسيان عندى غاية البعد والقرب

ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إنا على البعاد والتفرق لنلتقى بالذكر إن لم نلتق

(١) يقول : استدناكم القلب بتفكره فالدنو من قبل القلب — لامن قبلكم — وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسماح على الحقيقة إنما هو منه - لامنكم - إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لامنة لكم فى هذا . ولما ذكر السماح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير فى « عنده » وفى « ماله » للفؤاد .

(٢) الطيف : الخيال ؛ واصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل فى مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسهم طائف من الشيطان » وقرئ طيف من الشيطان ؛ ومنه طيف الخيال الذى يراه النائم ؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : أى ألم فى النوم . قال كعب بن زهير :

أنى ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشعوف (١)

(١) شعوف : يحتمل أن يكون جمع شعف ؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر ؛ والشعف والشعوف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها .

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالأَسَى ... فَارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تَرْحَالِهِ (١)

وَقَدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ ... مِنْ عِفَّتِي مَاذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ (٢)

والضمير المستتر فى « يهجرنا » للحبيب . وضمير « وصاله » للطيف . يقول : إنه يبغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر ؛ إذ لايراه إلا حال فراق الحبيب ؛ وعبارة العكبرى : هو يبغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التئام الشمل ، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر . قال ابن جنى : هذا يسمى الأكذاب ، لأنه قال فى الأول لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لايصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه يبغض طيفه . وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول إذ كان يواصلنى زمان الهجر ، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضا له ؛ إذ لاحاجة به إلى الطيف زمان الوصل ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر .

(١) لك أن تقرأ « مثل » بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف ؛ وبالنصب : على تقدير أبغضه بغضا مثل ، والصبابة : رقة الشوق ؛ والأسى : الحزن ، والضمير من فارقته : للمحبوب ؛ والجملة : تفسير للمماثلة ، أو حال من الصبابة وما يليها ، والتى تعود إليها النون — من قوله فحدثن — على حد قولك : جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس . يقول : فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء — الصبابة ، والكآبة ، والأسى — وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر .

(٢) استقدت : اقتصصت ، من القود ؛ وهو قتل القاتل بالقتيل . والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فربما قتلوه به وربما عفوا عنه .

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
تَلْقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)

والبلبال : الهم والحزن ؛ وهذا تمثيل . يريد : كان الهوى يؤذيني والحبيب غائب ، فلما حضر جعلت إعراضي عن إجابة داعية الهوى وتعففي عما يجرني إليه جزاء له . وبعبارة أخرى : إني انتقمت من الهوى بتعففي وإعراضي عن إجابة داعيه ، فأذقته بذلك من الغيظ مثل ما أذاقني من الحزن . قال ابن جني : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العَرَض - أي الهوى نفسه - فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التي شبب بها فيكون على حذف مضاف : أي ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرغام : تستدعي إسراعه في الهرب - من قولهم جفل الظليم وأجفل : إذا أسرع - والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله لكل أرض : أي لافتتاح أو غزو أو قتال كل أرض . وكنى بالساعة عن قصر المدة التي يستولي عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروع ما يضطره إلى الفرار عن أشباله لشدتها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحي ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير في «بها» : للساعة ؛ ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول في نواحيه ؛ وفي البيت جناس بين يجول وأجواله .

(٣) السلاف : أجود الخمر ، وهو اول مايجري من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ماكان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذي

وَإِذَا تَعَــثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ (١)

وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ (٢)

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ الْمَطِيُّ وَرَاءَهُ وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَكَلَالِهِ (٣)

سمعه الناس من كلامى ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلافة : أى لم أخرج لهم مختار شعرى وجيد كلامى ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(١) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المجيدون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدروا على السهل القريب كنت قادرا على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلا لفحول البلاغة ؛ والسهل والجبال مثلا لسهل الكلام وصعبه .

(٢) العراء : الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ ومعتاده : نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذى يقطع الأرض بالسير . والمغتال : المهلك ـ أى الذى يفنيه بالسير ـ يصف قوته على السير وقطع الفلوات . يقول : وحكمت فى الفلوات أجوبها متى شئت بجمل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به على ماقدرت كما أردت لاعتمادى على قوة مطيتى .

(٣) عدت : ركضت ؛ والمطى : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جَمّ الفرس يَجِمُّ وَيَجُمُّ جمًا وجماما وأجمّ : ترك فلم يُركب ، فذهب إعياؤه ؛ وفرس جَموم : إذا ذهب منه إحضار ـ جرى ـ جاءه إحضار ؛ وكذلك الأنثى ، قال النمر بن تولب :

جَمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذُّنَابَى تَخَالُ بَيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجَا (١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل

---

(١) قوله شائلة الذنابى : يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو — أى الجرى —

وتَرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلاتٍ حَوْلَهُ ... فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ (١)

فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ... وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ (٢)

وَشَرَكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَيْفِهَا ... وَشَقَقْتُ خِيسَ الْمُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ (٣)

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ ... يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ (٤)

الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عَدْوَ الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهى مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(١) تراع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عَقَل البعير وعقّله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال ، والجمع عُقُل . والمتجفل : المسرع . يقول : إذا طرأ على الإبل مايروعها فنفرت فاشتد عدوها - جريها - وهى غير معقولة سبقها هذا الناجح وهو فى العقال فتصير وراءه .

(٢) الاخفاف : جمع خف ، بجمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الاسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح فى قوائمه ، وهو نشيط فى عَدوه لانشاط إلا فى أرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحى كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لانشاط إلا فى اسراعه .

(٣) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرئبال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة فى سيف الدولة : أى جعلته سيفا لى ، كما هو سيف دولة هاشم ووصلت إلى اسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من عطاياه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(٤) يقول : شققت خيس الملك عن الليث — الأسد — الذى أعطى

وَتَوَاضَعُ الْأُمَرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ   وَتُرِى الْمَحَبَّةَ وَهْيَ مِنْ آكَالِهِ (١)

وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبَشُّ قَبْـلَ نَوَالِهِ   وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ (٢)

إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ   أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِعْجَالِهِ (٣)

أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ   حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ (٤)

من الكمال مالم تعطه الأسود . لأنه يشركها بأسه ويفوتها بحسنه وجماله، فهو لحسنه إذا بطش بعدوه شغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقعه من بأسه؛ والأسود إذا افترست فريسة أفزعتها لقبح منظرها . ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول ، لأنه المخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هي الخائفة .

(١) تواضع — بحذف إحدى التاءين — أي تتواضع ؛ والآكال : الأرزاق والأقوات . يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريره ويظهرون له المحبة وهي - المحبة - من جملة الأرزاق التي تجي له من مملكته ؛ يعني أنه محبوب إلى كل أحد .

(٢) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبش للسائل قبل أن يعطيه ويعطيه قبل أن يسأله .

(٣) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها - بكسر الباء - أي مايستقبل منها . قال الواحدي : والرواية الصحيحة مقبلها - بفتح الباء - أي إقبالها ، فيكون مصدرا . وهذا مثل لعجلته في العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها في وصولها إليه ، كذلك هو لايحتاج إلى محرك له في الكرم والفضل .

(٤) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك ممن هم أهل

وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَزِّهِ ... وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَالِهِ (١)

وَكَأَنَّمَا جَدْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ ... حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ (٢)

غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ... وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ (٣)

للعطاء أعطاهم ، أمّا الملوك فقد منّ عليهم بالعفو عنهم وترك ممالكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحترى :

عمّت صنائعُهُ البريّة كلّها ... فَغَدَا المُقِلُّ عَلَى الغنىّ المكثر

(١) هزه : أى تحريكه للعطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بعن محذوفة صلة أغنى ؛ ووالِه : أمر من الموالاة ، والضمير للعطاء . يقول : وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطاءه ، فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والاقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبي نفسه حين سأله ابن جنى عن معناه ، قال المتنبى : أردت إفراطه فى الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلا ـ كسائله ـ فهو يفرط فى إعطائه طلباً للإقلال ، فكأنه ـ لكثرة اعطائه ـ يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) فغرن : أى فغربن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تغرب وتغور فى مكان أدنى من همه وتطلع من مكان أدنى من الغاية التى ينالها : أى أن همته تبلغ إلى ماهو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهى دون ماناله بهمته ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانتزاح مغاربها ومطالعها تغرب مقصرة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله . قال

وَاللهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ... وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ (١)

لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ ... مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ (٢)

لَمْ يَتْرُكُوا أَثَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى ... إِلَّا دِمَاءَهُمُ عَلَى سِرْبَالِهِ (٣)

فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ ... وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ (٤)

الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(١) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يجدد الله له كل يوم سعادة ويجعل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٢) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكأن سيف إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق المشاكلة . والمهجة : دم القلب والروح .

(٣) الوغى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه أثراً غير تلطيخ ثوبه بدمائهم التى سفكتها منهم صوارمه .

(٤) العرمرم : الجيش الكثير ، ويقال فصمه يفصمه فصما فانفصم : كسره من غير أن يبين ؛ أما القصم - بالقاف - فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصما فانقصم وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كأنه دُملجٌ مِن فِضةٍ نَبَهٌ ... فى مَلعَبٍ من جوارِى الحىّ مَفصومُ (١)

---

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شىء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له فهو نبه ، وقيل فى نبه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضالّ الموجود عن غفلة لا عن طلب ، وإنما جعله مفصوما لتثنيه وانحنائه ، ولم يقل مقصوم - بالقاف - فيكون بائنا بائنين .

يأيها القمر المباهى وجهه ... لاتكذبن فلست من أشكاله (١)
وإذا طما البحر المحيط فقل له ... دع ذا فإنك عاجز عن حاله (٢)
وهب الذى ورث الجدود وما رأى ... أفعالهم لابن بلا أفعاله (٣)

والعرى - هنا - القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل - بكسر القاف - أى المقاتل ، قال عبد الله بن قيس الرقيات :

واغترابى عن عامر بن لؤى ... فى بلاد كثيرة الأقتال

والضمير فى « إقتاله » للممدوح ، أو للجيش . يقول : لمثل سيف الدولة - أى له لا لغيره - يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو - لأنه يغنمه ويسلبه - كأنه جمع نفسه له . ثم قال : وبمثله من أولى الحزامة والتدبير انفصمت عرى أعدائه وانفرط عقدهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أمامه شيئاً .

(١) المباهى : المفاخر . يقول : — للقمر — لاتسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل القمر مباهيا وجهه لأنه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه .

(٢) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر - إذا امتلأ ماء - دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله « ذا » إلى مايفهم من قوله « طما » من العظمة والافتخار : وفى مثل هذا يقول البحترى :

قد قلت للغيث الركام ولج فى ... إبراقه وألح فى إرعاده
لا تعرضن لجعفر متشبهاً ... بندى يديه فلست من أنداده

(٣) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيداً مالا :

حَتّى إذا فَنِيَ التُّراثُ سِوى العُلا قَصَدَ العُداةَ مِنَ القَنا بِطِوالِهِ (١)

أى من زيد ؛ ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن، و«لا» فى قوله«بلاأفعاله» فى معنى غير . يقول : وهب ماورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مفتخر بها ، لأنه لايفتخر إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لايثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليثى .

لَسنا وإن أحسابُنا كَرُمَتْ يوماً عَلَى الأحسابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كما كانَتْ أوائِلُنا تَبْنِي ونَفعلُ مِثلَ مافعلوا

وقال كشاجم :

وإذا افتخرتَ بأعظُمٍ مَقبورةٍ فالناسُ بَينَ مُكَذِّبٍ ومُصدِّقِ
فأقِمْ لِنفسِكَ في انتِسابِكَ شاهِداً بِحَديثِ مَجدٍ لِلقَديمِ مُحقِّقِ

وقال الشريف الرضى :

فَخَرْتُ بنفسى لا بِقومى مُوَفِّراً على ناقصى قومى مآثرَ أسْرَتى

(١) التراث : المال الموروث . وقوله فنى التراث سوى العلا : لأن المال يفنى بالهبة ؛ والعلا لاتفنى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لما لم يبق من المال الموروث شىء قصد الأعداء بالرماح الطوال فامتلأت يده بغنائمهم؛ أو تقول : لما فنى ماورثه من الأموال لامن المعالى ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آبائه - ركب إلى العِدا فاتسعت يده بغنائمهم . وقوله بطواله: أى طوال القنا .

وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمِ   فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ (١)

فَكَأَنَّمَا قَذِىَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ   أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)

أَلْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ   فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)

---

(١) الأرعن : الجيش العظيم المضطرب لكثرته ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن» لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعناء : أى تشبيهاً برَعن الجبل ؛ قال الفرزدق :

لَوْلا أبو مالكٍ المَرْجُوُّ نائلهُ   ما كانت البصرة الرعناءُ لى وَطَناً

والعجاج : الغبار . يقول : قصد العدوّ بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد دروعا من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما كثر كثر الغبار ؛ ومن — فى قوله من أذياله — زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : مايقع فى العين من الغبار ونحوه ؛ والنقع : الغبار ؛ وغض الطرف : كسره وخفضه ؛ والضمير فى نقعه : للجيش . وفى عنه وإجلاله : للجيش ، أو لسيف الدولة . يقول : اظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع فى ضوئه قذى من الغبار ، يعنى أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى فى عينه ، أو كأن النهار غض طرفه إجلالا له . قال الواحدى : وطرف النهار هو الشمس ، فالمعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس وسترها بتكاثفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحاه تتقوى بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حكمك ، ولكنك أنت فى الحقيقة جيشه الذى يقى قلبه وجناحه ويحتمى

تَرِدُ الطِّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ ... وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ (١)
كُلٌّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ ... يَامَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (٢)
دُونَ الْحَلَاوَةِ فِى الزَّمَانِ مَرَارَةٌ ... لَاتُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ (٣)

بك ، وإذا احتمى الملوك بجيوشهم فأنت تحمى جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لو لم يَقُدْ جَحفلاً يومَ الوَغى لغدَا ... مِن نَفسهِ وَحدَها فى جَحفلٍ لجِبِ

(١) هذا تبيين لما ذكره فى البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقاتل عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعان المرّ دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فتكفيهم القتال ومقاساة الطعان . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعان بالمنهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(٢) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليبقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامى دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى المتنبى هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد ، وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لانقتل الناس بينى وبينك ، ولكن ابرز إلىّ ، فأيّنا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : مارأيت أعجب منك ! أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى ثم أبارزك ؟! والله لافعلت ذلك أبداً .

(٣) لاتختطى : لاتتجاوز . يقول : لايوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال ، كما قال :

* ولا بُد دون الشَّهْدِ من إبَرِ النحلِ *

فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلِيٌّ وَحْدَهُ وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إلَى آمَالِهِ (١)

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يُؤَمِّمُ ذَا السَّيْفُ آمَالَهُ وَلَا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٢)

إذَا سَارَ فِى مَهْمَهٍ عَمَّـــهُ وَإِنْ سَارَ فِى جَبَلٍ طَالَهُ (٣)

وَأَنْتَ بِمَا نُلْتَنَـــا مَالِكٌ يُثَمِّرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ (٤)

كَأَنَّكَ مَابَيْنَنَـــا ضَيْغَمٌ يُرَشِّحُ لِلْفَرْسِ أَشْبَالَهُ (٥)

---

(١) على : اسم سيف الدولة ؛ والمنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ماذُكِر جاوزها — قطعها — الممدوح وحده ، لأنه لا يركب الاهوال غيره ووصل بسيفه إلى ماكان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٢) يؤمم : يقصد . يقول : هو — سيف الدولة — سيف يَقصِد ويطلبُ مايؤمله ، ولكنه أمضى من السيف فى بلوغ آماله .

(٣) المهمه : المفازة البعيدة . وطاله ـ من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته فى الطول . يقول : إذا سار فى الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار فى الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(٤) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأنماه . يقول أنت بما تعطينا كالمالك الذى ينمى أمواله ، ولكنك تنمى بعضها ببعض .

(٥) الضيغم : الأسد . ورشحه للأمر : هيأه وأهله ، والفرس : بمعنى الافتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت ـ لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران ـ أسد ينهج لأشباله مايأتيه ويفعله ويُضَرِّيها على مايمتثله ؛ يعنى أنك تضرّينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباله للافتراس فيعلمها ذلك .

« وقال يمدحه ويذكر الخيمة التى رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بميا فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة فتكلم الناس فى ذلك فقال » :

أَيَقْدَحُ فى الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ ... وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ (١)

وَتَعْلُو الَّذِى زُحَلٌ تَحْتَهُ ... مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَاتُسْأَلُ (٢)

فَلِمْ لَاتُلُومُ الَّذِى لَامَهَا ... وَمَا فَصُّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ (٣)

---

(١) أيقدح : أيعيب ؛ والاستفهام إنكارى. والواو — من وتشمل — حالية ؛ والعذل : جمع عاذل، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أيعيبونها وعذرها فى هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله . قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن، ولو قال من دهره يشمل : لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشىء: أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ يعنى علم كل شىء. فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شىء ولا يحيط به شىء . هذا : وفى رواية « أينفع فى الخيمة العذل » أى أينفع عذل العاذلين فى سقوط الخيمة؟ والرواية الأولى أوجه.

(٢) محال : خبر مقدم ؛ وما — من ماتسأل — بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحته فى علو القدر والنباهة ؟ فالذى تسأله الخيمة وتُكلّفه من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى ماتسأل — بفتح التاء — للمعلوم ؛ فالضمير للخيمة أو للمخاطب : أى أن ماتسأله هى أو ماتسألها انت من ذلك محال .

(٣) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لاتلوم الخيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الخيمة . وعبارة

تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا وَيَرْكُضُ فى الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ [1]
وَتَقْصُرُ مَاكُنْتَ فى جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذُّبَّلُ [2]

ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الخيمة على عجزها عن علوها الممدوح ، وهو غير ممكن لعلوه عنها - فلما لاتلوم من لامها على أنه ليس فص خاتمه يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الخيمة لاتقدر أن تعلو الممدوح لقصورها عنه . وقال ابن الإفليلى : المعنى لما لا تلوم من لامها وتقول : له إننى تهيبت الرئيس وعجزنى الاشتمال عليه بقصر يذبل مع عظمته عن فص خاتمه وخفته بجانب رزانته وقلته بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيق الاشتمال على من هـــذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما — من قوله وما فص خاتمه يذبل — بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتمه : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لما لاتلوم لائمها ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتمه يذبل تحتها ؟ فحذف الخبر . . . . وهذا — كما ترى — تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت المتنبى عن هذا البيت فقال « ما » بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لاتلوم الخيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتمه يذبل ، والضمير راجع إلى اللائم . هذا : والخاتم — بكسر التاء وفتحها — لغتان فصيحتان .

(١) الارجاء : النواحى ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الخيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هيبة لك وإجلالا أن تعلوك .

(٢) «ما» مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل يوصف به الرماح للينها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت فى جوفها فلا

وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَـــةٍ كَأَنَّ الْبِحَارَ لَهَا أَنْمُلُ (١)
فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَــهُ وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ (٢)
فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدْتَهُمُ بِالَّذِى يَفْضُلُ (٣)
رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِى لَوْنِهَا كَلَوْنِ الْغَزَالَةِ لَا يُغْسَلُ (٤)

تستطيع أن تعلوك إجلالا لك وهيبة لعلو مرتبتك مع انها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح .

(١) الراحة: راحة الكف؛ والأنامل: أطراف الأصابع. يقول: وكيف تبقى الخيمة قائمة وتحتها راحتك الواسعة الجود؟ فكأن البحار أنامل لها.

(٢) يقول: فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ما تطيق حمله، فإنك لو فعلت ذلك لخص الخيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط.

(٣) يقول: فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس. يصف رزانة حمه وكثرة وقاره، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له ما يسود به الناس

(٤) الغزالة: الشمس عند طلوعها، يقال طلعت الغزالة. ولا يقال غابت الغزالة، وإنما يقال غربت الجونة، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى، يقال جاء فلان فى غزالة الضحى؛ قال ذو الرمة:

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حُزْوَى أُرَاقِبُهُمْ وما أُغْنِى قِبالا (١)

---

(١) يريد بقوله أراقبهم: الأظعان؛ ونصب الغزالة على الظرف؛ ورأس حزوى: مفعول أشرفت على معنى علوت: أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى؛ ولك أن تقول إن الغزالة ـ فى البيت ـ الشمس: أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة: اى طلوع الشمس.

وَأَنَّ لَهَا شَرَفًا بَاذِخًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخْجَلُ (١)
فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ (٢)
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ لَخَانَتْهُمُ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ (٣)
وَلَمَّا أُمِرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرْحَلُ (٤)

يقول: صارت الخيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها، وأراد بقوله لا يغسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها. والمعنى أن الخيمة اكتسبت من نورك ماصارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها.

(١) شرف باذخ: أى عال؛ والباذخ والشامخ: الجبل الطويل؛ وبذخ البعير يَبْذُخ بَذَخانا فهو باذخ وبَذَّاخ: اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء. يقول: ورأت أن لها شرفاً عظيما إذ سكنتها، وإذا رأتها الخيام خجلت؛ إذ لم تبلغ مابلغت من الاشتمال عليك.

(٢) أنكر الشيء: استغربه؛ والصرعة: السقطة؛ ومن فرح النفس: خبر مقدم؛ وما يقتل: مبتدأ مؤخر. يقول: فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك نكراً مستغربا لأنها فرحت بذلك غاية الفرح، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية، فكيف لا تصرع؟ أى لا تسقط.

(٣) يقول: لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتمال عليك لخانتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك، كما خانتها أطنابها وعمدها.

(٤) التطنيب: مد الأطناب. يقول: لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها أشيع الخبر فى الناس أنك لست راحلا للغزو، لأمر دعاك إلى الإقامة.

فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ (١)

وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ (٢)

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَثَّلُوا وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا (٣)

---

(١) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الاشارة ـ لأنه وصله بالباء . وقال العكبري : أشار من الإشارة ، لا من المشورة في الرأي ؛ فان قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجارحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبيه ؛ أي فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة اليه بالوقوع . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار اليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حي وإما مُوَات ؛ إذ لا جارحة له تعالى .

(٢) من همه : مما يهتم به ويحتفل . ويقال رفل يرفل : إذا تبختر وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يُعنَى بك ؛ يريد إرشادك إلى ما تفعل ، وأنك تمشي في نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لمسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(٣) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استفهم بلفظ «ما» . وعند يعند عنوداً فهو عاند : مال عن القصد وردّ الحق وهو يعرفه . وأصل العاند : البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عنّد — مثل راكع ورُكّع — وأنشد أبو عبيدة :

هُمُ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ (١)
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ (٢)
وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ (٣)

إذا رَحلتُ فاجعلونى وَسَطا إنّى كبير لاأطيقُ العُنّدا (١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والحاسدون ماهم وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وحسدهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ماأثلوا ماأصلوا من الكلام وجعلوه أصلا لتكذابهم ؛ ويروى : وما أقلوا ويقال قولتنى مالم أقل : أى نسبته إلىّ ؛ ومعناه : أنهم يحكون اقوالا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس ؛ وقال ابن جنى : قولوا أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(١) فمن أدركوا : يروى فما أدركوا . يقول : هم يطلبون رتبتك فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أوماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تلفيق الأحاديث عنك ، ولكن من يقبل كذبهم ويصدقه .

(٢) الجد : البخت والاقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون مايشتهون .

(٣) وملمومة : عطف على جدك ـ فى البيت السابق ـ يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وثوبها : مبتدأ مؤخر ـ أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثيابا لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالخمل

---

(١) جمع بين الطاء والدال وهو إكفاء . ويقال هو يمشى وسطا لاعندا

يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْنُهُ ... وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسْطَلُ (١)

جَعَلْتُكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تُجْعَلُ (٢)

لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ ... لَهَا مِنْكَ يَاسَيْفَهَا مُنْصُلُ (٣)

لتلك الثياب ، وهو ماتدلى من الثياب المخملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين مايشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدروع لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابغ إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرماح ، وروى ابن الأفليلى: وملمومة ـ خفضاً ـ قال : أى ورب ملمومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : الغبار . يقول : يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشاً آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلا فيباكر جيشاً من الأعداء لايشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك الغبار فيهرب . وقيل المعنى : تُحزن : أى تسير فى الحزن ـ فلاتثير غبارا ، وتارة تسهل : أى تسير فى السهل فتثير غبارا

(٢) العُدّة : ماأعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتك عدة لى بقلبي وعزمى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فيما أحتاج اليه لأنك لست من العُدَد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العُدَد التى تعمل باليد : أى لاتتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد، وعبارة بعض الشراح ـ وقد روى البيت فى القلب وفى اليد ـ اتخذتك عُدّة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحا لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد

(٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : فمن زائدة ؛ يقول : لقد رفع الله دولة جعلتك سيفها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ ... فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ (١)

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا ... فَإِنَّكَ فِى الْكَرَمِ الْأَوَّلُ (٢)

وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ ... وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ (٣)

وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى ... أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ (٤)

---

(١) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبع السيف : صنعه . والمقصل : القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فانك قد سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحكمك مالا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف ، كأنك أول من قطع ؛ إذ لم ير قبلك مثلك . وقال غيره يريد أن قطعها بسببك ، ولولا قطعك ماقطعت .

(٢) يقول : إن كان الكرام الأولون جادوا قبلك ، فانك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ماصرت به أولا فى الكرم .

(٣) الليث : الأسد ؛ ولبوة مشبل : ذات اشبال ؛ والشبل : ولد الأسد. يقول : كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة فى الكرم والفضل والشجاعه وقد ولدك الأسد ؟ فأمك أشبلت بك من أبيك الذى هو الأسد . وقد ضرب ذلك مثلا لشجاعته ومضائه ، كأن أبويه أسدان . ومن روى من ليثها — بفتح ميم من — فمن عبارة : عن الأم ، وهى خبر المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والمشبل — على هذا — هو الليث ، وهو الأب .

(٤) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمساً فى رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس : ألم تكن الشمس لا تُنجل — أى لا تولد — فكيف ولدت هذه المرأة شمساً ؟ وهذا ينظر إلى قول الأول :

لِأُمٍّ لَكُمْ نَجَلَتْ مالِكاً ... مِنَ الشمس لو نجلت اكرمُ

فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُومِ ... وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَعْقِلُ (١)

وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُهَا ... تَرَاكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ (٢)

وَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا ... لَبِتَّ وَأَعْلَاكُمَا الْأَسْفَلُ (٣)

أَنَلْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَّلُوا ... أَنَالَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ (٤)

ومن روى لا تَنجُلُ ـ بالبناء للمعلوم ـ جعل أمه الشمس : أى فقال الناس ولدت الشمس وهى لا تلد . جعل الممدوح ـ لعلو قدره ـ كأنه نجل الشمس؛ والرواية الأولى أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق ـ تقول العرب : ماأدرى أىّ الورى هو ؟ : أى أىّ الخلق هو ؟ . قال ذو الرمة :

وَكَائِنْ ذَعَرْنا مِنْ مَهاةٍ وَرامِحٍ ... بلاد الورَى ليست له بِبلاد

قال ابن جنى : لايستعمل الورى إلا فى النفى ، وإنما سوغ لذى الرمة استعماله واجباً ، لأنه فى المعنى منفى كأنه قال ليست بلاد الورى له ببلاد .

(١) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضلالا وخساراً للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة فى البيت التالى .

(٢) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتك وعرفت أنك أجل منها قدراً ، فما بالها لاتنزل اليك لتخدمك ، وهى تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو عقلت لنزلت إليك .

(٣) يقول : لو بات كل منكما فى الموضع الذى يستحقه قدره لبت فى موضع النجوم وباتت هى فى موضعك لإربائك عليها فى الشرف .

(٤) قال الواحدى : لو قال عبيدك كان أحسن ، لأن الأكثر فى الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى ، فأما المضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد . يقول : أعطيت عبيدك — يعنى الناس ،جعلهم عبيداً لأنه ملك —

وقال يمدحه ويعتذر اليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين *

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ ... دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ (١)

ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أُكَفْكِفُهُ ... وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ (٢)

مارجوه من عطائك ، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينيله مايؤمله .

* قال الواحدى : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً ، فتلقاه الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية ، فخلع عليه ونضح بالطيب ، ثم أدخل على سيف الدولة ، فسأله عن حاله وهو مستحي ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحبّ الىّ من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعاله ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب يمدحه بعد ذلك ، وأنشده إياها فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة .

(١) الطلل : ماشخص من آثار الديار . والركب : القوم الراكبون . يقول استدعى الطلل دمعى بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب ببكائه قبل أصحابى وقبل الإبل . يريد أن الإبل تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكى عليه كما قال التهامى :

بكَيتُ فَحنَّتْ نَاقتِي فأجابها ... صَهيلُ جَوادِي حينَ لاحَتْ دِيارُها

والمعنى : أنه وقف على ديار محبوبه ، فشجاه ماشاهد من دروس رسومها وتغير طلولها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحَنين .

(٢) أصيحابى : تصغير تعظيم . وأكفكفه : أكفه مرة بعد أخرى . ويسفح : يجرى ويسيل . يقول : ظللت أكف الدمع خوفا من لوم الركب فظل الدمع يسيل وأصحابى من بين عاذر لى وعاذل ـ لائم ـ والدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبُ
كَذَاكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلَلِ (١)

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ   مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمَلِ (٢)

بين العذر والعذل فى شاغل عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلا وظلولا ، وظَلِلت أنا وظَلت وظِلت ، لا يقال ذلك إلا فى النهار لكنه سمع فى بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت :ظللت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالي : « فَظَلْتُم تَفَكَّهُون » ومثله : مَست ، فى « مَسِسْتُ » ، قال الجوهرى : وربما قالوا مِسْتُ الشيء : يحذفون منه السين الأولى ويحوّلون كسرتها إلى الميم ، ومنهم من يترك الميم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد الأخفش لابن مَغْرَاء :

مَسنا السماء فَنِلْناها وَطالهُمُ   حتى رأَوْا أُحداً يَهوِى وثهلانا

والأصل مَسِسْنا السماء ، وهذا من شواذ التَّخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة : الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق . يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائى للفراق ، ولا عجب فى ذلك . فانى كنت على مثل مايرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربى لا يحجبها عنى غير الستر . فكيف الآن وقد حجبها عنى الفراق ؟ فالواو فى قوله وما أشكو للحال : أى حين لاأشكو سوى الستر : أى فى حال دنو المسافة ؛ ومن روى كذاك كانت : فمعناه كانت العبرة حين كان الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثانى رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أى لاتتعجبوا من بكائى على فراقها ، فلقد كنت أبكى فى هجرها وما أشكو مانعاً دون الستور التى تحجبها والمنازل متجاورة والدور متصاقبة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله كمشتاق : أراد كصبابة مشتاق ، فحذف

مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ[1]

وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ[2]

المضاف . يقول : إن المشتاق الذى لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالا ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل خفف التأميل برح اشتياقه . قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالا لاسترواحه إلى اليأس ؛ والأول أوجه .

(١) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل : الرماح يقول : ـ مخاطباً نفسه ـ إن هذه الحبيبة منيعة فى قومها بالسيوف والرماح. فاذا زار قومها لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح : يعنى أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته : أى أن الوصول اليها متعذر لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير «من» على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولو رده على اللفظ لقال زيارته .

(٢) ما يراقبه : يعنى ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من سلاحهم ، فاذا كان مقتولا بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق فى الماء لم يخش البلل . وهذا من قول بشار :

كمُزِيلٍ رِجلَيهِ عَنْ بَللِ القطْـ ـرِ وما حَوْلهُ مِنَ الأرضِ بَحرُ

وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبي — : هذا مأخوذ من قول عدى بن زيد :

لَوْ بِغَيرِ الماء حَلقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعتصارى[1]

---

(١) الاعتصار : أن يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا ؛ والغصان : الغاص . ويقال غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه .

مَابَالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِى عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِى بِى وَمَا بِى غَيْرُ مُنْتَقِلِ(١)

قال العكبرى : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول مابال فؤادى لا ينتقل عن حبها وبكل فؤاد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — مابى ؟ لأن التعجب إنما هو من فؤاده ، لامن أفئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبها عنى ولا أسلوها إذا كان قومها وعشيرتها يحبونها كحبى ؟ يشير إلى أنها محبوبة فى قومها منيعة فيما بينهم ، وأنه فى يأس من الوصول إليها ، واليأس من الشىء يوجب السلو عنه ، كما قالوا : اليأس إحدى الراحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوغه فى حبها مبلغاً لا يبلغه أحد مالم ينتقل اليه منه ؛ وهذا وجه التعجب فى البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب عشيرتها فيه من حبها مثل ما فى قلبى مع أن ما فى قلبى باق فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟ يعنى أنها قد بلغت مبلغا من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبارة ابن جنى : أجود مايتأول فى هذا أن يجعل الذى يجده من الشوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل فى مكان لم يشغل غيره ، فاذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده ، لأنه فى أماكن كثيرة ، والشخص لا يشغل مكانين . فأما العرض فلا يشغل مكانا ، فاذا كان فى قلب واحد جاز أن يكون فى قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل ، كل قلب فى عشيرتها به الذى بأبى الطيب من حبها ، فما بال حبها فى قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسنها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

مُطَاعَةُ اللَّحظِ فى الأَلحَاظِ مَالِكَةٌ ... لِمُقلَتَيهَا عَظِيمُ المُلكِ فى المُقَلِ (١)

تَشَبَّهُ الخَفِرَاتُ الآنِسَاتُ بِهَا ... فى مَشيِهَا فَيَنَلنَ الحُسنَ بِالحِيَلِ (٢)

قَد ذُقتُ شِدَّةَ أَيَّامِى وَلَذَّتَهَا ... فَمَا حَصَلتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلِ (٣)

وَقَد أَرَانِى الشَّبَابُ الرُّوحَ فى بَدَنِى ... وَقَد أَرَانِى المَشِيبُ الرُّوحَ فى بَدَلِى (٤)

---

(١) يقول : هى مطاعة اللحظ من بين ألحاظ الحسان ، إذا دعا لحظها إنسانا إلى هواها لبى مطيعاً فهى مالكة القلوب فتانة ؛ ولمقلتيها ملك عظيم فى دولة المقل ، لها دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجه : أى أن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف ألحاظها عنها ، لأنها تصير عُقلةً لها ، فكأن عينها مالكة العيون . وهو معنى قول أبى نواس :

كلَّ يومٍ يسترقُّ لها ... حُسنُها عبداً بلا ثمن

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى تتشبه : والخفرات : الحييات ؛ والآنسات : جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك . يقول : إن النساء الحييات ذوات الأنس يقصرن عن محاسنها فيتشبهن بها فى حسن المشية ويرين مثل دلها . فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويحتلن حتى ينلن ذلك وعبارة ابن جنى والواحدى : إذا كان فى حسن امرأة تقصير تشبهت بها فى مشيها ، فيجبر حسن المشى تقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بى من الدهر حلاوته ومرارته ، فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانقضائهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئاً منهما ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَن عَرَف الأيامَ لا يَرَ خَفضَها ... نعيماً ولا يَعدُد تَصرُّفَها بَلوَى

(٤) يقول : إنه إنما كان حياً حين كان شاباً ، فلما شاب صار كأنه قد

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا ... بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلَا غَزِلِ[1]

مات وانتقل روحه إلى غيره، كما قال الآخر:

مَنْ شابَ قدْ ماتَ وَهوَ حي ... يمشى على الأرض مشى هالكْ

والمعنى: أنه تغير بعد المشيب حتى صار غير ما كان أولا، وعبارة العكبرى: قد صحبت الشباب مسرورا وأرانى الروح ـ يريد القوة والجلادة والنهضة ـ فى بدنى ثم صحبت المشيب مستكرها لصحبته فأرانى الروح فى بدلى بتغير أحوالى وعجزى عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب، وصرت أستعين بغيرى يساعدنى على أحوالى، وكأنى بهذا قد أرانى الروح فى بدلى ـ يريد القوة والنشاط ـ والذى كنت أفعله وحدى صرت أحتاج فيه إلى مساعد. وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره، وقال ابن فورجه: أحسن ما يحمل عليه البدل فى هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أوان شيخوخة الأب وإذا مات ورثه، فيكون كأنه بدله فى ماله وبدنه.

(١) رجل عِزْهَاةٌ وعِزهاءة وعِزهىٌّ وعِزْهٌ وعِزْهٍ وعِزهىٌ وعِزهاء وعِنْزَهْوة وعِنْزَهْو: كله عازف عن اللهو والنساء لا يطرب للهو ويبتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن، والجمع عَزاهٍ، مثل سِعْلاةٍ وسعالٍ وعزهُون ـ بالضم ـ قال ابن برى: ويقال عزهاة للرجل والمرأة. قال يزيد ابن الحكم:

تَخفّا أيقِني لاصبرَ عِندى ... عليه وأنتِ عِزهاة صبور

والغَزِل: الذى يهوى محادثة النساء. يقول: أتيت حبيبتى ليلا ومعى سيفى، وقد جعل السيف موضع الرداء والسيف لا يوصف بالميل إلى النساء ولا بالميل عنهن.

فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدَفِّعُـــهُ وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلَا القُبَلِ (١)

ثُمَّ اغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ عَلَى ذُؤَابَتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخِلَلِ (٢)

لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ أَوْ مِنْ سِنَانِ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ (٣)

---

(١) التراقى: جمع الترقوة؛ العظم الذى بين المنكب وبين ثغرة النحر. يقول: فبات السيف بيننا ونحن متعانقان ولا علم له بما يجرى بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولا غير ذلك مما يجرى بين المحبين إذا هما تعانقا، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والمخافة، وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف.

(٢) الردع: التلطخ بالطيب، يقال به ردع من زعفران: أى لطخ وأثر؛ وردعه بالشيء يَرْدَعُه رَدْعاً فارتدع: لطخه به فتلطخ؛ قال ابن مقبل:

يَخْدِي بِها بازِلٌ فُتْلٌ مَرَافِقُه يَجْرِي بِدِيباجَتَيْهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعُ (١)

ويروى من درعها: أى ثوبها. وذؤابة السيف — هنا — حمائله. وجفنه: غمده. والخلل: جمع خلة — بكسر الخاء — وهى مايغشى به الغمد من الجلد المنقوش بالذهب وغيره. يقول: ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده؛ والغلاف الذى فيه الغمد؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به.

(٣) المضارب: جمع مضرب، وهو حد السيف. والسنان: نصل الرمح،

---

(١) خذى البعير والفرس يخدى خديا أسرع وزج بقوائمه مثل وخد، وجمل بازل بزل نابه: أى انشق وذلك فى السنة التاسعة، وذلك أقصى أسنان البعير والفتل شدة عصب الذراع، ومرفق الفتل بين الفتل. وقوله يجرى الخ، قال بعضهم معناه متصبغ بالعرق الاسود، كما يردع الثوب بالزعفران، وقال آخرون: قوله مرتدع اى قد انتهت سنه.

جَادَ الأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَزَانَهَا وَكَسَانِي الدِّرْعَ فِي الحُلَلِ [١]

وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِي بِحَمْلِهِ مَنْ كَعَبْدِ اللهِ أَوْ كَعَلِي [٢]

مُعْطِي الكَوَاعِبِ وَالجُرْدِ السَّلَاهِبِ وَالْبِيضِ القَوَاضِبِ وَالعَسَّالَةِ الذُّبُلُ [٣]

والأصم: الصلب، وهو صفة لمحذوف: أى سنان رمح أصم الكعب. والكعب: العقدة بين الأنبوبتين. يقول لا أطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه. قال العكبرى: الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين؛ ورواه جماعة سنان - بالتنوين - والأجود الإضافة، وإذا نون يكون المعنى ومن سنان أصم كعبه، والكعب للرمح لا للسنان، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه، وأيضاً فان فى السنان نونين، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل.

(١) يقول: أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى فزان بحسنه الهبات التى وهبنها وكسانى فى جملة ما أعطانى من الثياب الدرع؛ يعنى أنه وهبه سيفاً ودرعا فى جملة ما وهبه.

(٢) على: هو سيف الدولة. يقول: منه تعلمت حمل السيف، فهو واهبه لى ومعلى حمله. ثم قال مستأنفاً: من مثله أو مثل أبيه، يعنى لا مثل لهما؛ ومن على: خبر مقدم؛ ومعرفتى: مبتدأ مؤخر.

(٣) الكواعب: الجوارى الشابات؛ أى التى كعبت — نبتت — ثديهن والجرد: الخيل القصار الشعر، وذلك آية عتقها وكرمها. والسلاهب: الخيل الطوال؛ والبيض القواضب: السيوف القواطع الماضية. والعسالة: الرماح التى تضطرب للينها. والذبل: الرماح الضامرة. يقول: إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التى تدل على أنه يستصحب كماة الفرسان وأعلام الشجعان

ضَاقَ الزَّمانُ وَوَجهُ الأرضِ عَنْ مَلِكٍ مِلْءِ الزَّمانِ وَمِلْءِ السَّهلِ وَالجَبَلِ (١)

فَنَحنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالبَحرُ فِي خَجَلِ (٢)

مِنْ تَغلِبَ الغَالِبِينَ النَّاسَ مَنصِبُهُ وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الجُبْنِ وَالبَخَلِ (٣)

وَالمَدحُ لِابنِ أَبِي الهَيجاءِ تُنجِدُهُ بِالجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ العِيِّ وَالخَطَلِ (٤)

فيعتمدهم فى هباته بما يوافقهم وبعضدهم بما يشاكلهم .

(١) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فان همه وما يخلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمّل الزمان مالا يطيقه ويجشمه مالا يعهده ، فيضيق عن فخامة قدره . ويقصر عن جلالة مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحمّلها من جيوشه . وإذن : فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٢) الجذل : الفرح ؛ والوجل : الخوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم فى خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشتغل بجيشه لايتفرغ لغيره والبحر فى خجل من ندى يديه .

(٣) تغلب : قبيلة الممدوح ؛ وعدى : رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه: مبتدأ مؤخر ؛ والمنصب: الأصل، وأعادى الجبن صفة لعدى. يقول : أصله من تغلب التى غلبت الناس نجدة وشجاعة ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل .

(٤) أبو الهيجاء ؛ كنية والد سيف الدولة ، وجملة تنجده ـ أى تعينه ـ حالية ،والعى؛ العجز عن الكلام ؛ والخطل : اضطراب القول وفساده . قال الواحدى : هذا تعريض بأبى العباس النامى الشاعر ، فانه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا فى الجاهلية . يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين العى ثم أكد هذا المعنى وتممه فى الأبيات التالية .

لَيتَ المَدائحَ تَستَوفي مَناقِبَهُ فَما كُلَيبٌ وَأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ (١)
خُذ ما تَراهُ وَدَع شَيئاً سَمِعتَ بِهِ في طَلعَةِ الشَمسِ ما يُغنيكَ عَن زُحَلِ (٢)
وَقَد وَجَدتَ مَجالَ القَولِ ذا سَعَةٍ فَإِن وَجَدتَ لِساناً قائِلاً فَقُلِ (٣)
إِنَّ الهُمامَ الَّذي فَخرُ الأَنامِ بِهِ خَيرُ السُيوفِ بِكَفَّي خَيرَةِ الدُوَلِ (٤)

---

(١) قوله فما كليب : ادخل ماعلى من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه . وكليب : هو كليب بن ربيعة رئيس بنى تغلب فى الجاهلية. يقول : ليت مامدح به من الشعر يستوفى ذكر فضائله ومحامده ، ومتى يتفرغ الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة وأين هم منه ؟

(٢) يقول . امدحه بما تشاهد منه واترك ماسمعت به ،فان الشمس تغنيك عن زحل ، جعله كالشمس، وآباءه كزحل . وهو نجم بعيد خفى — يعنى فيما قرب منك عوض عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : العيان شاهد لنفسه ، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان ، فأولى ماأخذ ما كان دليلا على نفسه :

(٣) يقول : وقد وجدت من مآثر الممدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعاً للقول فان وجدت لساناً يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئا تقوله ؛ يعنى أنه لا ينقصه شىء يمدح به ، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح مافيه .

(٤) الهمام : ذو الهمة العالية ؛ وخيرة : تأنيث خير ،بمعنى افضل، لما ألقوا الهمزة من أوله استسهلوا تأنيثه بالتاء لأنه قد أشبه الصفات : . يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ،هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي (١)

أنظر إذا اجتمع السيفان في رهج ... إلى اختلافهما في الخلق والعمل (٢)

هذا المعد لريب الدهر منصلتا ... أعد هذا لرأس الفارس البطل (٣)

---

(١) الأماني: جمع أمنية، الشيء الذي تتمناه. وصرعه: طرحه على الأرض، ويقال تركته صريعاً: أي قتيلا. يقول: إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقي الأماني اليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفيساً إلا وله خير منه، أو صار له ذلك الشيء؛ وعبارة بعض الشراح: شبه الأماني بالطرائد. يقول: إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته، لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق في الدنيا شيء يستحق أن يتمناه، لأن كل شئ في قبضة إمكانه. وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحتري في قوله:

ومظفر بالمجد إدراكاته ... في الحظ زائدة على أوطاره

وهو ضد قول عنترة:

ألا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وقولك للشيء الذي لا تناله ... إذا ما حلا في العين ياليت ذاليا

(٢) و (٣) يريد بالسيفين: سيف الدولة وسيف الحديد؛ والرهج: الغبار وريب الدهر: حدثانه؛ ومنصلتا - أي مجرداً - حال من ضمير المعد. يقول إذا اجتمع السيفان في رهج حرب اختلفا وبان تخالف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين - وهو الممدوح - معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال:

* وتقطع لزبات الزمان مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رؤس الأبطال، فالأول موكل بدفع المكروه، والثاني موكل باحلاله، وذاك عامل ذو إرادة

فَالعَرَبُ مِنْهُ مَعَ الكُدْرِىِّ طَائِرَةٌ   وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الحَجَلِ (١)

وَمَا الفِرَارُ إِلَى الأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ   تَمْشِى النَّعَامُ بِهِ فِى مَعْقِلِ الوَعَلِ (٢)

جَازَ الدُّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ   وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ (٣)

يضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو الكل فى الكل ، ومن هنا كان اختلافهما .

(١) الكدرى : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر فى حجم الحمام ، أحمر المنقار والرجلين ، وهو يعيش فى الجبال ، والعرب بلادها المفاوز والصحارى ، والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا فى الفلوات والروم تفر منه مع الحجل فى جبالها .

(٢) من أسد : يروى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومعقله : المكان الذى يعتصم به فى رؤس الجبال : يقول : مافائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشى به خيله فى آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال فى آثار الروم ، فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها فى سرعة العَدْو - الجرى - وطول الساق . قال الواحدى : وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد فى الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العراب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشى بسيف الدولة فى الجبال لطلب الروم وقتالهم واستنزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم . ؛ وخرشنة : بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفزع . يقول إنه تغلغل فى بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ (١)
إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَلِ (٢)

---

(١) يقول : لشدة مالحقهم من الخوف منهم وكثرة ماراوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأت فى نومها السبي الذى تحذر وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه ، وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن مااستقر فى قلوبهم من الخوف لايفارقهم فى النوم أيضا . هذا : والحُلم والحُلُم ماراه النائم ، وتقول حَلَمت بكذا وحَلمته أيضا ، قال الأخطل :

فَحَلمتها وَبنو رُفَيدَةَ دونها لا يَبعُدنَ خيالُها المحلوم (١)

أما الحلم ـ بالكسر ـ فهو الأناة والعقل . تقول : حلم ـ بالضم ـ يحلُم حلما : أى صار حليما . وتحلم : تكلف الحلم . قال حاتم الطائى :

تحلَّم عن الأدنينَ واستَبقِ وُدهمُ ولن تستطيع الحلم حتى تحلَّما

أما قولهم حَلِم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحَلِم : أى أفسده الحَلَم ، وهو دود يقع فى الجلد فيأكله ، قال الوليد بن عقبة بن أبى عقبة من أبيات يحضّ فيها معاوية على قتال علىّ عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى فى إصلاح أمر قد تمّ فساده كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلِم ـ الذى وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به :

فإنكَ والكتابَ إلى علىّ كدابغةٍ وقد حَلِم الأديمُ

(٢) الجزى : جمع جزية ، وهو مايعطيه المعاهد ليدفع عن رقبته ويحفظ دمه . يقول — مخاطبا سيف الدولة — : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا

---

(١) قال الجوهرى : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم فى نومه انه يباشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .

تَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا ... يَا غَيْرَ مُنْتَحَلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحَلِ (١)

بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمُ ... فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ (٢)

وَعَرِّفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ ... أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ (٣)

يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي ... وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإِحْسَانِ لَا قِبَلِي (٤)

مَا كَانَ نَوْمِيَ إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي ... بِأَنَّ رَأْيَكَ لَا يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ (٥)

الجزية وتعفو عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهم ، كالأعور يتمنى الحول ، والحول خير من العور ؛ يعني أن الجزية خير لهم من القتل .

(١) المنتحل : المدّعى على غير حقيقة . يقول : ناديت مجدك الموصوف فى شعرى وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا فى الآفاق وبعد ذكرهما يامجداً غير منتحل فى شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه أشارة إلى أن مجده خلد ذكره فى شعره وأنهما يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

(٢) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لايبنى من غير الثلاثى إلا شذوذا . يقول : - لشعره ومجد الممدوح - أنما سائران فى الدنيا شرقا وغربا، ولنافيهما أناس نحب مشاركتهم فى أمرنا ومطالعتهم بأحوالنا فتحملا إليهم رسالتى وهى ماذكره فى البيت التالى .

(٣) الخول: الخدم . يقول : عرفاهم أنى متقلب فى نعماء سيف الدولة مغمور بمكارمه ، متصرف فى فواضله ، أقلب الطرف - النظر - بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٤) يقول : إنما أتاك الشكر من جهة إحسانك فإحسانك هو الذى شكرك لا أنا ، كأنه ينفى المنة عليه بشكره ومدحه .

(٥) إلافوق معرفتى : رواها ابن جنى إلا بعد معرفتى . وقال : ماالحقى

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (١)

السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك وحلمك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : مانمت عما وجب علىّ من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقتى باحتمالك وسكونى إلى جزالة رأيك . . . قال الواحدى - بعد أن أورد كلامهما - : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى : إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسى واطمأنت مع عتبك لثقتى بحلمك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لا تعجل علىّ ولا ترهقنى عقوبة ، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيق لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتى ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحَشِيّة التى ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلل : أى أنت موفق فى كل ما تفعله لا تأتى الزلل .

(١) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنهضك من عثرته ؛ وأنل : من الإنالة - الإعطاء - وأقطع : من قولهم أقطعه أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حمله على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جاهى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب الغم ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش - وبش : من قولهم بش بالرجل يبش : أى ابتسم إليه وآنسه . ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنل : يحمل إليه كذا وكذا من الدراهم ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية - وهى ضيعة بباب حلب - وتحت عل : قد رفعنا مقامك ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزاد كذا وكذا ، وتحت تفضل - وهو من الأفضال - قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك منا ، وتحت سر : قد سررناك ، فقال المتنبى : إنما أردت من التسرى ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة :

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ (١)

وَمَا سَمِعْتُ وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ القَوْلِ عَنْ رَجُلِ (٢)

حينئذ شيخ ظريف يقال له المعقلي ، فحسد المتنبي على ما أمر له به. فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هيء هيء هيء ؟ - يعني حكاية الضحك - فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس :

افادَ وَجادَ وسادَ وزادَ وَذادَ وَقادَ وَعادَ وَأَفْضَلْ

ومثله لأبي العميثل :

يَامَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ تَكونَ خِصالُهُ كَخِصالِ عَبدِ اللهِ أَنصِتْ واسمَعِ

اصدُقْ وعِفَّ وبَرَّ واصبرْ واحتَمِلْ واحلُمْ ودارِ وكافِ وابذلْ واشجعِ

(١) يقول : لعل أحمد عاقبة عتبك . وذلك أن أرتدع بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقق وفائي وإخلاصي في خدمتك ، ويقطع عني ألسنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ما قد يكون سبباً لصحة الأجسام ، وانتفاض الدَّخَلِ منها فتأمن عود غيره إليها . وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

لَعَلَّ عَتْبًا يُفيدُ حُبا فَالشَّرُّ لِلخَيرِ قَدْ يَجُرُّ

وقريب منه قول ابن الرومي :

إِحْمَدِ اللهَ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الخُمُولِ نَوَّهَ بِاسْمِكْ

قَدْ تَذَكَّرْتُ مُوبِقاتِ ذُنوبِي فَرَجَوْتُ الخَلاصَ مِنها بِشَتْمِكْ

(٢) غيري : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ماأشركنا ولا آباؤنا » ، وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول : ماسمعت

لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ ۞ لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ (١)
وَمَا ثَنَاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ ۞ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ (٢)
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ ۞ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلِ (٣)

ولا سمع غيرى بملك قادر يقدر على ما يريد ثم يذب - يذود ويدافع - عمن يُغتاب عنده زوراً وبهتانا ولا يحمله مايسمعه من الوشايات والتحريش على من يُحرّش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفعل تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل - يعنى المغتاب - وقد بين علة ماذكره هنا فى البيت التالى .

(١) تكلفه - بحذف إحدى التاءين - أى تتكلفه؛ والكحل: سوادفى أجفان العين خلقة ۞ كأنّ بها كحلا وإنْ لمْ تَكَحّل ۞ يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأن لك حلما طبعت عليه لايعوزك أن تتكلفه ، ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثرفيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للمتكلف والمطبوع .

(٢) ثناك : ردك وصرفك؛ والعارض: السحاب ؛ والهطل: الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد مابيننا عن استعمال مايوجبه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؟ أى كما أنه لايستطاع هذا لا يستطاع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان: إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد ؛ والمطال — بالكسر — المماطلة ؛ والمذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسرّه حتى يذيعه أو بمضجعه حتى يتحول عنه أو بماله حتى ينفقه فهو مَذِل . قال الأسود بن يعفر :

أنتَ الشُّجاعُ إذا ما لم يطأْ فرسٌ غيرَ السَّنوَّرِ والأشلاءِ والقُلَلِ (١)
وردَّ بعضُ القنا بعضاً مقارعةً كأنّهُ من نفوسِ القومِ في جدَلِ (٢)

وَلقد أرُوحُ على التِجارِ مُرَجَّلا مَذِلا بِمالى لَيِّناً أجيادى

وقال قيس بن الحطيم :

فلا تَمذُلْ بِسِرِّكَ كلَّ سِرٍّ إذا ما جاوَزَ الإثنينِ فاشِى

يقول : لا تكدر عطاءك بالمن أو المماطلة أو الوعود أو الملل .

(١) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وسميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى قتلى هوازن :

وجاؤا به فى هَوْدَجٍ وَوَرَاءهُ كتائبُ خُضرٌ فى نَسيجِ السنَوَّرِ (١)

والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم وأجسامهم ورؤسهم : أى أنت الشجاع فى مثل هذه الحال التى تنخلع فيها قلوب الأبطال .

(٢) ورد : عطف على لم يطأ ؛ ومقارعة : حال من القنا أو مفعول ، والجدل اللدد فى الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل فجدلته : أى غلبته . ولعله من قولهم جدلت الرجل : أى ألقيته على الجدالة ، وهى الأرض قال الراجز :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلهْ وأتركُ العاجزَ بالجدالهْ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس

---

(١) قوله وجاؤا به : يعنى قتادة بن مسلمة الحنفى ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم مسلمة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبى .

لَازِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرُضٍ ... بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ (١)

ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :

أَقِلْ أَنِلْ أَنْ (٢) صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

فرآهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِفِ اسْرِ نَلِ

غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ (٣)

أصحابها . وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضاً بتخالف الطعان وتقارع الأقران حتى كأنه من شدة تلك المقارعة ، واتصال تلك المقاومة فى جدل لا يقلع ، وخصام لا ينقطع .

(١) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعو له ، يقول : لازلت ضاربا أعداءك كيفما وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل فى أجل مستأخر : أى معصوماً بأجل يستأخرك ، وهذا من قول بعضهم ـ وقد سئل فى أىّ شىء تحب أن تلقى عدوك ؟ ـ قال فى أجل مستأخر .

(٢) أن أى ارفق .

(٣) عش : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع . وسد : من السيادة . وقد من قود الجيش : أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من الجود . ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كن صاحب أمر ونهى . ور : من الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رئات أعدائك بأن توجعهم ؛ وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان اليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى اسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل ؛ أى نل ماتريد بسعدك وإقدامك

وَهَـذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتَهُ ۞ لِأَنِّى سَأَلْتُ اللهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ (١)

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أترُجٌّ وَطَلْعٌ وهو يمتحن الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لاتتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :

شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ ۞ تُرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْطَلْعُ النَّخِيلِ (٢)

وتأييدك . وغظ : من الغيظ ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمى ، أى ارم يأسك من يكيدك ويبغضك . وصب : من صاب السهم الهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب : أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك؛ واغز : من الغزو : أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبى : اى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفزع أعداءك ؛ وزع : من وزعه – أى كفه – أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل الدية عمن تجب عليه . ول : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محموداً فى ولايتك . واثن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(١) يقول : كل مادعوت الله لك به لولم أدع به كنت مكفياً ذلك ، لأنى سألت الله هذه الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٢) الشمول : من أسماء الخمر . والترنج : لغة فى الأترج ، وهو ثمر من جنس الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول مايرى من عذق النخلة . يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعنى أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذهما لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، فحذف لديك وأتى به فى البيت الثانى ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ماتضمر . وقوله من شرب الشمول:

وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طِيبٌ   لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الجَلِيلِ (١)
وَمَيْدَانُ الفَصَاحَةِ وَالقَوَافِي   وَمُمْتَحَنُ الفَوَارِسِ وَالخُيُولِ (٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله شديد الخ فقال :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأَصِيلِ   وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي (٣)

أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول : أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ؛ أى أكان صغيراً أم كبيراً . فقوله لديك : خبر كل .

(٢) وميدان : عطف على كل - فى البيت السابق - وممتحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يمتحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وتمتحن الفوارس والخيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذى تنزع اليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهو . قال الواحدى : عارض المتنبى بعض الحاضرين فى هذه الأبيات ، وقال كان من حقه أن يقول :

بَعيدٌ أنتَ مِن شرب الشَّمول   على الأُتْرُجِّ أو طَلع النخيل
لشغلك بالمعالى والعوالى   وكَسبِ المجد والذكرِ الجميل
وقَدحِ خواطر العلماء فَحصاً   ومُمتَحَنِ الفوارس والخيول

فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيباً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان بيانى فيه بقدر ما عاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه : أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه

فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ   بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ (١)
وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشَظِّى   وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ (٢)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِى الْأَفْهَامِ شَىْءٌ   إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ (٣)

بنى الكلام على ماعاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول أنت شديد البعد وفى مجالسك ترنج الهند .

(١) البعول : جمع بعل، الزوج . يقول: إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامى انحطاط المرأة عن درجة الرجل . وهذا ينظر إلى قول أبى النجم :

إنّى وكلُّ شاعر من البَشَر   شيطانهُ أنثى وشيطانى ذَكَرْ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشظى : خبر؛ ومأمون الثانية : بدل من السيف . والتشظى: التكسر والتفرق: والفلول: جمع فل، وهو الثلمة التى تصيب السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تنفت أجزاؤه ولا يصير قطعا لاكتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذى لا يتثلم حده ولا يخشى عليه الانفلال .

(٣) يقول : إن من لايعرف النهار إلا بدليل يدله عليه لم يصح فى فهمه شىء ، لأنه لافهم له ، كذلك كلامى كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهارا إلابدليل .

ودخل عليه فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وعنده رسول ملك الروم وقد جاء يلتمس الفداء وركب الغلمان بالتجافيف وأحضروا اللبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقِيتَ العُفَاةَ بِآمَالِهَا ... وَزُرْتَ العُدَاةَ بِآجَالِهَا (١)
وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِى إِلَيْــــكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وَأَشْبَالِهَا (٢)
إِذَا رَأَتِ الأُسْدَ مَسْبِيَّةً ... فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا (٣)

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحا كان بين يديه وَرُفِعَ فقال ارتجالا :

وَصَفْتَ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلَاحًا ... كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ (٤)

---

(١) العفاة : جمع عاف، طالب المعروف. والعداة : جمع عاد، الأعداء. يقول : إنك تعطى سائليك ماأملوه وتزورأعداءك بما يحذرون من شدة بأسك. فتقرب بزيارتك لهم آجالهم. إذ تقتلهم.

(٢) الليوث : الأسود، والأشبال : أولادها.

(٣) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَانَتِ الأُسْدُ مِنْ صَيدِهِ ... فَلَنْ يُفْلِتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدْ

(٤) يقول : وصفت لنا سلاحا ولم نره — لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه — فكأنك تصف وقت النزال — الحرب — لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال. هذا : والضمير فى نره : عائد إلى السلاح لأنه فى نية التقديم. قال العكبرى: ونصب سلاحا على إعمال الفعل الأول — وهو وصفت — على مذهبه — أى مذهب المتنبى وهو كوفى مثل العكبرى — فى إعمال الفعل الاول، ومثله لذى الرمة :

وَأَنَّ الْبِيضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إِلَى الْقِتَالِ (١)
فَلَوْ أُطْفِئَتْ نَارُكَ تَا لَدَيْهِ قَرَأْتَ الْخَطَّ فِي سُودِ اللَّيَالِي (٢)
إِنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ (٣)
وَإِنَّ بِهَا وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ (٤)
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ جَانِبَيْهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالاً لِحَالِ (٥)

ولم أمدحْ لِأُرْضِيهُ بِشِعْرِي لَئِيماً أن يَكونَ أصاب مالا

(١) البيض: جمع بيضة، المغفر من الحديد يكون على الرأس. يقول: وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب. فأن» وصلتها عطف على سلاحا.

(٢) تا: أى هذه. يعنى ناراً أوقدت بين يديه، أو نار الشمع، أو السراج أو القناديل التى يستضىء بها. يقول: إن بريق هذه الأسلحة يغنى عن النار فى الإضاءة حتى يقرأ ما خط فى الصحف فى الليالى الحالكة. قال العكبرى: «تا» نعت لنارك، وهى فى موضع نصب، كما تقول: ضربت زيداً هذا، فهذا نعت لزيد: أى هذا المشار اليه، ولو جعل بدلا لجاز. و«تا» إشارة للمؤنث الحاضر، كما يشار بذا إلى المذكر الحاضر.

(٣) استحسنت: أراد استحسنته، فحذف الهاء للعلم به؛ وعلى الرجال: حال سدت مسد الخبر. يقول: إن استحسنت هذا السلاح وهو ملق على البساط فأحسن من ذلك إعماله فى الوغى وهو على الرجال.

(٤) يقول: وإن بالرجال وبالسلاح نقصاً، وكمالها بك.

(٥) الدمستق: قائد الروم. يقول: لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من تقليب رأيه فى التوقى منه. وقوله حالا لحال: حال؛ واللام:

وقال يمدحه وأنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين
وأربعين وثلثمائة ه :

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ ... طِوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ (١)
يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الَّذِي لاَ أُرِيدُهُ ... وَيُخْفِينَ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ (٢)

بمعنى على ، مثلها فى قولهم : قلب أمره ظهراً لبطن ه

كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها ، فنزل حران وأخذ رهائن بنى عقيل وقشير وبلعجلان ، ثم حدث له بها رأى فى الغرو ، فعبر الفرات إلى دلوك إلى قنطرة صنجة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قباقب حتى ورد المخاض على الفرات ، ورحل إلى سميساط ، فورد الخبر بأن العدو فى بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلوك وعبرها ، فأدركه راجعاً على جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين ابن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك.

(١) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل : أى شبيه يقول : إن ليالى الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهى متشابهة فى الطول لبُعد الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشاكلتها من جهة أنه لايجد فيها رَوحا ولا نوما . يقول : لايتغير حالى فى ليالى بعد الأحبة ولا ينقضى غرامى ووجدى بهم : أى أنه لايسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ماشئتَ أن تسلو خليلاً ... فأكثِرْ دونَه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٢) الضمير فى « يبن » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء

وَمَا عِشْتُ مِن بَعدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً ... وَلَـكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ (١)

وَإِنَّ رَحِيلاً وَاحِدًا حَالَ بَيْنَنَا ... وَفِي المَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ (٢)

إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ ... فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ (٣)

الذى لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب .

(١) يقول : ليس بقائى بعدهم سلواً عنهم ، ولكن لأنى صبور على النوائب والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلى :

فلا تحسَبي أنى تناسيت عهدَكم ... ولكنّ صبرى يا أميمَ جميلُ

وسلوة : مفعول له .

(٢) جملة حال بيننا : خبر إن . يقول : إن ارتحال الأحبة عنى حال بينى وبينهم ، لأنا افترقنا ، وفى الموت الذى يسببه الفراق إرتحال آخر . يعنى أنه لا يعيش بعدهم ، أو تقول: إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفا من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتنى : فارقتنى . والقبول : ريح الصبا . يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدنينى إليكم — لأنها تذكرنى روائحكم وطيب أيام وصالكم — فلا فارقتنى روضة أستنشق روائحها وريح قبول أتنسم بها لأكون أبداً على ذكر منكم ؛ وفى هذا المعنى يقول البحترى :

يذكّرنا ريّا الأحبةِ كلّما ... تنفّسَ فِى جُنحٍ من الليل باردُ

والأصل فيه قول الأول :

إذا هبّ عُلوِىُّ الرياح وجدتُنى ... كأنّىَ لِعُلوِىِّ الرياح نسيب

هذا . وقوله أدنى : أى أشد إدناء ، فبنى أفعل من المزيد . وقد ذهب ابن جنى فى تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غُبار الناقدين . قال : إذا كنتم

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً   لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ (١)

تؤثرون شم الروح فى الدنيا وملاقاة نسيمها ، فلا زالت روضةٌ وقبولا انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى ماتؤثرونه ، ويكون سبب الدنو منكم . أراد : فلابرحت روضة وقبولا ؛ فجعل الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح نفسه وغرّ غيره . وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى همّ وينطوى على شوق ، فأما الأحبة - وإن كان إيثار الرَوح طبعاً فى الناس - فإنهم لا يوصفون بطلب الروح وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشفى بنسيم الهواء . وأيضاً فما الحاجة إلى أن يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ، وليس هذا من أخوات كان . وإنما هى من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالنى أيام اللهو والفرح بقربكم . فلا فارقنى روضة وقبول يسوق إلىّ روائح تلك الروضة . وقال ابن القطاع : برح - هنا - بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الرَوح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقنى روضة وقبول يأتينى برائحتكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرق : الغصص . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سدت مسد الخبر ، بمعنى متذكراً ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل . ونزول : جمع نازل . يقول : إنى كلما شربت الماء غصصت به ، لأنى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه .

يَحْرُمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ ... فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ (١)

أَمَا فِى النُّجومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا ... لِعَيْنِى عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ (٢)

أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِى ... فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ (٣)

لَقِيتُ بِدَرْبِ القُلَّةِ الفَجْرَ لَقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ (٤)

---

(١) يقول : إن ذلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم ورده لمع الرماح التى ركزها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٢) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل — فى آخر البيت — مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلنى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٣) رؤيتى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستفهام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينيها كما نظرت إليهما فيفتتن بهما افتتانى فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عنى وينحسر ؟

(٤) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت كبدى . والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بدا له الفجر عند هذا المكان ، فاشتفت كبده بانصرام الليل كما يشتفى العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلا لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبهها بالدم . قال ابن جنى : سألته — المتنبى — عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنى لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلا

وَيَوْماً كَأَنَّ الحُسْنَ فِيهِ عَلاَمَةٌ ... بَعَثْتِ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ (١)

وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ ... وَلاَ طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلاَمِ ذُحُولُ (٢)

وشننا الغارات وغنمنا ، وشفيت كمدى لانحسار الليل عنى ، والليل قتيل فى ذلك الموضع ، فكأن النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . .
وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصبحَ قد سَلَّ سيفَهُ ... وولى انهزاماً ليلُهُ وكواكِبُهْ

ولاح احمرارٌ قلت قد ذُبِحَ الدُّجى ... وهذا دم قد ضَمَّخَ الأرضَ ساكبُهْ

(١) ويوما : عطف على الفجر ـ فى البيت السابق ـ يقول: ولقيت بدرب القلة بعد ذلك الليل المستبشع الكريه يوما حسناً جميلا ، فذكرت به محاسنك فكأن حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هى الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم ، فكأنها جاءت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جنى : لما ثار الغبار ستر الشمس فكأنها رسول من محبوبته مُسْتَخْف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفى معناه قول الآخر:

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهار فإنها ... أمارة تسليمى عليكِ فسلِّمى

(٢) اثار : افتعل ، من الثأر ، وأصله الهمز . أثار يثأر اثآرا : إذا أدرك الثأر ، فلينه . والذحول : جمع ذحل ، الثأر والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهارى بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه . وبه اشتفيت من ليلى وما قاسيته فيه ، فكأنى أدركت ثأرى منه ، وهى أول مرة أدرك عاشق ثأره وطواب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة .
ولابن فورجه هنا كلام حسن يزيد المقام إيضاحا ، قال : قد خلط أبو الطيب فى هذه الأبيات تشبيباً بتقريظ وهى من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع

وَلٰكِنَّهُ يَأْتِى بِكُلِّ غَرِيبَةٍ ... تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ (١)

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا ... وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ (٢)

شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا ... لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ (٣)

الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ماقاسى من همه ، وجعل حسن اليوم وهو ظفر سيف الدولة لسروره به كالعلامة التى جاءت من المحبوب ، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوعها ، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبى الطيب على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين وإن كانت من المحال . يدل على هذا البيت التالى .

(١) الغريبة : الأمر الغريب . وتروق : تعجب . وعلى استغرابها : أى مع استغراب الناس لها . وتهول : تفزع وتخيف . يقول : ولكنه يأتى بأمور غريبة لاعهد للناس بها من قبل ، وهى مع استغراب الناس لها تعجب المتأمل فيها لحسنها وتوقع فى نفسه الهيبة استعظاما لقدرها .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم . والجرد : الخيل القصيرة شعر الجلد ، وهو آية كرمها . يقول : رمى الروم بخيل أسرع اليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا .

(٣) شوائل : حال من الجرد — فى البيت السابق — وشالت العقرب ذنبها : رفعته ؛ وتشوال : مفعول مطلق ؛ وبالقنا : متعلق بشوائل ؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنابها . والمرح : لعب يتبعه النشاط . والضمير فى تحته : للقنا ، ويجوز أن يكون للمدوح . شبه الرماح على الخيل بأذناب العقارب إذا رفعتها ، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذناب فى ذلك الجرى ، وهو دليل كرمها وقوتها ، والتشوال أكثر مايكون عند

وَمَا هِىَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ ... بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَنًا وَنُصُولُ (١)

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ ... بِأَرْعَنَ وَطْءُ الْمَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ (٢)

وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ (٣)

فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دُلُوكٍ وَصَنْجَةٍ ... عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ (٤)

الجرى ، ثم دل على نشاطها بمراحها وعلى عزة نفسها بصهيلها .

(١) هى : ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد ؛ والخطرة : اسم مرة من خطر له كذا : مر بباله — وحران : بلد ؛ ولبتها : أجابتها ؛ والنصول : السيوف . يقول : لم تكن هذه الغزوة التى رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له ، فأجابت خاطره الرماح والسيوف ، أى أنها كانت مع عظمتها وجلالها من غير استعداد ولا احتفال .

(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . وهم : أراد فعل الشىء ؛ وأمضى : أنفذ ؛ والهموم : الهمم ؛ والأرعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرته . يقول : هو همام إذا هم بأمر فعله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقيل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٣) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وتقيل : أى تنزل وقت الهاجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يجشمها من العدو فهى لاتزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فاذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل تقيل ببلد آخر .

(٤) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنجة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعيل : القطعة من الخيل . يقول : لما

عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ (١)

فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً قِبَاحاً وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ (٢)

سَحَائِبُ يُمْطِرْنَ الحَدِيدَ عَلَيْهِمِ فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ (٣)

فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياته وخيله الجبال.

(١) على طرق: حال من فاعل علت — فى البيت السابق — والرفعة: الاسم من الارتفاع؛ والخمول: خفاء الذكر: أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق، وهى خاملة الذكر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل.

(٢) ضمير شعروا للعدو، وقباحاً حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستقبحة. وقال العكبرى: إنها صفة لمغيرة. يقول: فجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم، فكانت قبيحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقوله الآتى:

حسنٌ فى عيونِ أعدائهِ أقـ بحُ من ضيفهِ رأتهُ السوامُ

(٣) سحائب: خبر مبتدأ محذوف؛ أى هى - الخيل - سحائب، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً. قال العكبرى: ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها. وغسيل: بمعنى مغسول. جعل خيله كالسحائب لما فيها من برق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم، وقال ابن جنى: يجوز أن يعنى بالسحائب: الغبار الثائر. يصف خيله بالكثرة، يقول: سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء.

وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبنَ بِعَرْقَــةٍ ... كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُيُولُ (١)

وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمَوْزَارَ قُفَّلاً ... وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولَ قُفُولُ (٢)

تَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَمْعِ خَوْضاً كَأَنَّهُ ... بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ (٣)

تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِى كُلِّ مَسْلَكٍ ... بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ (٤)

---

(١) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والجيب : ماانفتح من القميص على النحر . والثاكلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلا أو أبا أو أخاً . يقول : وأمسى الجوارى اللائى سبين من الروم يبكين بهذا الموضع مفجعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهدلت إلى الأرض فصارت كأنها ذيول .

(٢) موزار : حصن ببلاد الروم . والقفول : الرجوع . يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٣) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ ويروى نجيع القوم . يقول : تخاضت الخيل الدم الذى سفكت من الروم خوضاً وافراً تاماً هائلا حتى هان غيره بالإضافة اليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لايتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٤) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى : جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : مابقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الخيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهله فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ ... مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ (١)
وَأَضْعَفْنَ مَا كَلَّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ ... فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ (٢)
وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا ... تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ (٣)
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ ... سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ (٤)

---

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية: بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمى ، والاسم الأعجمى إذا وقع إلى العرب تصرفت فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والثكول : التى تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت فى دماء أهل ملطية . أى سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أماً لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباقب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أى كلفن قطعه و«من» الداخلة على قباقب لبيان «ما» . يقول : إن خيله أضعفت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزاحمها فأضحى ماؤه كالعليل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .

(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته - أفزعته - كثرة الخيل - أى كثرة الجيوش - التى خاضته ، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا لأن الروع يكون فى القلب .

(٤) السابح : الفرس الذى يمد يديه كأنه يسبح فى جريه ، ويحتمل هنا سباحة الماء . والغمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : مجرى الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويجرى أمامها وهى تتبعه ، فجعل ذلك كالمطاردة ، ثم قال إن هذه الخيل لقوتها كانت لا تكترث لغمرة الماء ، بل سواء لديها الغمرة والمسيل ، فتسبح فى الغمرة كما تسير فى المسيل الذى لا ماء فيه .

تَرَاهُ كَأَنَّ المَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ (١)

وَفِي بَطْنِ هِنْرِيطٍ وَسِمْنِينَ لِلظُّبَى وَصُمِّ القَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ (٢)

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَهَا لَهَا غُرَرٌ مَا تَنْقَضِي وَحُجُولُ (٣)

تَمَلُّ الحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ (٤)

وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الوَجَى وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلأَمِيرِ ذَلِيلُ (٥)

---

(١) التليل : العنق . يقول : إذا سبح الفرس فى النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقى الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٢) هنريط وسمنين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . والظبي : جمع ظبة : حد السيف؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ وممن أبدن : متعلق ببديل . يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا ممن أفنتهم . يعنى أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل .

(٣) الغرر : جمع غرة : البياض فى وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون فى قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة قد عرفوها لها شهرة كغرر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .

(٤) الشم : الطوال المرتفعة فى السماء . يقول : إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هى عن أماكنها بالخراب وتمكننا من أهلها .

(٥) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى : ساقطة هزالا من الإعياء . والوجى : الحفى . يقول : باتت الخيل معيية بهذا الموضع مما أصابها

وَفى كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ ... وَفى كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولُ (١)

وَدُونَ سُمَيْسَاطَ الْمَطَامِيرُ وَالْمَلَا ... وَأَوْدِيَةٌ مَجْهُولَةٌ وَهُجُولُ (٢)

لَبِسْنَ الدُّجَى فيهَا إِلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ ... وَلِلرُّومِ خَطْبٌ فى الْبِلَادِ جَلِيلُ (٣)

فى حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذلت له وإن كانت عزيزة قوية .

(١) قوله وفى كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل - فى صدر البيت السابق - والفلول : الثلوم . يقول : وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة مالاقوا ماخلا سيف الدولة ، فانه لا يفتر ولا يمل ، وكذلك كل سيف فى ذلك الجيش قد فلّه - ثلمه - الضرب - ، أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .

(٢) سميساط : بلد بشاطئ الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة فى الأرض يخبأ فيها الطعام والشراب . والملا : جمع ملاة ، وهى الفلاة ذات الحر والسراب . والهجول : جمع هَجْل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زبيد :

تَحِنُّ لِلظِّمْءِ مِمَّا قد ألَمّ بها ... بِالهَجْلِ مِنها كأصواتِ الزنابيرِ (١)

يقول : قبل الوصول إلى سميساط هذه الأشياء .

(٣) مرعش : بلد بالثغر قرب أنطاكية ؛ أى سارت الخيل فى تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت فى الظلمة . وقوله وللروم خطب : فذلك أن سيف الدولة لما نزل بحصن الران ورد عليه

---

(١) قوله بالهجل : خبر مقدم ؛ وكأصوات - أى مثل أصوات - مبتدأ مؤخر ، قال ابن برى : والذى فى شعره الزنانير - بالنون - وهى الحصى الصغار .

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ ... دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ (١)
وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ... وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ (٢)
فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ ... فَتًى بَأْسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ (٣)
جَوَادٌ عَلَى الْعِلَّاتِ بِالْمَالِ كُلِّهِ ... وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بَخِيلُ (٤)

الخبر أن الروم فى بلاد المسلمين يعيثون ويقتلون، فرجع اليهم مسرعا، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر قسطنطين بن الدمستق. ويجوز أن يكون المعنى: أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بحوافر خيله وذلل أهلها.

(١) فضول: أى زوائد لاحاجة إليها. يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه، ولما رأوه كذلك علموا أنه يغنى غناء الناس جميعا وأن من سواه من العالمين لاحاجة إليهم مع وجوده.

(٢) الخط: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية. والكليل: الذى لايقطع. يقول: وعلموا أن الرماح لاتصل إليه وأن السيوف تكل عنه فلا تقطعه: إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهيبة فلا يقدم عليه.

(٣) الحصان: الذكر من الخيل، والجزيل: الكثير. يقول: إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب، واردين سيفه حين قتلوا به. أو تقول: يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحد سيفه، فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافحة، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به، فهو فتى بأسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير.

(٤) على العلات: على كل حال. والدارع: الذى عليه الدرع. يقول:

فَوَدَّعَ قَتْلاهُمْ وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ ... بِضَرْبٍ حُزُونُ الْبَيْضِ فِيهِ سُهُولُ (١)
عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ... وَإِنْ كَانَ فى سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ (٢)
لَعَلَّكَ يَوْماً يَادُمُسْتُقُ عَائِدٌ ... فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَؤُولُ (٣)

يجود بماله على اختلاف أحواله. كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبذل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدارعين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبارة ابن جنى: بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميهم اصطناعا (١)

(١) الفل : المنهزمون . والحزون : جمع حزن ،ماغلظ من الأرض ، ضد السهل . والبيض : جمع بيضة ، مايلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رؤسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشييع والحزن والسهل .

(٢) قسطنطين : هو ابن الدمستق ، والكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول : لم يشغله مايعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة. وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٣) يقول : لعلك يوما تعود إلينا فيحيق بك الهلاك الذى استدفعته بفرارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، ولعله من قول ابن الرومى :

---

(١) من اصطناع المعروف

نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً   وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ (١)

أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِباً   وَيَسْكُنَ فى الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ (٢)

بِوَجْهِكَ مَاأَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ   نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ (٣)

وإذا خشيتَ مِن الامورِ مقدّرًا   وهرَبت مِنه فنَحوَه تتوجّه

(١) المهجة : الروح ، وأنث جريحة بالتاء ضرورة ، وخلفت : تركت خلفك : أراد بمهجته الأولى - وهى الجريحة - نفس الدمستق ، وبالثانية : - التى تسيل - ابنه ، وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة لبدنه لأن جرح البدن يسرى إلى الروح . وكنى بسيلان المهجة الأخرى - وهى ابنه - عن الهلاك : أى أنه يقتل فيسيل دمه ، قال السموءل :

تَسيل على حدّ الظُباتِ نفوسنا   وليست على غير الظباتِ تَسيل

يقول : إنه هرب مجروحا - لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الوقعة - فنجا بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك ، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى - ابنه - لأن مايدرك ابنه كأنما يدركه .

(٢) أسلمه . خذله وتركه والاستفهام : استفهام إنكار وتوبيخ . والخطية: الرماح ، ويسكن : بمعنى يطمئن ويركن ، وهو جواب الاستفهام . يقول: أتخذل ابنك وتتركه للرماح وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خلانك ؟ أى لايثق بك أحد بعد هذا .

(٣) المرشة : الطعنة ترش الدم ، والرنة : الصياح ، والعويل : البكاء . يقول : بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل ، يعنى أنك عاجز عن نصرة نفسك . فكيف تنصر ابنك ؟

أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا   عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلجُيُوشِ أَكُولُ (١)

إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلَّا فَرِيسَةً   غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ (٢)

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ   هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ (٣)

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ   فَقَدْ عَلَّمَ الأَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ (٤)

---

(١) يقول : أغركم كثرة رجالكم ؟ لا تغرنكم الكثرة ، فإن علياً – اسم سيف الدولة – يغلبكم وإن كثر عددكم ، فالمراد بالشرب والأكل : الافناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر ، لأن ماشرب أو أكل لا ترى له عين ، وكأن هذا ينظر إلى قول أبي نواس :

فإن يَكُ باقي إفكِ فرعونَ فيكم   فإنّ عصى موسى بكفٍّ خصيب

(٢) غذاه : صار له غذاء ، والضمير لليث : وأنك فيل : فاعل ينفعك أو غذاه على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أنتم وإن كنتم أكثر عددا فان الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئاً ، كالفيل مع الأسد ، فان الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد . وبعبارة أخرى : إذا لم تكن إلا فريسة للأسد ، فكونك فيلا ، أى كونك ضخم الجثة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك فى النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا فى يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا فى شفائه بكثرة ما يقتل منهم .

(٣) قوله هى الطعن : نعت شجاعة . يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان .

(٤) صال عليه : وثب واستطال . يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك مالم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا　　فَإِنَّكَ مَاضِى الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ (١)

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ　　فَفِى النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ (٢)

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِى إِلَى مَاأَقُولُهُ　　إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ (٣)

---

(١) مواضيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشابهتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٢) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويزمر . وعنى ببعض الناس: سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فان غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاتل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لاغناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل . وقال العروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث :قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات، وسرادق وسرادقات ، وجواب وجوابات ، وهو كثير فى كلام العرب فى جمع مالا يعقل من المذكر؛ إذ لا يوجد له مثال القلة .

(٣) الهادى : بمعنى المهتدى ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول: أنا الذى أتقدم غيرى وأسبقه إلى ما أقول ، يعنى أنه يخترع المعانى الأبكار التى لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيبُنِي أُصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِيهِ أُصُولُ (١)
أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ (٢)
سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ (٣)
وَلَا تَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ (٤)
وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ (٥)
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ (٦)

---

(١) أرابه : جعل فيه ريبة ، والريبة الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادى فيما يريبنى لا أصل له لأنه كذب و باطل ، وكذلك هم لا أصل لهم؛ أى ليس لهم نسب يعرف به أصلهم .

(٢) يقول : أعادى على علمى وفضلى وتقدمى فى الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول فىّ ولا تسكن : أى لا أتعرض لهم ، أمامهم فلا يفترون عن تلمس ما يشنعون به علىّ .

(٣) يقول : لا تشتغل بمداواة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل فى قلب فلا أمل فى زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٤) وتنيل : تعطى . يقول : لا تطمعن فى مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٥) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنا لنلقى الحادثات بأنفس جلدة تحتقر الخطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٦) هذا من قول أبى تمام :

لا يأسفون إذا هم سلمت لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَتِيهًا وَفَخْرًا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ ... فَأَنْتِ لِخَيْرِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ (١)
يَغُمّ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّه ... إِذَا لَمْ تَغُلْهُ بِالأَسِنَّةِ غُولُ (٢)
شَرِيكُ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ ... فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولُ (٣)
فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا ... لِمَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ (٤)

---

(١) أنث «تغلب» لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : افخرى وتيهى ، فإنك قبيلة خير من فخر ، يعنى سيف الدولة . وتيها وفخرا : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله؛ إذا أهلكه والغول: المهلك؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه حتف أنفه ولم يقتل برماحه غمه ذلك ، لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمى ، والضمير فى قوله لم يمته : مفعول مطلق مثله فى قوله تعالى «عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين» والغلول : الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة وكل من خان فى شىء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله . يقول : بينه وبين المنايا شركة فى النفوس . فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خانته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه .

(٤) الدولات : جمع دولة - بضم الدال وفتحها - العقبة فى المال والحرب سواء ، وقيل بالضم فى المال ، وبالفتح فى الحرب . وقيل بالضم اسم للشىء الذى يتداول به بعينه ، وبالفتح: الفعل ، وهى فى الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفىء دولة بينهم، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر ، والموت الزؤام : الوحىّ - العاجل - أو الكريه . يقول : إذا كانت الدولة

لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنيا عَلَى النَّفسِ ساعةً وَلِلبِيضِ فى هَامِ الكُماةِ صَليلُ (١)

«وقد جرى ذكر مابين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول فى هذا وما تحكم ياأبا الطيب؟ فقال» :

إن كُنتَ عَنْ خَيرِ الأنامِ سائلاً فَخَيرُهُمْ أكثَرُهُمْ فَضائلا

مَنْ أنتَ مِنْهُمْ ياهُمَامَ وَائِلاَ الطَّاعِنِينَ فى الوَغَى أوائلا (٢)

وَالعَاذِلِينَ فى النَّدَى العَوَاذِلاَ قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ القَبائلا (٣)

قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزؤام غير متهيب ولا مكترث .

(١) لمن : بدل من « لمن » فى البيت السابق ؛ والبيض : السيوف ؛ والهام : الرؤس ؛ والكماة : الأبطال المدججون بالسلاح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد فى رؤس الشجعان .

(٢) من : مبتدأ ، خبره «قد فضلوا» فى البيت التالى ـ والهمام : الملك العظيم الهمة . ووائل : أبو قبيلة الممدوح ، جعله اسما للقبيلة فلم يصرفه . والطاعنين : نعت وائلا . والوغى : الحرب . وقوله أوائلا : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن تكون حالا : أى أنهم السابقون إلى الطعان ؛ ومن روى الأوائلا : تعينت المفعولية : أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٣) العاذلين : جمع عاذل ، أى اللائم ؛ والندى : الجود ؛ والعواذل : جمع عاذلة ، أى لائمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ،

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه فى صفر
سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هٰذِى الرَّسَائِلُ ... يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ (١)
هِىَ الزَّرَدُ الضَّافِى عَلَيْـهِ وَلَفْظُهَا ... عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ (٢)
وَأَنَّى اهْتَدَى هٰذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ ... وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ (٣)
وَمِنْ أَىِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِى جِيَادَهُ ... وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ (٤)

ومن كان هذا شأنهم فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك، ويتفردون بالمكارم بما زدتهم من مجدك.

(١) هذى الرسائل: مبتدأ مؤخر؛ ودروع: خبر مقدم؛ وملك ـ بسكون اللام ـ مخفف ملك ـ بكسرها ـ. يقول ـ مخاطبا سيف الدولة ـ: إن هذه الرسائل التى أرسلها ملك الروم هى له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله، وقد زاد ذلك بيانا فيما يلى. وقوله يشاغل: قال ابن جنى لفظة غريبة، إلا أن العامة ابتذلتها فلو تجنبها كان أجرد.

(٢) الزرد: الدرع المزرودة، يدخل بعضها فى بعض؛ والضافى والسابغ بمعنى الطويل التام. يقول: هذه الرسائل عليه درع سابغة: أى تقوم فى الرد عنه مقام الدرع، ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك، لأنها خضوع منه واستسلام اليك، فهو يخطب منك الصلح خوفا ورهبة.

(٣) أنى: بمعنى كيف؛ والاستفهام: للتعجب، والقساطل: جمع قسطل، وهو الغبار الذى تثيره الخيل. يقول: كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشرا لم يسكن؟

(٤) الجياد: الخيل، والمناهل: الموارد. يقول: لكثرة من قتلت

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَــهُ ... وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ (١)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطَيْنِ مَشْيَهُ ... إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ (٢)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْــهُ وَلَحْظَهُ ... سَمِيُّكَ وَالْخِلُّ الَّذِي لَا يُزَايِلُ (٣)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمِعٌ ... وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلُ (٤)

بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء ، فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(١) يجحد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاك ؛ وتنقد : تنقطع . يقول : أتاك هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقعاً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توهما منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هيبة لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٢) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدى سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول اليك هيبة لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فمر مستقيما .

(٣) سميك : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لايزايله - لايفارقه - يقول : إن سيفك قاسمك عينى الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيه اليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هيبة سيف الدولة ما ملكه من هيبة سيفه . فأجال لحظه متهيباً لهما معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٤) الهائل : المفزع المخيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر

وَقَبَّلَ كُمَّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ ... وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ (١)
وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ ... هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ (٢)
مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَهُ ... صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ (٣)
فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةٌ ... عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ (٤)
وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ ... إِلَيْكَ الْعِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الْجَحَافِلُ (٥)

منك بعموم جودك الرزق المحيي فأطمعه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع واليأس ، وقسم عينيه بين شطرين: التأميل والخوف.

(١) الكمى : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفا . يقول : وقبل الرسول كمك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيبة لك

(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفا عظيما لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكى من الخيل : التى كملت أسنانها ؛ والذوابل من الرماح : اللينة لطولها . يقول : كمك مكان تتمنى الشفاه أن تقبله ولكن يتعذر الوصول اليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنه سألك ذلك وأنت لا تخيب السائل .

(٥) أكبر : فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى «فلما رأينه أكبرنه» ، وهمة : مفعول به . وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء . قالوا : كل شيء ينبعث

فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ   وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ (١)
تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ   وَطَابِعُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ (٢)
وَمَالَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ   وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الْأَنَامِلُ (٣)

بنفسه كالعبد، فإن الفعل يتعدى اليه بنفسه فيقال بعثه، وكل شيء لاينبعث بنفسه كالكتاب والهدية، فإن الفعل يتعدى اليه بالباء فيقال بعثت به، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره. والجحافل: الجيوش. يقول: إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حمله همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم - بعد أن طلبوا اليه أن يشغلك عن حربهم - تنتظر قدومه ليبلغهم جوابك

(١) يقول: أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم فلما عاد اليهم أزرى بهم ولامهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك. ورأى جنودك وكثرة عديدك، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه.

(٢) ربيعة: قبيلة سيف الدولة؛ وطبع السيف: عمله. يقول: رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير ذلم ير سيفاً قبلك بهذه الصفة.

(٣) المقلة: شحمة العين التى تجمع السواد والبياض؛ والأنامل: رؤس الأصابع؛ ولون السيف: فرنده وجوهره؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه. وأراد بحده عزيمته، وكلا الأمرين لايدرك بالحواس. وعبارة الواحدى: إن العيون لا تحصل لونه لأنها لاتستوفيه بالنظر هيبة له كما قال:

كأن شُعاعَ عينِ الشمس فيهِ   ففى ابصارِنا عنه انكسارُ

إذَا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا ... عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ (١)
رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا ... لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ (٢)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقَهُمْ ... فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ (٣)
تَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ ... وَجَاؤُكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ (٤)
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ ... كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ (٥)

ولا تجس الأنامل حده كما تجس حد السيف لأنه ليس سيفاً على الحقيقة .
وقال ابن وكيع هذا من قول الأول :

إذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي ... كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُور

(١) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة تصاغرت عندهم أنفسهم وما أتوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحترى :

لَحَظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصْغَرُوا ... مَنْ كَانَ يُعْظَمُ عِنْدَهُمْ وَيُبَجَّل

(٢) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحدتها . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يدال عليه فيظفر بادراك ترته .

(٣) يقول : إن كان الذى ساقهم اليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والانقياد ما لا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا فى البيت التالى .

(٤) يقول : تخافوك خوفا لو قتلتهم لم يزدخوفهم على ذلك ، وجاؤك طائعين حتى لا تحتاج فى أسرهم إلى السلاسل ، وفى المثل : الحذر أشد من الوقيعة .

(٥) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير . واليك مصيره : أى منتهاه إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك .

إذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ (١)
كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلُ (٢)
أَذَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ (٣)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ (٤)

---

(١) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير . يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتذوا حذوك فى جودك فأمطروا وامطرت فطلُّ عطائك يستغرق وابلهم؛ يعنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالاضافة إليهم .

(٢) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقحت حرب : اشتدت أو وقعت؛ وحرب لاقح مثل بالأنثى الحامل؛ قال الأعشى :

إذا شَمَّرَتْ بالناس شهباءُ لاقحٌ عوانٌ شديدٌ همزُها وأظلت (١)

يقول : أنت كريم ماتُسأل شيئاً إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئاً فى أحوج ما تكون إليه لوهبته .

(٣) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعرى ، أى لاتحوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جنى : أى لاتعط الناس أشعارى فيسلخوا معانيها ، قال الواحدى : وهذا — أى كلام ابن جنى — ليس بشىء لأنه لايمكنه ستر أشعاره واخفاؤها عن الناس، وأجود الشعر ماسار فى الناس ، وقال المعرى: يريد لا تعط الناس شعرى فتجعلهم فى طبقتى فتقول أنت مثل فلان .

(٤) الضبن : مابين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر والاستفهام:

---

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب. أى عضته.

لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ (١)

وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ (٢)

وَمَا التِّيـــهُ طِبِّي فِيهِمِ غَيْرَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ (٣)

للتعجب والإنكار . يقول : أفى كل يوم يتحرش بى شويعر ضعيف فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباريني فى القوة وهو لاقوة له ويطاولني وهو قصير أحمله تحت ضبنى ؟ يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضبنه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة .

(١) الباء - فى الشطرين - بمعنى فى : أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبي يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول : يعدل عنه لسانى فلا أكلمه ولا أهاجيه لأنى لا أراه أهلا لذلك ، وقلبي يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتا لا أبدى الضحك والسخر؛ ثم بين لِمَ يفعل ذلك فيما يلى . وهذا ، والهزل ضد الجد يقال هزل يهزل قال الكميت :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وطولِها نَجِدُّ بِنَا فِى كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزِلُ

(٢) يقول : إنما لا أجيبهم لأتعبهم بترك الجواب كما أنهم يغيظوننى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أغيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشتفى منه .

(٣) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فَرْوَة بن مُسَيك المرادى :

فَإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْماً وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا

فَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

وَأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّنِي بِكَ وَاثِقٌ وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ (١)

لَعَلَّ لِسَيفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ هَبَّةً يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ (٢)

كذاكَ الدهر دولتُهُ سجال تَكُرُّ صُروفه حيناً فحينا (١)

وبغيض: خبر مقدم عن المرفوع بعده؛ والجملة خبر أن؛ وإلى: بمعنى عندى. يقول: ليس الكبر عادتى وديدنى غير أنى أبغض الجاهل الذى يتكاف وَيُرِى أنه عاقل، يعنى أن الذى يمنعنى من تكليمهم إنما هو بغضى إياهم لا التكبر عليهم. أقول: ولو عكس المعنى وقال إنى أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء - لأنهم أقل من أن يبغضوا - لكان أروع؛ وما أجمل قول الطرماح:

لقد زادنى حُبًّا لنفسيَ أنَّنِي بغيض إلىَّ كلّ امرىءٍ غيرِ طائل

إذا ما رآنى قطّع الطّرْفَ بينه وبينى كفعل العارف المتجاهل

قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم: إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علما فهو يتواضع لتلك الزيادة. والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وتمقته النفوس.

(١) يقول: أكبر ما أتيه به أنى واثق بجميل رأيك فىَّ، كما أن أكثر ثرائى هو من ناحية تأميلى لك ورجائى فيك.

(٢) القرم: السيد؛ وأصله: الفحل الكريم من الإبل. وهبة: أى انتباهة. يقول: لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز

---

(١) قوله وإن تغلب فغير مغلبينا: يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبتنا فغير مغلبين؛ والمغلب: الذى يغلب مراراً: أى لم نغلب إلا هذه المرة. وقوله فما إن طبنا الخ: أى ماعادتنا وشأننا؛ وقيل الطب ههنا: العلة والسبب: أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال عنا والدولة، والسجال - بالكسر - مصدر، اجل يساجل بمعنى ناوب.

رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِى وَفَضْلِهِ ... وَهُنَّ الْغَوَازِى السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ (١)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ ... وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ (٢)

وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا ... وَأَلْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ (٣)

قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى ... إِذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ (٤)

من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك، فيهلك باطلهم - يعنى شعرهم - ويبقى الحق - يعنى شعره -.

(١) المراد بالقوافى: القصائد؛ والغوازى: من الغزو يقول: مدحته بإذاعة فضائله - فكأنى رميت بتلك القوافى التى ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظا وحسدا، وجعل القوافى غوازى قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد، وجعلها سالمات لأنها تصيب ولا تصاب.

(٢) الثواكل: جمع ثاكل، الفاقدة ابنها أو أباها أو أخاها. يقول: لو كانت النجوم جيوشا ثم حاربته لقامت عليها النوائح، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تفنى لو حاربته لأتى عليها وأفناها.

(٣) يقول: ما كان أقربها له لو قصدها وألطفها - أخفها - لو حاول تناولها، يعنى أن سعده يقرب له البعيد، وقال الواحدى: فى جميع النسخ وألطفها برد الكناية - الضمير - إلى النجوم، ولا معنى له؛ والصحيح: وألطفه برد الكناية إلى الممدوح: أى ما ألطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول، من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر: أى رفيق، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق، وبعد، فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد بين ذلك فى البيت التالى.

(٤) النائى: البعيد؛ والورى: الخلق؛ والقنابل: الجماعات من الخيل -

تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ ... وَلَيْسَ لَهَا وَقْتًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ (١)

يُتَبِّعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ ... فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ (٢)

واحدتها قَنبلة، قيل القَنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه، والقنبلة من الناس الطائفة منهم، وَقِدرٌ قُنْبلانية تجمع القنبلة من الناس: أى الجماعة. يقول: قريب عليه كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجيشه فانعقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى يصير له كاللثام. وبعبارة أوضح: إذا قاد جيشه وأنفذ نحو العدو خيله ولثمته كتائبه بما تثيره من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير مستعص عليه.

(١) وقتا: ظرف؛ ولها: خبر ليس؛ وشاغل: اسمها يقول: إن تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه، فانه بسيفه وقوة يده يدبرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شىء يشغلها وقتا عن الجود، أى لا يغفل عن الجود وإن عظم شغله، كما قال البحترى:

تَبِيتُ عَلَى شُغْلٍ ولَيس بضائرٍ ... لجدك يوماً أن تبيت على شُغْلِ

وروى ابن فورجه. وقت بالرفع، على أنه اسم ليس وشاغل: نعت له. قال الواحدى: تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال: وفيه معنى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ ما هو أحقر منهما أولى. قال الواحدى: وهذا الذى قاله - ابن فورجه - باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل والوجه: النصب لأنه ظرف لشاغل.

(٢) هراب: جمع هارب. ومراده: فاعل يتبع؛ ولك أن تجعله مفعولا ثانياً ليتبع؛ وحربا: نصب على الحال؛ أى محاربا - يقال فلان حرب لفلان

وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَداً لَهُ ... تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ (١)
فَتًى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ ... لَهُ كَامِلاً حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ (٢)
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا ... فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلَاحِلُ (٣)
أَطَاعَتْكَ فِي أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ ... بِأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ (٤)

إذا كان معاديا له، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض: أى من الحرب. والغوائل: جمع غائلة، وهى الداهية تغول: أى تهلك. يقول: إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب، واستقبلته غائلة تأتى عليه.

(١) النائل: العطاء. يقول: من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حيثما توجه عطاء منه. وذلك لعموم نائله الأرض؛ وبعبارة أخرى: إن جوده يشمل الولى والحاسد ويعم المحسن والمسيء؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام:

وإذا سرحت الطرف حول قبابه ... لم تلق إلا نعمة وحسودا

(٢) وهو كامل: حال من إحسانه؛ وكاملا: مفعول ثان ليرى. وقوله له: الضمير للممدوح، والظرف حال من الضمير فى كاملا: أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه. يقول: هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لا يراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علو همته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً.

(٣) العرب العرباء: القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة؛ ورازت: جربت واختبرت، وفتاها: كريمها وسخيها؛ والحلاحل: السيد. يقول: إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم.

(٤) يقول: هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم ببذل أرواحهم لبذلوها فى

وَكُلُّ أَنَابِيبِ الْقَنَا مَدَدٌ لَهُ   وَمَا يَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إِلَّا الْعَوَامِلُ (١)

وَإِنَّكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فِي الْوَغَى   إِلَيْكَ انْقِيَادًا لَاقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ (٢)

طاعتك ، وقد تصرفوا فى إرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك . ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

(١) الأنابيب : جمع انبوب ، العقدة الناشزة فى القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛ والعوامل : جمع عامل ، وهو مايلى السنان من الرمح . والنكت : الوخز . ويقال طعنه فنكته : أى القاه على رأسه . شبه قبائل العرب بأنابيب الرمح وسيف الدولة بالعامل . قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مدد لك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خُلقوا سادةً فكانوا سواءً   ككعوبِ القناةِ تحت السِنان

وقال البحترى :

كالرُمح فيه بضعَ عشرَةَ فقرةً   مُنقادةً تحت السِنان الأصيد

وبعبارة أخرى : يقول له ـ مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره ـ كل أنابيب الرمح مما تمده وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان . جعل موضع سيف الدولة من العرب ـ وإن كانوا مدداً له ـ موضع العامل من الرمح الذى به يكون الطعن ، واليه ينسب الفعل من دون سائر الأنابيب . وقال ابن جنى : المعنى أن أصحابك وإن كانوا أعوانا لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم اليها كتقدم السنان .

(٢) الوغى : الحرب ؛ واليك : صلة انقياداً ؛ والشمائل : الاخلاق ؛

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ (١)

وقال يعزيه بأخته الصغرى ويسليه بالكبرى وأنشدها فى رمضان سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِى الرَّزِيَّةِ فَضْلاً تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلَّا (٢)

أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الْأَحْـبَابِ فَوْقَ الَّذِى يُعَزِّيكَ عَقْلاَ (٣)

والمفعول الثانى لرأيت : محذوف سد مسده شرط « لو » وجوابها . يقول: إن لم يطعك الناس خوفا من طعنك أطاعوك حباً لشمائلك ، أى أن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك من الطعان فى القتال .

(١) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى أن من لم يخضع لك طوعا ورغبة خضع لك خوفا ورهبة .

(٢) يقول . إن كان صبر صاحب المصيبة على ماأصيب به يعد فضلا له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعنى أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزيئة — بالهمز وبتركه — المصيبة .

(٣) يقول : أنت أجل من أن تعزى عمن ترزأ به من الأحباب لأنك أعقل من الذى يعزيك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق — الأولى — نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و « فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون حذف المنادى : أى أنت ياسيف الدولة وعلى هذا تكون فوق — الأولى والثانية — ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعتاً له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلا : نصب على التميز .

وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ اكَ قَالَ الَّذِى لَهُ قُلْتَ قَبْلاَ (١)

(١) اهتدى : أى الذى يعزيك . ونصب «قبلا» على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولا وآخراً ، كما قال :

وساغَ لِيَ الشَّرابُ وكُنْتُ قَبْلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الفُرَاتِ (١)

يقول : إن الذى يعزيك منك تعلم ألفاظ التعزية ، فهو يقول لك فى التعزية ماقلته قبل ذلك واستفاده منك . وعبارة العكبرى الإنشائية الأنيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك ، فقدرك مرتفع عن التعزية ، فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم . وروى أيضاً بالماء المعين ، وروى : أغص بنقطة الماء الحميم ؛ قال البغدادى : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد بن الصعق وهى :

ألاَ أبلغ لديك أبا حُريثٍ وعاقبة الملامة للمُليم

فكيف ترى معاقبتى وتسعى بأذواد القُصيبَةِ والقصيم

وما بَرِحت قلوصى كلَّ يوم تَكر على المخالِفِ وَالمقيم

فَنِمتُ الليلَ إذ أوقعت فيكم قبائل عامرٍ وبنى تميم

وساغ لى الشراب . . . البيت . المليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة : المناوبة — من العقبة ، وهى النوبة — والذود من الإبل : مابين الثلاث إلى العشر ؛ والقصيبة والقصيم : موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون فى الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ : عطف على نمت . والحميم : الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضداد يطلق على الماء البارد أيضاً ؛ وأغص : مضارع غصصت بالطعام ، والغصة : ماغص به الانسان من طعام ، وهو هنامستعمل مكان الشرق.

قَدْ بَلَوْتَ ٱلْخُطُوبَ مُرًّا وَحُلْوًا وَسَلَكْتَ ٱلْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلَا (١)

وَقَتَلْتَ ٱلزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْـرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِعْلَا (٢)

أَجِدُ ٱلْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي ٱلْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلَا (٣)

جلب إلى هَجَرِ القطيعاء (١) وإلى الفرات الماء، وإلى البدر الضياء.

(١) بلوت: خبرت. والخطوب: حوادث الدهر. والحزن: ضد السهل، وهو ما خشن من الأرض وارتفع؛ والمنصوبات — فى البيت — أبدال. يريد: حلوها ومرها، وحزنها وسهلها. وتفسير العكبرى الجيل: قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك، وسرت فى الأيام مالكا صعبها تسلك منها ما صعب وسهل، وتعانى مابعد وقرب، ناهضاً بنفسك، مكتفياً بعلمك.

(٢) يغرب: يجيء بشيء غريب؛ وعلماً وقولا: كلاهما تمييز. يقول: عرفت الزمان وألوانه وصروفه معرفة تامة، فلا يأتى بشيء غريب ولافعل جديد لم تره ولم تعرفه. وقتلت الزمان علما: يعنى علمت منه كل شيء حتى أذللته بعلمك ولينته لك، ومعنى القتل فى اللغة: إزالة الحركة، ومنه يقال شراب مقتول: إذا كسرت سورته بالماء.

(٣) الذعر: الخوف. قال ابن فورجه. يقول: أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظاً منك لوده وصحبته ووفاء له، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل؛ وغيرك يحزن خوفاً من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن؛ قال الواحدى: وتفسير الحفظ على ما ذكره؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه، والوجه أن

---

(١) هجر: بلد بالبحرين، مذكر مصروف، مشهور بتمره؛ والقطيعاء - ممدود مثل الغبيراء - صنف من التمر.

لَكَ إِلْفٌ يَجُرُّهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلَا(١)

وَوَفَاءٌ نَبَتَّ فِيهِ وَلٰكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلَا(٢)

يقال أراد بالعقل: الاعتبار بمن مضى، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلماً أنه عن قريب يتبعه على أثره؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت، وهو جهل لأنه ميت لامحالة وإن حزن.

(١) الإلف: السكون إلى الشيء والأنس به. يقول: لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل، وأن الكريم ألوف، وإذا كان ألوفا حزن على فراق من ألفه؛ وعبارة العكبرى: لك إلف لكرم صحبتك يجر الحزن إليك بمن تفقده من أحبتك، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك، وكذلك الأصل إذا كان كريما كأصلك متمكنا فى مثل نصاب شرفك، كان أصلا لكريم المواصلة والمؤالفة، وباعثا على مشكور المعاملة، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة. «ويجره»: رواها ابن جنى تجره ـ بالتاء ـ قال: أى تسحبه وتحمل ثقله.

(٢) ووفاء: عطف على إلف ـ فى البيت السابق ـ. يقول: ولك وفاء نبتّ فيه وسقيت ماءه صغيرا ونشأت عليه، فلا تعرف غير الوفاء الأحباب؛ ولا بدع: فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فانحدر إليك منهم، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت. وقوله ولكن: هو استثناء معروف فى كلام العرب، يقولون فلان شريف غير أنه سخى؛ وفى الحديث: «أنا أفصح العرب بَيْدَ أنى من قريش» أى فلا عجب فى كونى أفصحهم. وقالوا:

فتىً كمُلت أخلاقه غيرَ أنه جواد فما يُبقى من المال باقيا

إنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعٌ بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلَّا (١)
أَيْنَ ذِى الرِّقَّةُ الَّتِى لَكَ فِى الْحَرْ بِ إِذَا اُسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلَّا (٢)
أَيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الـ رُّومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُفْلَى (٣)

---

(١) الرعاية : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى سببه رعاية العهد هو خير الدموع عونا على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف برح الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ رَاحةً من الوجدِ أو يَشفى نجىَّ البلابِلِ

وقوله عونا : يروى عندى ، وروى ابن جنى : عينا . قال : وهو منصوب على التمييز كقولك : إن أحسن الناس وجها لزيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمعه حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(٢) استكره الحديد : أى أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله فى الحرب ؛ وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التى نشاهدها منك الآن أين هى فى وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصلّ بقرع بعضه البعض عند تجالد الأبطال ؟ قال البحترى :

لم يَكُنْ قلبك الرقيق رقيقاً لا ولا وَجهُكَ المصونُ مصونا

وقوله إذا استكره الحديد وصلا : قال العكبرى : فيه نظر إلى قول لبيد :

أحكَمَ الجِنْثِيُّ من عَوْرَاتِها كلَّ حِرْبَاءٍ إذا أُكْرِهَ صَلّ (١)

(٣) خلفتها : رواها ابن جنى : غادرتها ، وهما بمعنى ؛ والغداة : البُكرة ، وهى مضافة إلى الجملة التى بعدها . والهام : الرؤس . والصوارم : السيوف ؛ وتفلى : من فليت رأسه ، إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلوّ عن

---

(١) الجنثى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أى ردّ الحرباء ـ وهو مسمار الدرع ـ من عوراتها السيف .

قَاسَمَتْكَ الْمَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْراً   جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلاَ (١)

أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول : أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرؤس تطلب بالسيوف في جميع الجهات كالفالى يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعد فى تفسيره تفلى بما قال؛ ولم هذا وقد جاء فى كتب أهل اللغة أنه يقال فلى رأسه بالسيف فليا: ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بألسنةِ المنايا   وتَفْلى الهامَ بالبيضِ الذُّكور

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم فى الحرب والرؤس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالحتوف؟

(١) المنون : المنية ؛ ويجوز تذكيره وتأنيثه ، وقد يراد به الجمع ، وهو مايقصده المتنبي - كما يدل على ذلك البيت التالى - وجوراً : حال ؛ والقسم - بالكسر — الاسم من قسمه . يعزيه باخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك الموت شخصين — يعنى اختيه — فذهب باحداهما — الصغرى — وترك الأخرى — الكبرى — وكانت هذه المقاسمة جوراً - ظلماً - لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركك حياً ، وكانت المقاسمة معك فى الاختين . يعنى : إذا كنت أنت البقية فالجور عدل . هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى جعل القسم نفسه فيه عدلا؛ يعنى أن القسم جعل نفسه عدلا فى الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فآثرك بأفضل النصيبين ، لأنك أفضل المتقاسمين . ولنرجع إلى المنون فنقول ؛ قال علماء اللغة : المنون الموت لأنه يمن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل المنون : الدهر ، وجعله عدىّ بن زيد جمعاً فقال :

مَن رأيتَ المنونَ خلدْنَ أم مَنْ   ذا عليه مِن أن يُضامَ خَفيرُ

فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذْنَ بِمَا أَغْـــدَرْنَ سَرَّى عَنِ الفُؤَادِ وَسَلَّى (١)

وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى (٢)

وَلَعَمْرِي لَقَـدْ شَغَلْتَ المَنَايَا بِالأَعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبْنَ شُغْلاً (٣)

وَكَمِ انْتَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْـــرِ أَسِيراً وَبِالنَّوَالِ مُقِلاًّ (٤)

وهو يذكّر ويؤنث ، فمن أنث حمل على المنية ، ومن ذكّر حمل على الموت؛ قال أبو ذُؤَيب الهُذَلى :

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِـهِ تَتَوَجَّعُ وَالدَّهرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَن يَجزَعُ

وقد روى : وريبها حملا على المنية ، وقيل إنما أنث على معنى الدهور فردّه على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يَظهَروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسوّاهن » لأن الألف واللام فى الطفل بمعنى الاطفال ؛ والسماء : بمعنى السموات . وقال أبو العباس : المنون يحمل معناه على المنايا فيعبر بها عن الجمع ، وأنشد بيت عدى بن زيد : من رأيت المنون الخ أراد المنايا ، فلذلك جمع الفعل .

(١) أغدرن كغادرن: تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى؛ والضمير فى سرى وسلى : للقياس ، أو لما اغدرن . يقول : إذا قست الصغرى التى أخذتها المنية بالكبرى التى أبقتها لك وجدت فى ذلك ماتتعزى به لأنها أبقت لك أحبهما إليك .

(٢) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدّك : أى سعدك .

(٣) يقول : لقد شغلت المنايا بما تواصله فى أعدائك من القتل فى الحرب فكيف تطلب المنايا شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟

(٤) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال : العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لاناصر

عَدَّهَا نُصْرَةً عَلَيْــهِ فَلَمَّا ‌ ‌ صَالَ خَتْلاً رَآهُ أَدْرَكَ تَبْلاَ (١)

كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْلِيــهِ وَتَبْقَى فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى (٢)

وَلَقَـدْ رَامَكَ الْعُـدَاةُ كَمَا رَا ‌ ‌ مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا لِشَخْصِكَ ظِلاًّ (٣)

وَلَقَـدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضـاً ‌ ‌ مِنْ نُفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكْتَ كُلاًّ (٤)

له استنقذته من أسر الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بعطائك فأنقذته من أنياب الاقتار والفاقة .

(١) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة : أى عد نصرتك لهذين نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل : الغدر ؛ والتبل : الثأر . يقول : عد الدهر أفعالك ـ من انتياشك الأسير والمقل من يده ـ نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ اختك رأى نفسه قد أدرك ثأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٢) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأراً لأنك تبلى الدهر بقطعك أيامهُ وطول سلامتك وتبقى فى نعمة لا تمنى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى عليه غِيَر الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٣) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلا عن أن ينالوا خاصة نفسك ، والمعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٤) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت الكل بما أعطيت من السعد

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلٰكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحُكَ عُزْلَا (١)
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدْتَ مِنَ الْفَجْعَةِ طَعْنًا أَوْرَدْتَهُ الْخَيْلَ قُبْلَا (٢)

والإقبال فى الظفر بالأعداء ، يعنى أن سعده يقاتل أعداءه عنه ويؤتيه من الظفر بهم زيادة على مايطلب ؛ فقوله بالسعادة : متعلق برمت

(١) الرامحين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه . يقول : قارعَتْ رُمحَك رماحُ الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم ، فكأنك سلبت رماحهم وتركتهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطعن والاقتدار على التصرف فى الحرب.

(٢) وردت : استقبلت . والفجعة : المرة من فجعه : إذا أوجعه بعزيز لديه . والقبل : جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بأحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سوادالعين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل : بيّن القبل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه : قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل - وكان قد فرّ عن توبة يوم قتل - :

ولمّا أن رأيت الخيلَ قُبْلاً تبارِى بالخدُودِ شَبَا العوالِى (١)

يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعناً لدفعته عنك بالخيل والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألمّ بك من الرزية طعناً ومنازلة وقتالا

(١) بعده :

نسِيتَ وِصالهُ وصَدَدْتَ عنه كما صَدَّ الأزَبُّ عن الظِلال

« الأزب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كل ازب نفور ، لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نفر »

وَلَكَشَفْتَ ذَا الْحَنِينَ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَّفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى (١)
خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةَ ثُكْلَا (٢)
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْواً ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلَا (٣)

لأوردت ذلك الموطن خيلك قبلا مقدمة ولأقحمتها على الموت كل الإقحام .

(١) الحنين : مايجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول : ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذى تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين المتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ ، وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموجعة ، ولكن الموت لايدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(٢) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزواج ؛ والحمام : الموت . والثكل : فقد من يعزّ من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الثكل خطبة لها لأنها كانت بكراً : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المسماة بالثكل . وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا ؛ هذا إذا نصبت المسماة على أنها خبر كان ونصب ثكلا بالمسماة ، كما تقول ضربت المعطاة درهماً ؛ وإن رفعت المسماة فالمعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها ثكلا ، فتكون « ثكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لاترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخطاب .

(٣) الكفو والكفوء : المثل ؛ وبعلا – أى زوجاً – حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفواً لها من الناس تتزوج منه اختارت الموت بعلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت

وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى (١)
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَّا (٢)
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى (٣)
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا (٤)

الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هي تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذي يكفل صيانتها ويوفيها حق جلالتها .

(١) يقول : إن الحياة للذاذتها أنفس في نفوس ناسها وأشهى اليهم من أن تمل وتستكره ، لعله يريد أن يقول إن ذات الخدر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفو فتمتهن ، لا بغضاً في الحياة .

(٢) أفّ : كلمة يقولها المتضجر الكاره للشيء ، وهي بتثليث الفاء ، وبالتنوين وتركه . يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فان ذلك الضجر والملال إنما هو من ضعف الشيخوخة . لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس في الشبيبة والكبر . هذا : وقوله وإنما الضعف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم ، لأنه مقصور بإنما ، ولكن قدمه للضرورة .

(٣) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فاذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنغص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فاذا هما وليا وذهبا ولى العيش وذهب

(٤) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه ، فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الحلاج :

وَلَلْمَنْعُ خيرٌ مِن عطاءٍ مُكَدَّرِ

فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُوِرثُ الغَـمَّ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الوَجْدَ خِلاَّ (١)

وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الغَدْرِ لاَ تَحْـفَظُ عَهْداً وَلاَ تُتَمِّمُ وَصْلاَ (٢)

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفَكِّ اليَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى (٣)

وقال الأول :

الدهرُ آخِذُ ما أعطى مُكدِّرُ ما أصفى ومُفسِد ما أهوَى له بِيدِ

فلاَ يغرّنكَ مِن دَهرٍ عَطيّتُهُ فليس يَترك ما أعطى على أحدِ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا : وقد قال العلامة العكبرى النحوى الكوفى : «الدنيا» مرفوعة بتسترد عندنا، وبتهب عند البصريين لأنهم يعملون الثانى .

(١) هذا جواب التمنى فى قوله فياليت . وكفيته الشيء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة ـ بالضم والفتح ـ اسم بمعنى المسرة ، ويغادر : يترك ؛ والوجد : بمعنى الحزن ؛ والخل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحباً لمن فقده . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئا ، فلما فرح به واغتبط أخذه منه ، فكان أسفه عليه أكثر من اغتباطه به .

(٢) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة . يقول : وهى ـ أى الدنيا ـ مع غدرها بالناس ـ فلا تحفظ لأحد عهدا ولا تدوم على العهد ـ ورجوعها على ماتهب ، معشوقة محبوبة .

(٣) يسيل : صفة لدمع ؛ ومنها : متعلقة بيسيل ؛ وعليها : خبر كل ؛ والحرفان للتعليل . أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها : أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكى أسفاً على فوت شيء منها ولا يخلى الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يداه عنها بالموت .

شِيَمُ الغَانِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدْ ... رِى لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا (١)

يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرِّقَ مَحْيَاً ... وَمَمَاتَا نِيهِمِ وَعِزَّا وَذُلّاً (٢)

قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفَهَا أَنْـ ... ـتَ حُسَاماً بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى (٣)

فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِيَ بَذْلاً ... وَبِهِ أَفْنَتِ الْأَعَادِيَ قَتْلا (٤)

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْراً ... وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلاَ (٥)

---

(١) الشيم : الطبائع ؛ والغانيات : الحسان اللاتى غنين بحسنهن وجمالهن . وقوله لذا : أى ألذا ؟ فحذف الاستفهام . يقول : شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لايدمن على الوصل ولا يحفظن العهد ؛ وكذلك الدنيا ، ثم قال : ولست أدرى ألهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا ؟ وهذا من تجاهل العارف ، لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغوانى ، كما قال زهير :

وَما أَدرِى وَسوف إخالُ أدرى ... أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِسَاءُ

هو يدرى أنهم رجال ، ولكنه تجاهل هذا لأن فيه ضربا من الهزء بهم .

(٢) الورى : الخلق . والمحيا : الحياة . يقول : إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والعز والذل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه .

(٣) سيفها أنت : نعت لدولة ، وحساما : أى سيفاً قاطعاً ، مفعول قلد . يقول : إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الذائد عن بيضتها سيفاً قاطعاً حلاه بالمكارم ، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها .

(٤) أغنت وأفنت : أى الدولة ؛ وبذلا وقتلا : تمييز . والموالى : الأصدقاء والحلفاء . والأعادى : جمع أعداء ، جمع عدو ، يشدد ويخفف : أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلا ، وبه أفنت أعاديها قتلا ، فهو يحيى الموالى بماله ، ويميت الأعادى بسيفه ورجاله .

(٥) اهتز : ارتاح ؛ والوغى . الحرب ؛ والنصل : السيف ؛ أى إذا اهتز

وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْساً وَإِذَا الْأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلَا (١)

وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيبَةِ وَالطَّعْــنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى (٢)

للعطاء كان كالبحر فى كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف فى نفاذ عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجدب وقلة النبات فى الأرض لقلة المطر . والوبل : المطر الكثير؛ أى إذا أظلمت الأرض وأعتمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجدبت كان جوده كالسحاب المغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتغلو - من غلاء السعر - أى يعز وجودها . والجملة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غالياً عزيز المنال لصعوبة الموقف واشتداد الحال، وإذا كان الطعن غالياً كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم غيره على الطعن؛ وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قِيدَ رمح — أى مقدار رمح - فالدنو اليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب . وقال ابن جنى : يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو أيسر من الضرب ، لأن بُعد الطاعن عن عدوه أكثر من بُعد الضارب ، والرامى أبعد من الطاعن ، وقد رتبه زهير فقال :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطّعنوا ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وعبارة العكبرى : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يغلو ويشتد ، والضرب أغلى وأشد

أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعُقُولَ فَمَا تُدْ   رَكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلاَ (١)

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أَعْيَا   هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلاَّ (٢)

فَإِذَا مَا اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ   قَالَ لاَ زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلاَ (٣)

فدل على أن سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه، ويستخف ذلك بشدة بسه.

(١) بهره: غلبه؛ ووصفا: تمييز. وقوله فما تدرك: يروى بالتاء على الخطاب للممدوح، وبالياء عوداً على لفظ المنادى؛ والعقول: قال العكبرى بالنصب هو الأصل، وبالخفض تشبيهاً بالحسن الوجه. يقول: يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال فما يدرك وصفك أتعبت فكرى إذ لم يبلغك. فمهلا: أى ارفق. وعبارة العكبرى: أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه: مهلا على فكرى فقد أتعبته، ورفقاً بما أنظر فيك فقد أعجزته.

(٢) التعاطى: التناول. ويقال فلان يتعاطى كذا: إذاعنى به وتفرغ له؛ وأعياه: أعجزه. يقول: وكيف لايكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يقدر على التشبه بك لأن كرمك لاينال بالتكلف، ومن سلك طريقك ضل فيه؟ أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعد مذهبك واتساعه.

(٣) زلت: من الزوال. وقوله أو ترى: أى إلى أن ترى. يقول: إذا اشتهى أحد أن يدعو لك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك. لازلت - أى لامت - كما فى رواية - حتى ترى لك مثيلا، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد، لأنه لن يكون لك مثيل

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك فى جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة *

ذِى الْمَعَالِى فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى هٰكَذَا هٰكَذَا وَإِلاَّ فَلاَ لاَ (١)

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكايد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قصده وأنجدهم بأصناف من البلغر والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعُدد ، فركب سيف الدولة نافرا ؛ وانتقل إلى غير الموضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه . وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فنزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجمة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفا ، فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرسل . فنزل سيف الدولة بظاهره وأتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه فى حصنهم ،

(١) ذى : أى هذه اسم مبهم : يشار به إلى المؤنث كما يشار بذا إلى المذكر ؛ وهكذا : خبر عن محذوف : أى هكذا المعالى ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق ، عامله فليعلون : أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل : أى هكذا فليعلون ، وإلا هى «إن» الشرطية ، و«لا» النافية ، والشرط والمنفى محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر «لا» توكيدا .

شَرَفٌ يَنْطِحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـــهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْبَالاَ (١)

حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدَّ وْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالاَ (٢)

يقول: هذه المعالى التى تراها لك هى المعالى حقيقة، ومن تعالى فليعلون كما علوت، وإلا فليدع التعالى؛ وبعبارة أخرى يقول - مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة فى بداره إلى جيوش الروم وانهزامهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث - : هذه هى المعالى التى تؤثر والمكارم التى تخلد؛ فمن حاول التعالى، فلينهض بمثلها فهذا سبيلها، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها..

(١) شرف: مبتدأ محذوف الخبر: أى لك شرف؛ والروق: القرن. واستعار للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح، وهو معلوم أن القرنين فى الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام والمنعة، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله هكذا، بهذا البيت. يقول: لك شرف يزاحم النجوم فى العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقة، أو تقول: قد بلغت شرفاً باذخاً يمس أعلاه النجوم وعزاً راسخاً لو صادم الجبال لأقلقها وبقى راسخاً لا يتزعزع؛ أو تقول: وبلغت عزا تتقلقل الجبال هيبة له وإجلالا. قال الواحدى: ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ فى كل شىء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها.

(٢) قوله ابن السيوف: ذهب إلى مافى السيف من معنى المضاء والقهر: أى كلهم ملوك قاهرون. يقول: حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع؛ والحال: تذكر وتؤنث.

كُلَّمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيراً أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا (١)

فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الْأَرْضِ مَا تَحْـــمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا (٢)

---

(١) قال ابن جنى: أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياد سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير: أى لحقتهم وجاوزتهم. قال ابن فورجه: يقال أعجلته بمعنى استعجلته، فأما سبقته، فيقال فيه عجلته. يقول: كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم. أقول: وهذا كله تخبط من الشراح، وإنما النذير نذير سيف الدولة. يقول: كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى: قال: ويجوز أن يريد أن العدو كلما أعجلوا النذير بهم وبادروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة فى الأطراف والمتصرفين فى أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرتهم خيوله ولحقتهم جيوشه وأعجلتهم عن ذلك الأعجال فصرفتهم على أسوإ الأحوال. هذا: ويقال أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه، ومسيرا: منصوب بنزع الخافض: أى عن مسير؛ وكذا قوله الإعجالا ـ فى آخر البيت ـ والنذير: الذى ينذر أصحابه ويحذرهم

(٢) فأتتهم: أى الجياد؛ وخوارق: حال، وماتحمل ـ ويروى لاتحمل ـ حال أخرى. يقول: فأتتهم خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة. وعليها الأبطال مدججين بالسلاح. ويقال خرق الأرض يخرقها: أى قطعها حتى بلغ أقصاها؛ وفى التنزيل: «إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» وقد روى العكبرى «خوارق» بالرفع على أنها فاعل أتتهم؛ وليس بوجيه، وزاد على ذلك أن قال: خوارق الأرض: الخيل، لشدة وطئها؛ وهذا عمرك

خَافِيَاتِ الأَلْوانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْـعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعاً وَجِلَالَا (١)

حَالَفَتْهُ صُدُورُهَا وَالْعَوَالِي لَتَخُوضَنَّ دُونَهُ الأَهْوالَا (٢)

الله تخليط أى تخليط . وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها مسرعة . هذا : والحصر فى البيت - فى قوله ما تحمل إلا الحديد - لمجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد : أى المعروف بهوله وقوة بطشه .

(١) خافياتِ الألوانِ : حال أخرى ؛ والنقع : الغبار ؛ والجلال : جمع جل ، وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتتهم وقد خفى لونها فلا يعرف الأدهم من الكميت والاشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف ذلك الغبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكأن هذا المعنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملى :

يتعاورانِ من الغبار مُلاءةً دكناءَ مُحدَثةً هما نَسجاها (١)

قال العكبرى : وفيه نظر إلى قول عوف بن الخرع :

كأنّ الظِباء بها والنعا جَ يُكْسَينَ مِن رَازِقٍ شِعارَ (٢)

(٢) المحالفة : المعاهدة ؛ والعوالى : الرماح ؛ واللام - من قوله لتخوضن - للقسم . يقول : إن صدور خيله وعوالى رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال - والحروب دونه : أى تكفيه إياها ، كما قال :

فقد ضمنت له المُهجَ العوالى وحمّل همّه الخيلَ العتاقا

وقد روى ابن جنى لتخوضَن: لَيَخُوضُنّ ، ثم قال : طال الكلام بينى وبينه - أى المتنبي - فى قوله لَيَخُوضُنّ ، فقال — أى المتنبي — : هو مثل قولى: وقلنا

---

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكانا جَاسِياً وإذا السنابك أسهلت نشراها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب بيض من الكتان .

وَلَتَمْضِنْ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمْـــحُ مَدَارًا وَلَا الْحِصَانُ مَجَالًا (١)

السيوف هلمن - بضم الميم - . وذلك أنه لما وصفها بالمحالفة أجراها مُجرى من بعقل مثل الجماعة المذكرين ، ويؤيده قوله تعالى : « ياأيها النملُ ادْخلوا مساكنكم » ، وقوله « وَكلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحون » ، وقوله جل شأنه : « ورأيتهم لى ساجدين » ، كل هذا أجرى مجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كل ذى عقل يصح منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول فإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه مالا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح ، فإحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام . انتهى كلام ابن جنى مضافا اليه العكبرى .

(١) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفعل ماعجز عنه غيرها ؛ وقوله حيث لايجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لايجد فيها الرمح مداراً لشدة المجالدة ولا الحصان مجالا لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول : ولتمضين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء فى مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتمضن — لسكونها وسكون النون بعدها — ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكناً أن يقول : وليمضين - بالياء دون توكيد . هذا : والحصان : الفحل من الخيل ؛ والجمع : حُصُن ؛ وسمى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضُنَّ بمائه فلم يُنزَ إلا على كريمه ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه مُحرِز لفارسه ؛ والعرب تسمى الخيل حصونا . وسئل بعض الحكام عن رجل جعل مالا له فى الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها فى سبيل الله . ذهب إلى قول الجعفى :

لَا أَلُومُ ابْنَ لَاوُنٍ مَلِكَ الرُّو ــمِ وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالَا (١)

أَقْلَقَتْهُ بَنِيَّةٌ بَيْنَ أُذْنَيْــهِ وَبَانٍ بَغَى السَّمَاءَ فَنَالَا (٢)

كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنْــىُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذَالَا (٣)

يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْــغَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الآجَالَا (٤)

ولقدْ علمْتُ على توقّى الرّدى أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرى

(١) يقول : لا ألوم ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طالباً لِغِرّة سيف الدولة . ثم بين سبب عدم اللوم فيما يلى .

(٢) البنية : بمعنى المبنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه : صفة لبنية . وبغى : طلب . يقول : أقلقت ملك الروم هذه القلعة التى بناها سيف الدولة وهى من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه ، وأقلقه بانيها ـ يعنى سيف الدولة ـ الذى بغى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أى أن لملك الروم العذر فى محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إنزالها . والبنى : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين : والقذال : مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتى القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إنزالها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلا فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مض ملك الروم وغيظه .

(٤) فيها : أى فى نواحيها وجوانبها : أى يجمع هؤلاء ليهدمها بهم وتجمع أنت آجالهم إذ تأتيهم فتقتلهم .

وَتُوَافِيهِمِ بِهَا فِى الْقَنَا السُّمْـرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلَالَا (١)
قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَىْ يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا (٢)
وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَرْبِ حَتَّى تَرَكُوهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا (٣)
رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفُعَّا لَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا (٤)
وَقِسِىٍّ رُمِيتَ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِى قُلُوبِ الرُّمَاةِ عَنْكَ النِّصَالَا (٥)

---

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطر بين أرضين لم تمطرا . يقول : وتأتيهم بآجالهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المطورة .

(٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بعثوا سيف الدولة على اتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبوهم وأخذوا معهم ماتركوه من السلاح وحاربوهم مستعينين على قتالهم به .

(٤) الفعال هنا : هم الروم الذى جلبوا آلات الحرب ، وفعلهم حملهم إلى القلعة المكايد والآلات ، وهم — الروم — غير محمودين لأنهم أعداء المسلمين ، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عونا عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب

أَخَذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْـلَ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِرْسَالَا (١)
وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلَا (٢)
مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَا (٣)

قسى تُرمى عنها السهام فترتد على راميها . يريد السلاح الذى حمله الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهام عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم . قال ابن وكيع - وانت تعلم تجنى هذا ابن وكيع دائما على المتنبي - : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا - أُمَيمَ - أَخِي فإذا رَمَيتُ يصيبنى سهمى (١)

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك .

(١) يقول : أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطأت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف

قصدُو هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ

(٢) الغوارب : أعالى الأمواج ، جمع غارب . والآل : ماتراه فى أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر المائج توافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحلوا أمام جيوشك فصاروا كالآل ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جلّ وعظم .

(٣) « ما » نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك

---

(١) أخى : مفعول قتلوا ؛

وَالَّذِى قَطَّعَ الرِّقَابَ مِنَ الضَّرْ ... بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الآمَالَا (١)

وَالثَّبَاتُ الَّذِى أَجَادُوا قَدِيمًا ... عَلَّمَ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَا (٢)

نَزَلُوا فِى مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا ... يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَا (٣)

تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْهَا ... مِ وَتُذْرِى عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالَا (٤)

قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائعك قلوبهم من الهيبة وأودعها من المخافة، حتى صار اسمك يهزم عساكرهم، وذكرك يثنى عزائمهم .

(١) يقول : أن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٢) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : أن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يغن عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يحل بهم ما حل بالذين سبقوهم . قال الواحدى : يريد بهذه الأبيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم، فيكون هذا أمدح له .

(٣) يقول : نزلوا فى الأماكن التى قتلت فيها أقرباؤهم فلما نظروا اليها عرفوها فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال فى أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم مايشبهها ؛ والمصارع : جمع مصرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .

(٤) الأوصال : جمع وُصل ـ بالضم والكسر ـ وهو العضو . والهام : الرؤس . وتذرى : تنثر وتفرق . تقول ذرا يذرو، وذرا يذرى، وأذرى يذرى، يريد : لم يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لاتزال

تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا وَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالَا (١)
أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِى الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالَا (٢)
وَإِذَا حَاوَلَتْ طِعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ الْقَنَا أَمْيَالَا (٣)

باقية هناك تحملها الريح وتلقيها عليهم فيفزعهم ذلك فينزعجون ويهربون .

(١) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الاقامة بها إذ تريهم لكل عضو منهم عضواً من المقتولين . قال العكبرى : ويجوز أن يكون الضمير فى تنذر للأوصال ، قال : والمعنى تنذر الأوصال الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها فى مثل حالها وتريه لكل عضو من أعضائها مثالا شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على الروم عند بنائه الحدث وقد وصفها فى قوله :

* على قدر أهل العَزم تأتى العَزائمُ *

ولم تكن ببعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين.

(٢) فى القلوب: صلة الطعن؛ ودراكا :متتابعاً . وخيالا:متخيلا، وهما حالان من الطعن ؛ وفى البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن فى القلوب دراكا خيالا قبل أن يبصروا الرماح ، يعنى ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ماصنعت بهم قديماً رأوا الطعن متداركا متتابعاً فى قلوبهم تخيلا قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب التبريزى : اعتبر المتأخرون ـ أى من الروم ـ بالمتقدمين ـ منهم ـ فكأنهم تخيلوا الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح .

(٣) القنا : عيدان الرماح، والخيل . يريد بها الفرسان . يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعبُ وشدةُ الخوف أن

بَسَطَ الرُّعْبُ فى اليَمِينِ يَمِينًا ... فَتَوَلَّوْا وَفى الشِّمَالِ شِمَالاَ (١)

يَنفضُ الرَّوْعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدرى ... أَسُيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَغلاَلاَ (٢)

وَوُجُوهًا أَخافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ ... تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالجَمَالاَ (٣)

الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال؛ ومن غريب التفاسير ماذهب اليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان، قال: والمعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوها فرأوا اذرعها أميالا؛ أى أنها تثقل عليهم جبنا وخوفا منك.

(١) يعنى أن الرعب — الخوف — شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه فى ميمنة جيشهم وشماله فى ميسرته فتولوا هاربين. وقال ابن الأفليلى المعنى بسط الرعب فى أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر:

إنا وَجَدْنا بَنِى جُلاَنَ كلَّهُمُ ... كَساعِدِ الضَّبِّ لا طُولٌ وَلا قِصَر

(٢) الروع: الخوف والفزع؛ والأغلال: جمع غل، القيد. يقول: أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التى فى أيديهم أغلال لها. وعبارة بعض الشراح: يرعش الخوف أيديهم فصارت فى قلة الغناء — وإن كان فيها سيف — بمنزلة الأيدى المغلولة. وعبارة العكبرى: ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط، ويسلبهم أياه الذعر فيذهب، حتى كأن سيوفهم فى أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير فى الفرزدق:

ضَرَبتَ بِهِ عِندَ الإمامِ فأُرْعِشَت ... يَداكَ فقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارِمِ

(٣) وجوها: عطف على أيديا — من جهة اللفظ، لا من جهة المعنى — لأنه لا يريد ينفض وجوها: والمعنى يغير وجوها: أى يغير ألوانها بأن يورثها صفرة، فهو من باب:

وَالعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالَا (١)
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا (٢)
أَقْسَمُوا لَا رَأَوْكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرِّجَالَا (٣)

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتقع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نضير، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال، فالحسن والجمال لوجهك. لا لها، إذ سلبها الخوف حسنها فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونضرتك.

(١) يقول: كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعاينوا قصورهم عنك. فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم، وانتقل ذلك المراد الذى كانوا يريدونه من محاربتك.

(٢) هذا كما تقول العرب فى أمثالها :

* كل مُجْرٍ فى الخلاء يُسَرّ *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه، فإذا قاربه مثله ذهب سروره. يقول المتنبى: ان الجبان — والجبان ضد الشجاع — إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة، ويظن عنده غناء ويطلب الطعان والمنازلة، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك. وقوله وحده: فى موضع نصب على الحال؛ أى منفردا. والنزال فى الحرب: أن يتنازل الفريقان. وفى المحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا، ونَزَالِ مثل قَطامِ، بمعنى انزل، وهو معدول عن المنازلة. ولهذا أنثه زهير فى قوله :

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتَ إذا دُعِيَتْ نَزالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ

(٣) إلا بقلب: أى إلا والقلب معهم و«ما» من قوله «طالما»: مصدرية،

أيُّ عَيْنٍ تَأمَّلَتْكَ فَلاقَتْـكَ وَطَرْفٍ رَنَا إلَيْكَ فَآلَا (١)

والجملة استئناف. يقول: حلفوا ليحضرن عقولهم وليعملن أفكارهم فى قتالك، ثم قال: طالما غرت العيون الرجال: أى كذبهم عنك كثيرا ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن فى مكنتهم محاربتك؛ أو تقول: لما امتحنوا بأسك وعاينوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم فى مقاومتك، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب: أى صاروا يرجعون فى الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم. قال الواحدى: ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى، لأن قوله غرت العيون: أى قبل التجربة، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة.

(١) لاقتك: من اللقاء؛ والطرف: العين؛ ورنا إليه يرنو رنوا: إذا أدام النظر؛ وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت؛ وآل: رجع. يقول: إن العين التى تأملتك لا يجترئ صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك، وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا؛ وهنا يقول الواحدى: هذا متناقض الظاهر، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه فى المصراع الأول، وأنكر فى الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص، ثم قال: لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء: فعين العدو لا تديم النظر إليه هيبة له، وعين الولى تتحير فيه وتبقى شاخصة، فلا ترجع إلى صاحبها. وقال فى لاقتك: إنه من لاق الشىء وألاقه إذا أمسكه، ثم قال: وهذا مما لم يتكلم فيه أحد من الشراح... وما أظرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا، قال العكبرى: وصدق الواحدى فى قوله، لأن أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا... ولنعد بعد هذا إلى «رنا»؛ قال الجوهرى: يقال أرنانى حسن

مَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِى أَخْذِكَ الْجَيْـــشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالَا[1]

ما رأيت . أى حملى على الرنو، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رَنوناة أى دائمة على الشرب ساكنة ووزنها فعَلعَلة ؛ قال ابن أحمر :

مدتْ عَليهِ المُلكَ أطنابَها   كأس رَنوناة وطِرفُ طِمِرّ[1]

(١) اللعين : يعنى ملك الروم . والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجاهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعثه إليك تغنمه وتأتى عليه لامحالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها

---

(١) قبل البيت :

إنّ امرأَ القيسِ على عهدِهِ   فى إرثِ ما كانَ أبوهُ حُجُرْ

وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بُكرَةً   تزعُمُ أنى بالصِبا مُشتهِرْ

وإنما العَيشُ بِرُبَّانِهِ   وأنت من أفنانه مُقتفِرْ

ومنها :

إنّ الفتى يُقتِرُ بَعد الغِنَى   ويَغتنِى من بعد ما يفتقِرْ

والحىُّ كالميْتِ ويبقى التقى   والعيشُ فنانِ : فحلوٌ ومُرّ

قوله : وإنما العيش الخ : يريد أن عاذلته قالت له قد شهرت بالصبا وأنت مسن به ، وإنما الصبا والعيش باوله وجدته أزمان أنت من أفنانه — أى من نواحيه واحدها فنن — مقتفر : أى واجد ماطلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتفر آثارها : أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ : أراد مدت كأس رنوناة عليه اطناب الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطنابها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظره .

مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِى الْأَرْ ضِ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَا الْهِلَالَا (١)

إِنَّ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْلَطًا مِزْيَالَا (٢)

ولتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هَدَى

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمى : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهـذا الذى ينصب فى الأرض حبالة ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهـذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهـذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تناله يد وأن من يبعث إليـه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحبالة ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم ، ولـكنه هنا موضع بعينه ، والأحدب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلاط مزيال : يخالط الأمور ثم يزايلها ـ أى يفارقها ـ إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الغارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزيالا لا تلحقه ، قال أبو دواد الايادى :

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ أجولىٌّ ذو مَيْعَة إضريجُ (١)

ويريد بالتى على الدرب والأحدب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن

---

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والاضريج : الجواد الشديد العدو — الجرى —

غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا ... فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالاَ (١)

فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعَرُوسِ اخْتِيَالاً ... وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلاَلاَ (٢)

دون الوصول اليها رجلا هذه صفته ، يعني سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول اليها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها يحمى حريمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاده ، فهو يثق بما يحميها من هيبته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال. يقول : إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبناها ، فكانت خالا فى وجنة الدهر ، فكأن الدهر تزين بها كما يتزين الوجه بالخال. وقال الواحدى: يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ، ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مُزَرِّد بن ضِرَار أخى الشماخ :

فَمَنْ أَرْمِهِ مِنْهَا بِسَهْمٍ يَلُحْ بِهِ ... كَشَامَةِ وَجْهٍ لَيْسَ لِلشَّامِ غَاسِلُ

وعبارة العكبرى : يقول إنه بناها فى وجه الدهر كالخال الذى يتزين به الوجه مع مخالفته للونه ويحسنه مع ماثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكأن الدهر زين بها وجهه ووسم برفعتها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو والتكبر وتثنى — بحذف إحدى التاءين — أى تتثنى. والدلال : الشكل والغنج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تريه جراءةً عليه فى تغنج

وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَّرِدِ الأَكْـعُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ وَالأَوْجَالَا (١)

وَظُبًى تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلَالَا (٢)

وتشكل كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف ؛ لمّا شبهها بالعروس — لحسنها — جعلها تمشى اختيالا وتثنى دلالا . يقول : لو كانت هذه القلعة تمشى لاختالت فى مشيها عزة وتكبراً ولتدللت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء ، والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(١) المطرد : المتصل الذى لاعوج فيه . والأكعب : العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال : المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفزع . يقول : ذاد العدو عنها بالرماح فحماها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٢) وظبي : عطف على كل — فى البيت السابق — والظبي : جمع ظبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكماةُ تنحّوا أن ينالهمُ حدُّ الظباةِ وَصلناها بأيدينا

وأصل الظبة : ظُبَوٌ — بوزن صُرَدٌ — فحذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظباةٌ وظِبون . يقول : وحماها بسيوف لايقتل بها إلا من حل دمه ، يعنى الروم وأشباههم من المعادين ، ونسبة التمييز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز ، إذ الذى يميز بينهما فى الحقيقة هم أصحاب السيوف . وقال ابن جنى : هذا مثل ضربه : أى سيوفه معودة الضرب ، فهى تعرف — بالدربة — الحلال من الحرام ، وقد ردّ عليه ابن فورجه قال : العادة والدربة ليستا مما يعرف به الحلال والحرام من الناس . فكيف فيما لايعقل ؟ وإنما يعنى المتنبي أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

فِي خَمِيسٍ مِنَ الأُسْودِ بَئِيسٍ ... يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَالأَمْوَالا (١)
إِنَّمَا أَنْفُسُ الأَنِيسِ سِبَاعٌ ... يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالا (٢)
مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلَابًا ... وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالا (٣)
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى ... أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالا (٤)

---

(١) الخميس : الجيش العظيم . سمى بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق . وقيل لأنه يخمس مايجد : أى يأخذه . والبئيس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموالا : أى وينتهبن الأموال ، فهو من باب « علفتها تبناً وماءاً بارداً » كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس - الذى معناه المؤانس - الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالخديعة أو اخذ الإنسان من حيث لايدرى ، جعل الناس كالسباع - وهى الحيوانات المفترسة - لوجود الافتراس منهم فى الحالين ، مجاهرين ومغتالين ، والبيتان التاليان تأكيد لهذا .

(٣) غلابا : مغالبة . والاغتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : الغلبة طبع الحياة ؛ والمسألة طبع الموت ، والنفس لاتحب الموت ، فلذلك تحب أخذ الشىء بالغلبة .

(٤) غاد - فى الأصل - ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهاب ، أى وقت كان ؛ والغضنفر والرئبال : من أسماء الأسد ، وجعل الرئبال وصفا للغضنفر مبالغة كأنه قال الأسد الشديد . يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأساً وقوة ليتناول مايريده بيأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدى سيف الدولة أنفا ومكارهة وإنما

« وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته كافوراً ، فقال : يمدحه وكتب بها اليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَارَسُولُ   أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتْبُولُ (١)

كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا   غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ (٢)

أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا   هَا وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ (٣)

كان فراقهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

(١) كلناجو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى: الذى أصابه الجوى ، وهو الحرقة فى القلب من حزن أو عشق . والمتبول : الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ يتهم رسوله الذى أرسله إلى الحبيبة بمشاركته إياه فى حبها . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو بحبها فأنا الوامق العاشق ،وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك، فما لك تشبهنى فيما ألقاه وأقاسيه .

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن بحبها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدى من الرسالة إلى منها وإليها منى .

(٣) الضمير فى قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد . يقول : أفسدت علىّ عيناها بسحرهما أمانة الرسول حتى ترك الأمانة فى الرسالة حباً لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها . قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لاتصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر اليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ، وهذا كقوله :

تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْ ... قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ (١)

وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ... فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ (٢)

وما هى إلاّ لحظة بعدَ لحظة ... إذا نزلَتْ فى قلبِهِ رحلَ العقلُ

(١) قوله من ألم الشوق: يروى من طرب الشوق؛ والطرب: خفة تحدث عند الفرح والحزن. يقول: إن الحبيبة تشكو من الشوق إلىّ مثل ما أشكو اليها، ثم كنى عن تكذيبها فى تلك الشكوى فقال: والشوق حيث النحول، يعنى أن للشوق دليلا من النحول، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا، يعنى أن نحولى يدل على شوق، أما أنت فلا نحول، وبالحرى: لاشوق. وقال ابن الأفليلى: الضمير فى « تشتكى » الرسول، يقول لرسوله — وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره، وليس كذلك، وإنما الشوق على حقيقته النحول، قال بعض الشراح: والاظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الاظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن يبوح له بهواها: أى أرى بك من الشوق اليها مثل مابى لأنك ناحل والنحول يدل على الشوق. وهذا كالاثبات لما يتهمه به من حبها. هذا: وقوله حيث النحول: فالنحول مبتدأ، خبره محذوف، تقديره موجود، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(٢) خامر: خالط ولابس؛ والصب: العاشق؛ والبيت: تأكيد للبيت السابق: أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق. وعبارة العكبرى: إذا خالط قلب محب هوى من يحبه فملكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله، وبين من تشتت باله، دليل لكل عين على مايضمره، ومخبر على مايجنه ويستره.

زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَادَا مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ (١)

وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِي هٰذِهِ الدُّنْـيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ (٢)

مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَا شَاقَهُ القُطَّا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ (٣)

---

(١) مادام ههنا تامة بمعنى ماثبت، وتحول تتغير وتتبدل ،أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة، ومتعينا بالنظر اليه غير مخيبة، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول، ويتبدل جمالها ويزول ، لأن الشبيبة يتلوها الكبر، والاقبال يعقبه التغير والهرم .

(٢) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمى بمعنى الاقامة ،وقالوا المقام - بالضم والفتح - كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذ جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لأنه مشبه ببنات الأربع نحو دَحرَجَ ، وهذا مُدَحرَجُنا وقوله تعالى « لامَقامَ لكم » أى لاموضع لكم ؛ وقرىء «لا مُقام لكم» - بالضم - أى لاإقامة لكم « وَحَسُنَتْ مُسْتَقَراً ومُقاما » : أى موضعاً ، وقول لبيد :

عَفَتِ الديارُ مَحلها فَمُقامُها بِمِنىً تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها (١)

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل « كم تَرَكوا مِن جنات وعُيونٍ ، وَزُرُوعٍ ومَقام كريم » قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة .

(٣) بعينها : أى بعين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحمول المرتحلون المتحملون . يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى ينبغى أن ينظر

---

(١) محلها : أى ماحل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ما طالت الإقامة به ، ومنى: هنا موضع غير منى الحرم ، وتأبد توحش ؛ والغول والرجام جبلان ،والضمير فيهما: للديار

إنْ تَرَيْنِي أَدْمتُ بعدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ القَنَاةِ الذُّبُولُ (١)

بها الهارقّ للباقين لقلة مقامهم ووشك فراقهم رقته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها تيقن أن أهلها راحلون — لامحالة — فلم يجد بين المقيم والراحل فرقا ، فهذا يشوقه : أى يستدعى رقته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملهما ، وقد كنى عن الرقة بالشوق لأن الشوق رقة القلب. وعبارة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخليتها والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صوّر نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة فراقها : شاقه النظر اليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين . وقد فسرنا الحمول بالمتحملين الراحلين ، ولكن الحمول فى الأصل: الإبل عليها الهوادج والأثقال، وهى أيضاً الهوادج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحمول أيضاً على النساء المتحملات كقول مُعَقِّر :

أَمِنْ آلِ شَعْثَاءَ الحُمُولُ البواكرُ مَعَ الصُّبحِ قد زَالتْ بِهِنَّ الأباعرُ

وإذا أبقيت الحمول على معنى الإبل عليها الهوادج ، أو الهوادج ، كان الكلام على حذف مضاف: أى ذوو الحمول .

(١) أدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة ، ويقال أَدِمَ وأَدُمَ بكسر الدال وضمها . والقناة : عود الرمح ؛ والذبول اليبس والدقة . يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد بياض الوجه ، فليس ذلك بعاب فىّ ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فانه محمود فيها ، لأنه آية صلابتها ، كما قال أبو تمام :

لانَتْ مَهزّته فَعزّ وإنما يَشْتدُّ رَأسُ الرُّمحِ حِينَ يَلِين

وعبارة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد بياضه ونضرته : أى تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار

صَحِبَتْنِي عَلَى الْفَلَاةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ (١)
سَتَرَتْكِ الْحِجَالُ عَنْهَا وَلٰكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ (٢)
مِثْلُهَا أَنْتِ لَوَّحَتْنِي وَأَسْقَمْـ ـتِ وَزَادَتْ أَبْهَاكُمَا الْعُطْبُولُ (٣)

وتقلبت فيه من الأحوال ، وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه، وتدل ذبولته على صلابته وصدقه .

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوعها يتجدد ، فهى بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها، كبرا، والشمس من عادتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتنى على الفلاة التى قطعتها فى سيرى والأسباب التى عاينتها وتجشمتها فتاة لا يهرم شخصها ولا ينتقص حسنها ، عادتها فى الألوان أن تبدلها وتنقلها إلى الأدمة ـ السمرة ـ وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر: الأزلمَ الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناه فهو أبداً جذع لا يُسن .

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهى الستر وبيت العروس . واللمى : سمرة فى الشفة . يقول : ـ لمحبوبته ـ سترتك الحجال عن هذه الفتاة ـ الشمس ـ التى غيرت لونى : لأنك فى كن منها لا يصيبك حرها ، ولكن بك منها تقبيل لما فى شفتيك من الادمة ــ السمرة — كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمى الذى فى شفتيك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن فى شفتيك سواداً من قبيل السواد الذى تُحدثه حتى لكأنها قبلت فاك فأثرت فى موضع التقبيل ،

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتنى : غيرت لونى ؛ وأسقمت: أرادوأسقمتنى ؛ وأبهاكما: من البهاء وهو الحسن. والعطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والعطبول: بيان لأبهاكما . يقول : أنت مثل الشمس فى

نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ   أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ (١)

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ   وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ (٢)

تغيير جسمى فهى لوحتنى وسفعتنى وغيرت لونى وأنت أسقمت جسمى، وزادت تأثيراً فىّ أبهاكما التى هى العطبول، وهى أنت. وعبارة بعض الشراح: أنت مماثلة لها بحسنك وغير بعيدة منها فى فعلك، وكلاكما له فى جسمى فعل غيّره وتأثير بدّله؛ فالشمس لوحته وأنت أسقمته وأذهبت نضرته وأنحلته، وزدت أنت فى قوة التأثير، وأفرطت فيما أوجبته من التغيير. وهذا إشارة إلى أن محبوبته بزيادتها على الشمس فى حسنها زادت عليها فى فعلها.

(١) يقول: كنا أعلم بمقدار الطريق ولكننا سألنا تعللا بذكر الطريق اليه — كما قال فى البيت التالى — فان الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه، كما قال بشر بن أبى خازم:

أسائلُ صَاحِبي وَلقدْ أرَانى   بصيراً بالظعَائِنِ حَيث صَاروا

وكما قال الآخر:

وَخبرَنى عَن مجالس كنتَ زَينه   بحضرَةِ قوم والملاءُ شهُود

فقلتُ لهُ كرِّرِ الحديثَ الذى مَضَى   وذكرُكَ مِن كرِّ الحديث أريد

أناشِدهُ إلا أعادَ حَديثَه   كأنى بَطِيء الفَهم حِين يُعيد

ورواية ابن جنى:

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا فى الحقيقة أم يطول من الشوق؟

(٢) علله بالشىء: لهاه به. يقول: إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق، وكثيراً من رد السؤال يكون تطيباً للسائل، يريد أن الذى

لَا أَقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا   بَ وَلَا يُمْكِنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ (١)

حملنى على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلل به عن طول الطريق .

(١) لاأقمنا : معناه لم نقم ، كقوله تعالى «فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى» . يقول : لم نقم فى الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك المكان لئلا يؤخرنا عن الوصول، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذى نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبرى : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أى لا نقيم ألبتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى نلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم فى مكان وإن طاب ، وقيـــل نفى النفى إثبات فى كلام العرب ، فكأنه قال: لا نقيم فى مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

بِأَيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ   وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ (١)

قيل معناه لم يشيموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفى البيت معنى آخر ، وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشىء ، والمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشيموا ولم تكثر القتلى : أى كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلِيتُ مِنِّى هُذَيْلٌ بِخَرْقٍ   لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا (٢)

---

(١) لم يشيموا سيوفهم ـ هنا ـ لم يغمدوها ، قال ابن برى : الواو فى قوله «ولم» واو الحال : أى لم يغمدوها ، والقتلى بها لم تكثر، وإنما يغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) الخرق : النار ؛ وصلى بالنار : قاسى حرها ؛ والمراد : لاقت منى شدة .

. . . .

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء فى الحديث «إن الله لا يملُّ حتى تَملوا»(١) معناه لا يجازيكم جزاء الملل وإن مللتم ؛ وجاء فى الحديث «وإن صُهَيباً لو لم يَخَف الله لم يَعصِه»(٢) معناه لو لم يخف : أى أمن ، فكأنه قيل لو أمن الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نفى النفى إيجاب فيكون التقدير : إن صهيباً لو أمن الله ما عصاه : أى لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أى لم يعصه أبداً ، وفيه معنى آخر ، وهو أن «لو» فى الكلام تدل على امتناع الشىء لامتناع غيره ، فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أى لما خاف لم يعص . والمعنى الأول وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو أمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان

---

(١) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » قيل معناه : إن الله لا يملّ أبداً : مللتم أو لم تملوا ؛ فجرى مجرى قولهم : حتى يشيب الغراب ويبيض القار ؛ وقيل معناه . إنّ الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا فى الرغبة اليه ، فسمى الفعلين مللا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب فى وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه ، نحو قول عدى بن زيد :

ثم أضحوا لعِبَ الدهرُ بهم ... وكذاك الدهرُ يودِى بالرجال

فجعل اهلاكه إياهم لعباً ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله ، فسمى فعل الله مللا على طريق الازدواج فى الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ، وقوله «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه» ، وهو باب واسع فى العربية كثير فى القرآن .

(٢) هو صهيب بن سنان : مولى عبدالله بن جدعان التيمى ، صحابى ، من ولد النمر ابن قاسط .

كُلَّمَا رَحَّبَتْ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا ... حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ (١)

فِيكِ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا ... وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ (٢)

وَالْمُسَمَّوْنَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ ... وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ

أَلَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا ... وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ (٣)

امتنع من أجل الخوف . . . وقال الواحدى: قوله لا أقمنا : يجوز أن يكون على الدعاء ، كما تقول : لافضّ الله فاك ، وقال ابن جنى : يجوز أن يكون على القسم : أى والله لا أقمنا ، وقالا تعليقاً على قوله ولا يمكن المكان الرحيل: أى لو أمكنه لارتحل معنا شوقاً إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقلنا له لا نقيم عندك، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت الممر فلا نقدر أن نقيم عندك وإن كنت طيباً ؛ ورحب به : قال له مرحباً ؛ والروض : جمع روضة ، المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل ؛ والمطايا : الإبل . والضمير فى « إليها » لحلب . والوجيف: ضرب من سير الخيل سريع؛ والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول ـ مخاطباً الروض ـ : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين .

(٣) زلت عنه : فارقته . يقول : الذى سافرت عنه شرقا وغرباً ولم يفارقنى عطاؤه فهو مقابلى حيثما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده العراق ـ كما تقدم ـ وهذا مثل قوله فيه :

وَمَن فرّ مِن إحسانِهِ حسداً لهُ ... تلقاه منه حيثما سار نائل

وَمَعِي أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوَجْهِي كَفِيلُ(١)

وَإِذَا الْعَذْلُ فِي النَّدَى زَارَ سَمْعاً فَفِدَاهُ الْعَذُولُ وَالْمَعْذُولُ(٢)

---

(١) الوجه : ما توجهت إليه ؛ والضمير فى « له » للندى . والكفيل : الضامن . يقول : ونداه معى فى أىّ طريق سلكته ، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه فى وجهى : أى أمامى ، وهذا فيمن يعدى « كفل » بنفسه ، فتكون اللام من له « للتقوية » والباء بمعنى فى ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة : به لوجهى : أى كأن كل جهة كافلة لوجهى بلقاء نداه . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجها إلا واجهه جوده ، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداه بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداه يرينيه ويأتينى به ، والقلب شائع فى الكلام كثير فى الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداه ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشترك فيها يستوى المعنى فى إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيداً ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفليلى : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمنى له بكثرة الحض عليه .

(٢) العذل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العذل على الجود ، أما غيره فانه يسمع . يقول : إذا عذل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه ففداء هذا الممدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عذل فى جوده فسمعه أو ردّه لأنك فوقه جوداً . وعبارة بعض الشراح : أى فداه كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معذول ؛ لأنه فوقه فى الجود .

وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمِ مِنْ يَدَيْهِ نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ (١)

فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ (٢)

كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوٍّ قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هٰذِى السُّيُولُ (٣)

---

(١) وموال : عطف على العذول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول : وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواليه يستخدمون نعمه فى قتل أعدائه ، وقد بيّن تلك النعم فى البيت التالى؛ وعبارة العكبرى : وفداه موال شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ماغيرهم من أعاديه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء؛ فالموالى: الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى هنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٢) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابح » بدل « سابق » ؛ والسابح: السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة الملساء . والزغف : اللينة المحكمة النسج . يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير عونا لهم على قتل أعدائه ؛ قال العكبرى : فهو معنى قوله: غيرهم بها مقتول: فبين مايهبه بأنه من الخيل والسلاح، مما يؤذن للذى يهبه له بمقارعة الأعداء؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(٣) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغيوث : الأمطار : وهذى السيول: مبتدأ وخبر ؛ والجملة :مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواليه ديار عدو صباحا للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثا بالإضافة إلى السيول ؛ يريد كثرة مواليه . وقال

دَهِمَتْهُ تُطَايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْـكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ [1]

تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْـشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ [2]

وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوْ لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ [3]

ابن جنى : هذا مثل ، وعنى بالغيوث : سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواليه ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث، وكذلك مواليه به قدروا وعزوا .

(١) دهمته : فاجأته، والهاء : للعدو . والزرد : حلق الدرع ؛ والمحكم : الموثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدروع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٢) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيل : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين . يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش؛ والقليل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كفيل له بذلك .

(٣) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محـذوف يفسره المذكور بعده ؛ والهول : الفزع ؛ والتهويل : التفزيع ؛ والضمير فى أنه : للهول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينيه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعنى أنه لا يفزعه شىء يراه ، فكأن الهول يقول له : لا يهولنك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بما يرى من أهوالها، فكأن الهول يظهر لعينيه فى صورة التهويل ؛ يعنى أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . ويروى بدل «أنه» أنها ، فيكون الضمير للحرب .

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ (١)
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَمِيلُ (٢)
لَيْسَ إِلَّاكَ يَاعَلِيُّ هُمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ (٣)
كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ (٤)
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ (٥)

---

(١) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان.

(٢) ثناه : يروى نثاه ؛ والنثا : الخبر ، وهو ما ينثى — أى ينثر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء . يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل . وعبارة العكبرى : إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذى يفارقه من طيب خَبَره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم وذكر كريم لا يفقد.

(٣) الهمام : الملك العظيم . يقول : ليس أحد من الملوك يقى عرضه بسيفه غيرك : أى أنت الشجاع دونهم . هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير المتصل فى موضع المنفصل وهو جائز فى ضرورة الشعر .

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش ما بين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة ، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر . يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت فى وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لاستبيحت تلك الديار .

(٥) تحرفت : انحرفت وملت . والسدر : شجر النبق . يقول : لو ملت

وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ ... فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ (١)

أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ ... فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ (٢)

وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ ... فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ (٣)

عن طريق الروم لساروا فأوغلوا فى ديار العرب دون أن يقف فى طريقهم أحد حتى يربطوا خيولهم بالسدر والنخيل التى بالعراق ومصر ؛ يعنى : لولا ذودك عن هذه الممالك لملكتها الأعداء ، يريد بهذا : الغض ممن بالعراق ومصر من الملوك والرفع من شأن سيف الدولة . هذا : وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً ، لأنها هى الممسكة إذا ربطت الخيل إليها ، فكأنها ربطتها ، وهذا كما تقول أحلنى بلد كذا : أى حللت فيه ؛ وعبارة ابن جنى : هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه . وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو نحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تَرَكُوا جَارَهُمْ يَأْكُلُهُ ... ضَبُعُ الوادى ويَرميه الشجَرْ

(١) درى : عطف على ربط ؛ وفيهما : أى فى العراق ومصر . يقول : ولو تحرفت عن طريق الأعادى لعلم من أعزه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر ـ يعنى كافوراً وآل بويه ـ أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه ، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلا .

(٢) أن يكون : أى بأن يكون ـ أى يحصل ـ القفول أى الرجوع ؛ فيكون : تامة . يشير إلى أن غزواته لا تنقطع .

(٣) سوى : استثناء مقدم ؛ وخلف ظهرك روم : مبتدأ وخبر . أى أن خلف ظهرك روما سوى الروم ـ يريد آل بويه ـ أى أن هناك أعداء لك كالروم ، فليس أعداؤك الروم حسب ، وإنما أعداؤك كثير فأيهم تقاتل ؟

قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيـــكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ (١)

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ (٢)

لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ (٣)

نغص البعد عنكَ قُرْبَ الْعَطَايَا مُرْتَعِي مُخْصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلُ (٤)

إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ (٥)

مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتَ لِي أَلْفُ كَافُو رٍ وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ وَنِيلُ (٦)

---

(١) المساعى: جمع مسعاة، المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود. والقنا: الرماح. والنصول: جمع نصل، حد السيف. يقول: لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك.

(٢) المنايا: جمع منية، وهى الموت. والشمول: الخمر. يقول: إن غيره من الملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر، أما هو فشغله الشاغل الحرب.

(٣) وزمانى الخ: حال. وبأن أراك: متعلق ببخيل. يقول: لا أرضى بأن يصل إلى عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك.

(٤) المرتع: المرعى؛ والتنغيص: التكدير؛ والهزيل: ضد السمين. يقول: أنا فى قرب عطائك منى وبعدى عنك كمن يرتع فى مكان مخصب وهو مع ذلك مهزول: أى لست أهنأ بعطائك مع البعد عن لقائك.

(٥) تبوأ المكان: نزل به، والنيل: العطاء؛ والمنيل: المعطى. يقول: إن عطاياه تتبعه حيثما سار، فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها.

(٦) يقول: إذا عشت وبقيت حيا كان لى من العبيد الذين تهبهم لى ألف عبد مثل كافور الذى رغبت عنه واجتويت البقاء فى جملته، وكان لى

مَا أُبَالِي إِذَا اتَّقَتْكَ الرَّزَايَا   مَنْ دَهَتْهُ حُبُولُهَا وَالْخُبُولُ (١)

وقال فى صباه وقد قيل له وهو فى المكتب ما أحسن هذه الوفرة:

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالْ (٢)

من نداك وجودك عوض من ريف مصر ونيلها اللذين بهما شرف بلده وفيهما بسطت يده.

(١) اتقتك: اجتنبتك؛ والرزايا: جمع رزية، وهى المصيبة؛ والحبول: الدواهى، جمع حبل - بكسر الحاء - أنشد المفضل:

فَيَا عَجَباً لِلْخَوْدِ تُبْدِى قِنَاعَهَا   تُرَأْرِئُ بالعينينِ لِلرَّجُلِ الحِبْلِ (١)

وقال الأخطل:

وكُنتُ سَلِيمَ القَلْبِ حتى أصابَنِى   مِنَ اللامِعاتِ الْمُبْرِقاتِ حُبول

وقال كثير:

فَلا تَعجَلِي يا عَز أنْ تَتفهمى   بِنُصحٍ أَتَى الواشون أم بِحُبول

والخبول: جمع خبل، مصدر خبله: إذا أفسد من أعضائه أو عقله، والخابل: الشيطان؛ والخابل: المفسد؛ والخابلان: الليل والنهار. لأنهما لا يأتيان على أحد إلا خبلاه بهرم؛ وفى الحديث «وبطانة لا تألوه خبالا»، أى لا تقصر فى إفساد أمره؛ وقالوا خَبْلٌ خابل: يذهبون إلى المبالغة، قال:

نُدَافِع قَوماً مُغْضَبِينَ عَليكم   فَعَلتمْ بِهِم خَبْلاً مِن الشرِّ خابِلا

يقول: إذا تخطتك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالى من أصابته دواهيه وآفاته، لأن أملى إنما هو معقود بك.

(٢) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس؛ والضفر: الشد، ويسمى ما يشد على الرأس من الذوائب: الضفائر، ومن سماها الضفر: فقد سمى بالمصدر.

---

(١) يقال رأرأت بعينها: إذا أدارتهما تغمز الرجل.

عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يَعُلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالْ (١)

وقال فى صباه :

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِذَلِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئًا مِنَ الْجَرْحَى سَلِيمًا مِنَ الْقَتْلِ (٢)

أَرَى مِنْ فِرِنْدِي قِطْعَةً فِي فِرِنْدِهِ وَجَوْدَةُ ضَرْبِ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ (٣)

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعنى بهذا أنه شجاع صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك تهويلا للعدو .

(١) على فتى : متعلق بمنشورة ـ فى البيت السابق ـ وهو عاب فى الشعر يسمى التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنكب القوس وتقلد السيف : إذا حمل كلا منها حمل مثلها ؛ ومعنى يعلها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافى السبال : أى يعلها من كل رجل تام السبلة وهى مااسترسل من مقدم اللحية . يقول : إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(٢) بريئاً وسليما : حالان ؛ ومحبى قيامى : منادى ؛ والنصل : السيف . يقول : يامن يحب مقامى وتركى الأسفار كيف أقيم ولم أجرح بنصلي أعدائى . وقال الواحدى : القيام هنا قيام إلى الشيء أو بالشيء . يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب أو بالحرب مالنصلكم لايقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لاتعينونى بالسيف إن أحببتم قيامى ؟

(٣) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرها ، معرب ، معناه مايستدل به على جودة الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرءوس ؛ والنصل : السيف يقول : أرى من قوتى ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِى الْخُضْرَةِ الَّتِى   أَرَتْكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِى مَدْرَجِ النَّمْلِ (١)

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِى بِمَا وَكَأَنَّهُ   فَمَا أَحَدٌ فَوْقِى وَلَا أَحَدٌ مِثْلِى (٢)

ومضاء كحدتى ومضائى، ثم قال إن جودة الضرب فى جودة الصقل : أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب ، وهذا تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف

(١) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والخصب ، استعارة من خضرة النبات ، والنبات إذا كان أخضر كان رطباً ناعماً . وقوله فى الخضرة الخ : يعنى خضرة السيف ، ويحمد من السيوف ما كان مشرباً خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنَّدٌ كَأَنَّمَا طَابِعُهُ   أَشْرَبَهُ بِالْهِنْدِبَاءِ الْهَنْدَبَا (١)

وقال البحترى :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةُ بَقْلَةً   مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه فى السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

(٢) الإماطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق، ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبهه بكذا وكأنه كذا . يقول : لا تشبهنى بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبهه بفلان ، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهنى به، وهناك أقوال أخرى للشراح فى قوله «بما وكأنه» نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن «ما» نكرة بمعنى شىء موضوعة للعموم كأنه قال أمط عنك تشبيهى

---

(١) الهندبا ـ بفتح الدال ـ مقصور ، نبت معروف يؤكل .

وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَابِلِي نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الوَرَى وَانْظُرَنْ فِعْلِي [١]

وقال فى صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابى المنبجى :

أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا [٢]

بشيء من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك: أى بشئ معجب لك؛ وقال أبو بكر الخوارزمى : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر: كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ؛ ويقولون كأنه ماهو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر . ولما كان لفظها فى المشبه به ذكره المتنبى مع كأن . وقال ابن جنى : إنه يعتبر كأن قائلا قال بما يشبه فيقول الآخر :كأنه الأسد ، فقال هو معرضاً عن هذا القول : أمط عنك تشبيهى بما وكأنه ، فلما جاء رف التشبيه — أى كأن — ذكر ما.

(١) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : مالان واهتز من الرماح . وقوله نكن : جواب الأمر . يقول : دعنى وهذا السيف وفرسى ورمحى حتى نجتمع فنكون فى رأى العين شخصاً واحداً يلقى الورى - أى يحاربهم - فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء . قال ابن جنى : وقد لاذ فى هذا البيت بلفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليلٍ كجلباب العروس ادّرعتُه بأربعة والشخصُ فى العين واحد
أحَمّ عُدافِىٌّ وأبيضُ صارم وأعيسُ مَهرِىٌّ وأروعُ ماجدُ

هذا : وقوله يلقى الورى:نعت «واحداً» ؛ ويروى نلق: مجزوماً على البدل من نكن

(٢) أحيا : فعل المتكلم ، وجملة وأيسر : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حىّ باق ، مع أن أقل مايقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول : أقل وأهون ماقاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى وبين أحبتى وكنت ضعيفاً بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى بعدهم .

وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا   وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحِلَا (١)

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ   لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا (٢)

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا فى معنى أفعل التى للتفضيل : أى أشد ما يكون فى الإنسان وأيسر ماقاسيت شىء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير : أى الشىء الذى يقتل أحيا وأيسر مالاقيت ، أو ماألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف اليه : أى أحيا مالاقيت وأيسر ما لاقيت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم ، لقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقاً على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قال وإنما كرره لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعدل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم «أموات غيرُ أحياء» ، والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(١) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد . يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت . يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا : أى إنما توسلت الينا بطريق فراق الأحباب ، كما قال أبو تمام :

لوْ حارَ مُرْتادُ المنِيةِ لمْ يجِدْ   إلا الفِراقَ على النُّفوسِ دَليلا

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن «لها» جمع لهاة والمعنى ماوجدت لهوات المنايا الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والمنايا : فى موضع جرّ بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبيل ؛ والسبيل : الطريق ، تذكر وتؤنث .

بِمَا بِجَفْنَيْكَ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلَا (١)

إِلَّا يَشِبْ فَلَقَـــدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلَا (٢)

---

(١) الدنف : الذى أثقله المرض ؛ وقال علماء اللغة : الدَّنَف : المرض اللازم المخامر ، ويقال رجل دَنَف ودَنِف ومُدنِف ومُدنَف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال دَنَف : لم يُثَنِّه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنّى وجمع وأنث لامحالة فقال رجل دَنِف — بالكسر — ورجلان دَنِفان ، ورجال أدناف . وامرأة دنِفة ، ونسوة دنِفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفاً أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا (١)

يقول: أقسم عليك بحق ما بجفنيك من سحر أن تصلى مريضاً يحب الحياة فى وصالك فان هجرت ، وأعرضت فليس يحب الحياة ؛ وعنى بسحر جفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتسبي عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، والمعنى من قول دعبل :

ما أطيبَ العيشَ فأمّا عَلَى أن لا أرى وَجهَكَ يوماً فلا

لوْ أنّ يوماً مِنكَ أو ساعةً تباعُ بالدُّنيا إذنْ ماغلا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفاً ، ويروى : يهو — بدون ياء على أنه جواب للأمر — وقال العكبرى — تعليقا على قوله وأما إن صددت فلا — : الفاء جواب «أما» لأنها أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى لأكرمنك بجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسدّ جواب الشرط . وإذا قدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) نصل الخضاب : ذهب ؛ والسلوة : الاسم — من سلا عنه سلواً —

---

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنفت الشمس وأدنفت إذا دنت للمغيب واصفرت .

يَجُنُّ شَوْقاً فَلَوْلاَ أَنَّ رَائِحَةً ... تَزُورُهُ فى رِيَاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلاَ (١)
هَا فَانْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِي تَرَيْ حُرَقاً ... مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفاً مِنْهَا فَقَدْ وَأَلاَ (٢)

والسلو : طيب نفس الإلف عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سَلوة وسُلوانا : أى طيبت نفسى عنك ، قال :

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ ... وعَرَّافِ نجدٍ إنْ هُما شَفَيانى
فما تَرَكا مِن رُقْيةٍ يَعْلَمانِها ... ولا سَلوَةٍ إلاّ بِهَا سَقَيانى

يقول : إن لا يشب هذا الدنف ـ يعنى نفسه ، لأنه لايزال شابا ـ فلقد شابت كبده لشدة مايقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فان خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الخضاب ، لأن سلوته لاتبقى ولا تدوم ، فاذا زالت السلوة زال خضاب كبده وعاد شيبه . يريد إذا سلا حينا لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبى تمام :

شابَ رأسى وما رأيتُ مشيبَ الرأ ... سِ إلا مِنْ فضلِ شَيْبِ الفؤاد

والمتنبى نقل شيب الفؤاد إلى الكبد ، وهو مما استقبح من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يحن ـ من الحنين ، وهو الصبوة والطرب ـ ورواية يجن : أليق ليطابق قوله عقلا — فى آخر البيت — يقول : إن هذا الدنف يصير مجنونا لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية المشرق لما كان له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد ريح المشرق من قبل أحبائه :

فإنّ الصبا رِيح إذا ما تنسّمت ... عَلى كَبِدٍ مَحزون تَجلت همُومُها

وقد نظر المتنبي فى هذا إلى قول عبد الله بن الدمينة :

وأستنشِقُ النسماءَ مِن نحوِ أرضِكم ... كأنى مريضٌ والنسيمُ طبيبُ

(٢) ها : للتنبيه . أى ها أناذا فانظرى ؛ وترى : جواب الأمر ؛ ووأل : نجا .

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّى فَيَشْفَعَ لِى   إِلَى الَّتِى تَرَكَتْنِى فِى الْهَوَى مَثَلاً (١)

يقول : ها أنا ذا فانظرى إلىّ أو فكرى فىّ إن لم تنظرى ترى بى حرقاً من حبك ، من لم يجرب القليل منها فقد نجا من بلاء الحب ، وقد أجمل المتنبى مافصله البحترى فى بيتين قال :

أَعِيدِى فِىَّ نَظْرَةَ مُسْتَثِيبٍ   تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَثَامَا
تَرَىْ كَبِداً مُحَرَّقَةً وَعَيْناً   مُؤَرَّقَةً وَقَلْباً مُسْتَهَاما

(١) عل : كلعلّ ؛ ويشفع ـ بالنصب ـ جواب الترجى ؛ وبالرفع : عطف على يرى . يقول : لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعاً لى إلى الحبيبة ـ التى جعلتنى بحيث يضرب بى المثل فى العشق ـ لتواصلنى بشفاعته ، قال الواحدى : وهذا من قول أبى نواس :

سأشكو إلى الفضلِ بن يحيى بن خالد   هواها لعلّ الفضلَ يجمعُ بيننا

قال : وهذا أحسن من قول المتنبى لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال مايتوصل به إلى محبوبته ،والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع من القيادة ... قال : على أنى سمعت العروضى يقول :سمعت الشعرانى: يقول لم أسمع المتنبى ينشده إلا فيشفعنى ـ من قولهم كان وتراً فشفعه بآخر وإلى آخر: أى صيره شفعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال العكبرى ـ تعليقا على قوله علّ ـ : « علّ » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . وحجتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها « اليوم تنساه » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا يدخلها شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها فى

أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيـدًا طَالِبٌ بِدَمِى ... لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلَا (١)
وَأَنَّنِى غَيْرُ مُحْصٍ فَضْـلَ وَالِدِهِ ... وَنَائِلٌ دُونَ نَيْلِي وَصْفَهُ زُحَلَا (٢)
قَيْـلٌ بِمَنْبِـجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُه ... فِي الْأُفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلَا (٣)

«ما» و«لا» بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؟ فدل على أن اللام الأولى فى «لعل» أصلية ، والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزاد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟ وحجة البصريين أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

وَلستُ بِلَوَّامٍ عَلى الأمرِ بَعْدَمَا ... يَفُوتُ ولـكن عَلَّ أنْ أتقدما

وكقول الآخر :

لا تُهِـينَ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ ... تَرْكَعَ يوماً والدهرُ قد رفعَهْ (١)

(١) بصرت به : أى أبصرته . واعتقل رمحه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى أيقنت بأن الممدوح يطلب بدمى إن سفكته الحبيبة ويأخذ منها ثأرى لأنى رأيته قد اعتقل رمحه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه .

(٢) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل : العطاء . وزحل : الكوكب المعروف ، وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول: وأيقنت أنى لا أستطيع عد عطائه لكثرته وأنى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف فضل والده .

(٣) القيل : الملك ـ بلغة حمير ـ أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج : بلد بالشام . والمثوى : المنزل والمقام . والأفق : القطر والناحية؛ وقيل : خبر

(١) لاتهين : أراد لاتهينن ، فحذف النون الخفيفة لما استقبلها ساكن : والبيت للأضبط بن قريع السعدى .

يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجَى فى صَحْنِ غُرَّتِهِ ... وَيَحْمِلُ المَوْتُ فى الْهَيْجَاءِ إنْ حَمَلا (١)

تُرَابُهُ فى كِلَابٍ كُحْلُ أَعْيُنِهَا ... وَسَيْفُهُ فِى جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذَلا (٢)

مبتدأ محذوف ؛ أى هو قيل؛ و بمنبج : خبر مقدم ؛ ومثواه: مبتدأ مؤخر ؛ ونائله: مبتدأ ، خبره : فى الأفق ؛ ويسأل: فى موضع الحال . يقول : هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الآفاق يسأل عمن يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره اليه ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شرَّداً ... تسائلُ فى الآفاقِ عنْ كلِّ سائلِ

ويقول :

وفدَتْ إلى الآفاقِ مِنْ معْرُوفه ... نِعمٌ تسائلُ عنْ ذَوى الإقتارِ

ويقول أبو العتاهية :

وإنْ نحنُ لمْ نبغِ مَعْروفَه ... فمعرُوفه أبداً يبتغينا

(١) الغرة : غرة الوجه ؛ وصحنها : وسطها ؛ والهيجاء : الحرب . يقول : إن وجهه لحسنه يضيء كالبدر فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يحمل معه ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى : الموت — بالنصب — أى أنه إذا حمل على أعدائه أصحب الموت حاملا إياه إليهم .

(٢) يقول : إن كلابا - وهم قبيلة الممدوح - لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذى يمشى عليه - كناية عن اغتباطهم بولائه ، وسيفه فى جناب - وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه فى قتلهم - كناية عن شقائهم بعداوته - وهذا مثل يقال سبق السيفُ العذَل، وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيفُ العذل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس فى روايات الديوان وهو :

لِنُورِهِ فِى سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْــتَرَقٌ لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَا (١)

هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِى بَادَتْ تَمِيمُ بِهِ قِدْماً وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنُهَا الْأَجَلَا (٢)

لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْحِلَلَا (٣)

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَىْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا (٤)

مهذّب الجدّ يُستسقى الغمامُ له حُلو كأنّ على أخلاقه عسلا

أى هو طيب الأصل، لأن جده كان مبرأ من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به ، وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول: ممزوج بالعسل .

(١) استعار للفخر سماء لعلو الفخر . يقول : له نور يصعد فى سماء الفخر لو صعد فكر واصفه فى مخترقه طوال الدهر ما نزل ؛ لأنه يبقى يرقى فى أثر ذلك النور فلا يلحقه ، والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد فى الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع فى الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٢) بادت : هلكت ؛ وقدما : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميما لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الأجل قبل وقته .

(٣) الحرب العوان: التى قوتل فيها المرة بعد المرة و الحلل: جمع الحلة وهى المنازل التى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا الممدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا فى أول الأمر .

(٤) قال الواحدى : يعنى لشدة مالحقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا - كقوله تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت » - وهاربهم إذا رأى ما ليس بشىء يعبأ به أو توهم ماليس بشى شيئاً ظنه إنسانا

فَبَعدَهُ وإلَى ذَا اليَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ   بِالْخَيْلِ فِى لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا (١)

يطلبه، وكذا عادة الهارب الخائف كقول جرير :

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهم   خيلًا تَكُرُّ عليهم ورجالا

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال: سرقه والله من كتابهم - يريد القرآن الكريم - : «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوّ» قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام : «لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد» أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة . ويقولون هذا ليس بشىء: يريدون شيئاً جيدا - وقال بعض المتكلمين : إن الله خالق الأشياء من لاشىء ، فقيل هذا خطأ ، لأن لاشىء لايخلق منه شىء ؛ ومن قال إن الله يخلق من لا شىء : جعل لاشىء شيئاً يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لا من شىء ، لأنه إذا قال لا من شىء : نفى أن يكون قبل خلقه شىء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهاة ، وهى لحمة فى الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعد اليوم الذى بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذى نحن فيه لو ركضت خيلهم فى لهوات صبى صغير لما شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ فى هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذا مأخوذ من قول الشاعر :

لو أنه حركَ الجُرْدَ الجيادَ على   اجفان ذى حلم لم ينتبه فرقا

وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرّ بفكرى خاطراً فجرحتهُ   ولم أرَ شيئاً قطُّ يجرحُهُ الفكرُ

وقال بعض الشراح : ويجوز أن يجعل الطفل منهم - أى من تميم - أى ماجسر الطفل منهم أن يسعل خوفا وإشفاقا مع أنه لاعقل له ، فكيف الظن بكبيرهم فى أمر الخوف وله عقل ؟ وعلى هذا : «ركضت» فعل خيل النصر وقبيلته وقومه .

فَقَــدْ تَرَكْتَ الْأُلَى لَاقَيْتَهُمْ جَزَرًا ... وَقَدْ قَتَلْتَ الْأُلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلَا (١)

كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلْبُ الدَّلِيــلِ بِهِ ... قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَامَطَلَا (٢)

عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِي فِي مَفَاوِزِهِ ... وَحُرِّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلَا (٣)

أَنْكَحْتُ صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ ... تَغَشْمَرَتْ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا (٤)

---

(١) الألى : بمعنى الذين ؛ والجزر : اللحم الذى يلقى للسباع ؛ يقال ما كانوا إلا جزراً لسيوفنا : أى الذين نقتلهم فنلقيهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف. يقول : إن الذين لقوك منهم أفنيتهم وجعلتهم جزرا للسباع . والذين لم يلقوك ماتوا خوفا منك .

(٢) المهمه : الفلاة الواسعة ؛ والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها — أى الذى يدل على الطريق — مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعتها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد مامطلا ؛ وهو استعارة جميلة ، لأن المهمه كالمطلوب منه انقطاعه بالمسير فيه وهو ـ بطوله وتأخير انقطاعه ـ كالماطل بما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمه .

(٣) المفاوز : الفلوات ؛ والطرف : العين ؛ وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو مابدا منه . وأفل : غاب . يقول : كنت أنظر إلى النجم دائما فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم ـ أى فى النهار ـ كنت أنصب وجهى للشمس دائما حتى كأنه معقود بها ؛ وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ؛ والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٤) الصم : الصلاب الشداد من كل شىء ، واليعملة : الناقة القوية . وتغشمرت : تعسفت وركضت على غير قصد . يقول : أوطأت خف

لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِى فَوْقَ نُمْرُقِهَا ... سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فى غِيطَانِهَا زَجَلَا (١)

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا ... وَلَيْتَنِى عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِى فَضَلَا (٢)

أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ ... يَامَنْ إذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا (٣)

ناقتى حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(١) حشوَ قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ؛ والنمرق : وسادة يعتمد عليها الراكب ؛ والغيطان : جمع غائط ، وهو مااطمأن من الأرض وانخفض. والزجل : الصياح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن لبعدها عن الإنس ، والعرب إذا وصفت المكان بالبُعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطـــل :

مَلاعِبُ جِنَّانٍ كأَنَّ تُرابَها ... إذا اطّردَتْ فيها الرياح مُغربَلُ

وبيت المتنبى من قول ذى الرمة :

لِلجنِّ بالليلِ فى حافاتها زَجَـــل ... كما تجاوبَ يوم الريح عَيشُومُ

« العيشوم : شجر له صوت مع الريح »

(٢) يقول : وصلت إلى الممدوح بنفس مات أكثرها : أى ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقى من نفسه ليقضى حق الممدوح بخدمته له . وعبارة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً . سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتنى أصادف عيشا بما بقى من عمرى قبل أن أموت ؛ فقوله ليتنى عشت : أراد ليتنى أعيش ، فعبر بالماضى عن المضارع .

(٣) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلا لعلو همتك ؛ فالدنيا

وقال فى صباه - وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل :-

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فى شُغُلِ (١)

تَمَثَّلُوا حَاتِماً وَلَوْ عَقَلُوا ... لَكُنْتَ فى الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ (٢)

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَا بَعَثْتَ بِهِ ... إِيهاً أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ (٣)

هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا ... إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فى رَجُلِ (٤)

حقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيلَ ولا يراهُ عندَهُ ... إلاّ كبعض عطيّة المذموم

ومن قول أبى العتاهية :

إنى لآيأس منها ثم يُطعمُنى ... فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

(١) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فيما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطماعهم ، والبيت فى ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام كرماً .

(٢) أراد : تمثلوا بحاتم ، فحذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية فى الجود .

(٣) وبالرسل : عطف على بما بعثت . وأيها : اسم فعل بمعنى كف ودع ؛ أما إيه - بالخفض - فهى الاستزادة من المتكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف فقد أكثرت الهدايا وغمرنى إحسانك .

(٤) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هديتك هدية مارأيت صاحبها الذى

أَقَلُّ مَا فِى أَقَلِّهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِى بِرْكَةٍ مِنَ العَسَلِ (١)
كَيْفَ أُكَافِى عَلَى أَجَلِّ يَدٍ مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قِبَلِى (٢)

وقال أيضاً فى صباه :

قِفَا تَرَيَا وَدْقِى فَهَاتَا الْمَخَايِلُ وَلَا تَخْشَيَا خُلْفًا لِمَا أَنَا قَائِلُ (٣)

أهداها - يعنى الممدوح - ألا رأيت الناس كلهم فى شخص واحد ، يعنى أنه جمع فيه جميع مافى الناس من معانى الفضل والكرم . وهذا كما قال أبو نواس:

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ فى واحدِ

وقد كرر المتنبى هذا المعنى فقال :

* أمِ الخَلقُ فى شخص حى أعيدا *

وقال :

* ومنزلكَ الدُّنيا وأنتَ الخلائقُ *

(١) أراد بالبركة : الوعاء الذى كان فيه العسل ؛ يعنى أن هذه الهدية عظيمة أقل شىء اشتمل عليه أقل مافى هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٢) أكافى : من المكافأة ، وهى أن يقابل الشئ بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكافئ من لايعتقد فى أعظم نعمة له عندى أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكافئ الذى أسدى إلىّ نعمة عظيمة وهو يستصغرها حتى يرى أنها لاتعد نعمة له عندى .

(٣) الودق : المطر . وهاتا : بمعنى هذه . والمخايل جمع المخيلة — بضم الميم وكسر الخاء — السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف فى الوعد . يقول - لصاحبيه - : اصبرا قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت مخايله وما يشهدلى بتحقيق ما كنت أعدكما من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال، وإنى لا أقول شيئا أو أعد بهولا أفعله .

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبٍ اُسْتِهِ   وَآخَرَ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ (١)
وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ   وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِيَ جَاهِلُ (٢)
وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكَ الْأَرْضِ مُعْسِرٌ   وَأَنِّي عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَيْنِ رَاجِلُ (٣)

---

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر ـ بالنصب ـ عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع ـ من صائب ـ وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول : عابني أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرميني به : أى يلحقه ما يعيبني به ، وآخر لا يؤثر فيّ ما يرميني به ولا يعلق بي ما يقوله فيّ كأنه يرميني بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءني القوم من فارس وراجل ؛ يعني أنهم من هذين الجنسين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفني ولا يعرف أنه جاهل بي ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بي . فعلمي : مفعول يجهل ، وأنه: مفعول علمي : أى يجهل معرفتي بجهله بي . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني   او كنتُ أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني   وعلمتُ أنك جاهل فعذرتكا

وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعلم بأنك جاهل   فمَن لي بأن تدري بأنك لا تدري

(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماكين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همتى ، وأنى إذا علوت السماء وركبت السماكين عددت نفسى راجلا ، لاقتضاء همتى مافوق ذلك .

تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ ... وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ (١)

وَمَازِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَاكِبِي ... إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِيَّ زَلَازِلُ (٢)

فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الْحَشَا ... قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ (٣)

---

(١) يقول : إن همتى تربنى كل شىء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة فى عينى .

(٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومناكبه : أعاليه . والضيم : الظلم . يقول : لم أزل ثابتاً ذا وقار كالطود لايحركنى شىء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت لدفعه عن نفسى .

(٣) القلقلة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : مافى داخل الجوف . والقلاقل — الأولى — جمع قلقل ، وهى الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا سريعى الحركة . والقلاقل — الثانية — جمع قلقلة ، وهى الحركة . يقول : حركت — بسبب الهم الذى حرك نفسى — إبلاخفافا فى السير ، يعنى سافرت ولم أعرج بالمقام الذى يلحقنى فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن يعود الضمير من كلهن على العيس ، لاعلى القلاقل . يقول : خفاف إبل كلهن خفاف ، يعنى أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع ، كما يقال : أفضـــل الفضلاء . هذا : وقد عاب الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاءه وهذه القافات الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه فى هذا عيب ، فقد جرت عادة الشعراء بمثله ـ قال الثعالبى : قال لى أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم . وسلسل الثانى ، وقلقل الثالث ؛ أما الذى شلشل فالأعشى ـ وهو من رؤساء شعراء الجاهلية ـ قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

إذَا اللَّيْلُ وَارَانَا أَرَتْنَا خِفَافُهَا ... بِقَدْحِ الْحَصَى مَالاَ تُرِينَا الْمَشَاعِلُ (١)
كَأَنِّى مِنَ الْوَجْنَاءِ فِى ظَهْرِ مَوْجَةٍ ... رَمَتْ بِى بِحَاراً مَالَهُنَّ سَوَاحِلُ (٢)

والشاوى : الذى شوى ؛ والمشل : المطرَد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها : المبالغة » . وأما الذى سلسل فسلم بن الوليد إذ يقول :

سُلَّت وسُلَّت ثم سُلَّ سَليلُها ... فأتى سليلُ سليلِها مسلولا

وأما الذى قلقل فهو المتنبى الذى . يقول : البيت ـ ثم قال لى فبلبل انت أيضاً ، فقلت : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

الشعراءُ فاعلمنَ أربعهْ ... فشاعر يجرى ولا يُجرَى معه
وشاعر يُنشِدُ وسط المعمعه ... وشاعر من حقِّه أن تسمعَه
وشاعر من حقِّه أن تصفعَه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وإذا البلابلُ أفصحت بلغاتها ... فانفِ البلابلَ باحتساء بلابِلِ

قال الثعالبى : وفى هذا مايبطل إنكار ابن عباد على أبى الطيب .

(١) وارانا : سترنا . والمشاعل : جمع مشعلة ـ بفتح الميم ـ النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التى تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتنقدح النار فيها فنرى مالا نراه بضوء المشاعل .

(٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كالموج ، وجعل المفازة كالبحار فى سعتها . يقول : كأنى منها إذا ركبتها فى هذه المفازة فى ظهر موج ترمينى فى بحر لا ساحل له .

يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي وَأَنِّيَ فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ (١)

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَا تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ (٢)

أَلَا لَيْسَتِ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسَكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ (٣)

فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ وَلَا صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهْوَ بَاخِلُ (٤)

---

(١) يقول : يخيل إلىّ أن البلاد تلفظنى فلا أستقر فيها .كما لا يستقر فى مسامعى كلامُ العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه ببلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا المعنى من قول القائل :

كأنى قذًى فى عينِ كلِّ بلادِ

وقد قال البحترى .

تقاذفُ بى بلاد عن بلادٍ كأنّى بينها عيرٌ شَرُودُ

(٢) العلا : جمع العليا، تأنيث الأعلى - كالكبر فى جمع الكبرى - وتساوى: إن كان ماضياً ثبتت الياء فى آخره ، وهو فى موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى - بحذف إحدى التاءين - فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والمحايى والمقاتل : جمع المحيا والمقتل : مصدرين ميميين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالى الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكترث له

(٣) نصب السيوف لأنها استثناء متقدم كبيت الكميت :

ومالى إلا آلَ أحمدَ شيعة ومالى إلا مذهبَ الحقّ مذهبُ

والوسائل : جمع الوسيلة ، وهى الواسطة بين الطالب والمطلوب . يقول : - لملوك عصره - : لانطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا .

(٤) قال ابن جنى : يعنى إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملك بها

غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي ... وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغِثَّ الْمَآكِلُ (١)

وقال لصديق له فى صباه :

أَحبَبْتُ بِرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِيلاَ ... فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلاَ (٢)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ ... صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةً وَأَصِيلاَ (٣)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً ... مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَّأْمِيلاَ (٤)

منه ، وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلا غير بخيل ، لأن السيف ينال منه مايطلب منه أو يفتدى روحه بماله .

(١) الغث : الردىء من كل شئ ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولا. يقول : رداءة عيشى فى رداءة كرامتى لا فى رداءة مطاعمى

(٢) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ماعندى قليلا بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٣) الصب : المشتاق ؛ ورغب فى الشىء : أراده وطلبه ؛ ورغب عنه : لم يرده . والبكرة : أول النهار ؛ والأصيل : آخره .

(٤) قال الواحدى : قال ابن جنى : هذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون أهدى إليه شيئاً كان أهداه إليه صديقه الممدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلىّ وتزودنيه وقت فراقك هدية منى إليك ؛ أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه علىّ مما استدركه على ابن جنى : أراد - أى المتنبى - أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلىّ هدية منى إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وظرفها التأميلا : فالظرف وعاء الشىء . يقول : جعلت تأميلى مشتملا على

بِرٌّ يَخِفُّ عَـــلَى يَدَيْكَ قَبُولُهُ ۞ وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَلَيَّ ثَقِيلَا (١)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى :

١ عَزِيزُ أَسًى مَنْ دَاؤُهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ ۞ عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ (٢)

قبول هذه الهدية كاشتمال الظرف على مافيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئا من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلا علىّ لتكامل صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية بر تحبه فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ، ولا منّة عليك فيه وإنما المنة لك ، ومحمله إنما يثقل علىّ لا عليك ، لأنك إذا أعطيتنى أثقلت رقبتى بالشكر .

(٢) العزيز : الشىء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر . والأسى : العلاج ، يقال : أسَوْت الجرحَ آسوه أسوًا وأَسًى إذا داويته وأصلحته ، قال الأعشى :

عِنْدَهُ البِرُّ والتُّقى وأَسَا الشقِّ وحَملٌ لِمُضْـلِعِ الأثقالِ (١)

وعزيز : خبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر . والنجل : جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هوى الحدق النجل ، وهو داء عياء به مات العشاق من قبلنا . ويروى عزيز أسًى من داؤه ـ بتنوين عزيز ـ وإضافة أسى إلى «من» ورفعه بالابتداء لتخصصه بالإضافة ؛ وعزيز : خبره ؛ والتقدير أسى من داؤه الحدق النجل عزيز . ويروى عزيزٌ أسًى ـ على أن أسى تمييز

---

(١) الشق : الصدع ؛ ويروى : الصدع . ؛ والمضلع : المثقل للأضلاع ، أى الأثقال والأحمال المضلعة .

....

كما تقول : عزيز دواءٌ ، فيكون عزيز خبراً مقدما ، ومَن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبرى : وهذا إذاجعلت «مَن» معرفة ، أما إذا جعلت «من» نكرة كان عزيز مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لاغير ، وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم فى أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب . و«مَن» توصف على وجهين بالجملة والمفرد ؛ فوصفها بالجملة نحو :

رُبَّ مَن أنضجتُ غيظاً قلبَهُ   قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً لم يُطَع [١]

وبالمفرد نحو قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فَكَفَى بنا فضلاً على مَن غيرِنا   حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيّانا [٢]

فمن : نكرة فى البيتين ، لأن «رب» لايليها المعرفة . وقول حسان على من ؛ أى على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع «غيرنا» على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريدمن هو غيرنا ، كقراءة الأعمش «تماماً على الذى أحسنُ» بالرفع ، فيجعل «من» موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسى - أى ونون عزيز - أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة

---

(١) من أبيات لسويد بن أبى كاهل اليشكرى ؛ وبعده :

وَيَرانى كالشجا فى حلقه   عَسِراً مَخرَجُه ما يُنتزَعُ

ويحيِّينى إذا لاقيته   وإذا يَخلُو له لحمى رتع

وقوله رب من : أى رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أى أكمدته . والشجا : مايعترض فى الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلا : يروى شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفى ؛ والباء زائدة فى المفعول ، وهو «بنا» .

٢ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إلَىَّ فَمَنْظَرِى   نَذِيرٌ إلَى مَنْ ظَنَّ أنَّ الْهَوَى سَهْلُ[١]

٣ وَمَاهِىَ إلاَّ لَحْظَةٌ بَعْـــدَ لَحْظَةٍ   إذَا نَزَلَتْ فى قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ[٢]

٤ جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِى فى مَفَاصِلِي   فَأَصْبَحَ لِى عَنْ كلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ[٣]

٥ وَمِنْ جَسَدِى لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً   فَمَا فَوْقَهَا إلاَّ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ[٤]

المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك .

(١) منظرى : أى موضع النظر منى ، ويجوز أن يكون مصدراً مضافا إلى المفعول ؛ والنذير : المنذر ؛ وعدّاه بإلى على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلىّ فمنظرى منذر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(٢) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ماهى إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى ، فاذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لايجتمعان .

(٣) يقول : جرى حب هذه المحبوبة فى عروقى مجرى الدم لشدة امتزاجه بى ، فشغلنى عن كل ماسواها ، ويروى به ـ أى بالحب ـ ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبوبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير فى كلامهم . قال الواحدى : ويروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبَتْنِى بِدَلٍّ ذَاتُ حُسْنٍ يَزِينُهَا   تَكَحُّلُ عَيْنَيْهَا وَلَيْسَ لَهَا كُحْلُ
كَأَنَّ لِحَاظَ الْعَيْنِ فِى فَتْكِهِ بِنَا   رَقِيبٌ تَعَدَّى أَوْعَدُوٌّ لَهُ دَخْلُ

« سبتنى : أسرتنى ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاظ : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »

(٤) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد : فما دونها فى الصغر . يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شئ من بدنى فظهر فيه فعله ، وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

٦ إِذَا عَذَلُوا فِيهَـــا أَجَبْتُ بِأَنَّةٍ حُبَيِّبَتَا قَلْبَا فُؤَادَا هَيَا جُمْلُ (١)

خَطرات ُذِكرِك تَستفِزُ مدامِعِي فأحِسّ مِنها فِى الفؤَادِ دَبيبا
لا عُضوَ لى إلا وفيه صَبابَةٌ فكأنّ أعضائى خُلقن قلوبا

(٢) عذلوا: لاموا. وأنة: فعلة من الأنين، يكون من شدة الوجع. تقول أنّ يئن أنينا: إذا اشتكى وجعا. وهيا: حرف نداء - كيا وأيا وأى والهمزة - والحبيبة: تصغير الحبيبة. قال العكبرى: قوله حبيبتا: أراد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه، كقول بعضهم:

يابنَ أمى ويا حبيبَ نفسى أنتَ خلّفتَنِى لِدَهر شَديد

وتصغير التعظيم كقول لبيد:

وكلُ أناسٍ سوفَ تَدخُلُ بينهم دُوَيهيةٌ تَصفرُ منها الأناملُ

وكقول الحباب بن منذر يوم السقيفة «أنا جُذيلها المحكك وعذيقها المرجّب»،(١) وتصغير التحقير مثل أنيسان ونحوه. قال ابن جنى: والألف فى «حبيبتا» وفى «قلبا» وفى «فؤادا»: بدل من ياء الإضافة، وكلها فى موضع نصب، لأنه نداء مضاف، أراد: ياحبيبتى، ياقلبى، يافؤادى، ياجمل — وجمل: اسم الحبيبة — وقال الواحدى: يجوز أن تكون الألف فيها للندبة أراد ياحبيبتاه، ياقلباه، يافؤاداه، فحذف الهاء للدرج، قال: وكذا ذكر ابن فورجه، ثم قال ابن فورجه: قلبا فؤادا يدعوهما لأنه يتشكاهما شكوى العليل، كما قال ديسم

---

(١) عنى بالجذيل — ههنا — الأصل من الشجرة تحتك به الابل فتشتفى به: أى قد جربتنى الأمور ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الابل الجربى بهذا الجذل؛ وصغر على جهة المدح؛ وعذيق: تصغير العذق، وهو النخلة؛ والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط: أى ان لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى؛ والتصغير للتعظيم.

٧ كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِي   عَنِ العَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا العَذْلُ (١)

ابن شاذلويه الكردى :

أَنِينِى أَنِيسِى وشجوى وِسَادِى   وَعَينى كَحِيلٌ بشوك القَتَادِ
إذا قِيل دَيسمُ ما تشتكى   أقول بشَجْوٍ فؤادِى فؤادِى

فهذا أيضاً يقول قلبى فؤادى : أى هو الذى أتشكاه ، ومعنى البيت : إنى إذا عذلتُ فى حبها أجبتهم بأنه ثم قلت قلبى فؤادى ياجمل . يريد أنى لا ألتفت إلى العذل ولا أزيد على الأنين ودعاء المحبوب ليغيثنى مما أنا فيه . وقال بعض الشراح : قلبا فؤادا فى محل رفع على تقدير حبيبتى قلبى فؤادى : أى هى لى بمنزلة القلب ، وعلى هذا « جمل » اسم واحدة من العواذل : أى أقول لها هى قلبى فلا أفارقها ولا أسمع عذلك فيها .

(١) المسامع : جمع مسمع — كمنبر — الأذن . يقول — لمحبوبته — : كأنك أقمت رقيبا على مسامعى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس بن الأحنف :

أقامَت عَلى قلبِى رَقيبا وناظِرِى   فليس يؤدِّى عَن سِوَاها إلى قلبى

وقول الآخر :

كأنَّ رقيباً مِنكِ يَرعَى خَواطِرِى   وآخرَ يَرعَى ناظرى ولِسانى

هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب: المنتظر ، رَقبه يَرقبُهُ رِقبةً ورِقباناً — بالكسر فيهما — ورُقوبا ، وترقبه وارتقبه: انتظره ورَصَده ، ورقيب القداح: الأمين على الضريب ، وقيل هو أمين أصحاب الميسر ، وهو أيضا اسم السهم الثالث من قِداح الميسر ؛ والرقيب الذى فى المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ، وإذا طلع

٨ كأنَّ سُهادَ اللّيــلِ يعشقُ مُقلَتي ... فبينَهُما في كُلِّ هجرٍ لنَا وَصلُ (١)

٩ أُحِبُّ الّتي في البَدرِ مِنها مَشابِهٌ ... وأشكُو إلى مَنْ لا يُصابُ لهُ شكلُ (٢)

١٠ إلَى وَاحِدِ الدُّنيَا إلى ابْنِ محمّدٍ ... شُجاعِ الّذي لِلّهِ ثُمَّ لَهُ الفضلُ (٣)

الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال :

أحقاً عِبادَ اللهِ أن لستُ لاقيا ... بثينة أوْ يَلقى الثريّا رقيبُها

(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل ـ بالكسر ـ يسهد سَهدا وسُهدا وسُهادا : لم يَنم . ورجل سُهد: قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلى :

فأتت بهِ حُوشَ الفُؤادِ مُبطناً ... سُهداً إذا مانام ليلُ الهَوْجَل (١)

والضمير فى « بينهما » : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عينى ، أي لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله ـ أى المتنبى ـ :

إنى لأُبغضُ طَيفَ مَن أحببتُه ... إذ كانَ يَهجرُنا زمانَ وِصالِهِ

فجعل الطيف يهجر عند الوصال ، كما أن السهاد يصل عند الهجران .

(٢) المشابه : جمع الشبه ـ بفتحتين ـ على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل : المشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص فى هذا البيت من النسيب إلى المديح مفضلا الممدوح بالكمال على المعشوق فى الجمال ، فذكر أن فى البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس؛ ثم قال : واشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(٣) شجاع الذى : أراد شجاعِ الذى ، بالتنوين ، فحذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من « الذى » ، وذلك كثير فى الشعر . وعبارة العكبرى : شجاع

---

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والمبطن : الضامر البطن .

. . . .

بدل من ، ابن ، وحذف ، منه التنوين على مذهبه ، ومثله كثير فى الشعر القديم والحديث ، ومنه ماذكر مسلم والبخارى وابن إسحاق فى المغازى من قول عباس بن مِرْداس السلمى بالجعرانة للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أتجعلُ نَهبي ونَهبَ العُبيــدِ بَيْنَ عُيينةَ والأقرعِ
وماكان حِصْنٌ ولا حابِس يَفوقانِ مِرداسَ فى المجمعِ
وما كنتُ دون امرِئٍ مِنهما ومَن تخفِضِ اليومَ لا يُرفَعِ (١)

فترك تنوين مرداس ، وهو اسم منصرف ، ومثله :

عَمرو العُلا هشم الثريدَ لقومِه ورجالُ مكةَ مُسنِتونَ عِجافُ (٢)

فهذا حجة الكوفيين فى ترك صرف ماينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة فى قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

فَبيناه يَشرِي رَحلهُ قال قائِلٌ لِمَن جَمَلٌ رِخوُ المِلاطِ نجيب (٣)

---

(١) النهب — ههنا — بمعنى المنهوب ، والعبيد — مصغر — اسم فرسه .

(٢) هو لابنة هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من ثرد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لابن الزبعرى ، ومسنتون : أصابتهم سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والعجاف : من العجف ، وهو الهزال وذهاب السمن .

(٣) هو للعجير السلولى ، وصف بعيرا ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجعل يبيع رحله ، فبينا هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ماولى العضد من الجنب . ويقال للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته

إلى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِي طَيِّئٌ لَهُ ... فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لهُ أَصْلُ (١)

إلى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّةً ... بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ (٢)

فجواز حذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من «هو» متحركة ، والتقدير فيذا هو ، والتنوين ساكن ، ولاخلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل . ولا التبس ماينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ماهو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة الممدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل الممدوح كالثمر الحلو فى جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى «لها» : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هى طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل ، هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبيا ، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهرى : يقال بَشَرت الرجل أبشُرُه بالضم بَشرا وبُشورا من البشرى ، وكذلك الأبشار والتبشير ، والاسم البشارة - بكسر الباء وضمها - يقال بشرته بمولود فأبشر إبشارا : أى سرّ . وبشرت بكذا - بالكسر - أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس بن خفاف البرجمى :

وإذا رأيت الباهشينَ إلى العلا ... غبرًا أكفهم بِقاعٍ مُمحل

فأَعِنهم وابشِر بما بشِروا بهِ ... وإذا هُمُ نزلوا بضَنكٍ فانزِلِ

وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضبب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضده كركرته - زور البعير - ومعنى يشرى : يبيع ، وهو من الأضداد .

إِلَى القَابِضِ الأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِي   تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ (١)
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ   تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَا شَمْلُ (٢)
هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الغِمْدَ سَيْفُهُ   وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ (٣)
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ   فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ (٤)

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، وقد يكون هذا على حد قولهم: تحيتك الضرب ، وعتابك السيف.

(١) الضيغم : الأسد . وسكن القاف — فى وقفاته — للضرورة . وقوله تحدث الخيل : يعنى أصحابها ؛ أى الفرسان . والرجل : الرجالة وهم المشاة . وإلى القابض الأرواح : أى اشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الأعداء . والأرواح : تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالخفض على الاضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشمل : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع شمل معاليه؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل المعالى

(٣) من خفض هماما : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف ، والهمام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يمضى فى الأمور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمُدُّونَ بِالبِيضِ القَوَاطِعِ أَيْدِياً   وَهُنَّ سَوَاءٌ وَالسُّيُوفُ القَوَاطِعُ

(٤) ابن أم الموت : يعنى أخا الموت ، جعله أخا للموت لكثرة قتله أعداءه والباس : الشدة . وفشا شاع . يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذ ذاك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

١٧ عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ (١)

١٨ وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُغْضِ إِلَّا وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ (٢)

---

(١) السابح : الفرس الذى كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمى فرسه سابحا : استعار للمنايا موجا ، ونصب «موج المنايا» على الظرفية : أى فى موج المنايا ، وبنحره : صلة سابح ، وهذا كقول مالك بن خالد الخناعى :

بأسْرَعَ الشدِّ مِنى يَومَ لا نِيَةٌ لما عَرَفتهم واهتزّت اللِّمَمُ (١)

أراد بأسرع فى الشد منى ، فحذف ونصب ؛ ويروى موج المنايا — بالرفع — فيكون «موج» : مبتدأ ، خبره : بنحره : أى أن موج المنايا صار عند نحره . وأضاف «غداة» إلى الجملة التى بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ، تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ، لا وقت بعينه ، كما يقال : أصبح وأمسى ، يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت الممدوح على فرس يسبح فى موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء فى صدر فرسه كما يكثر الوبل ، وذلك لأقدامه وشجاعته ، فهو لا يبالى لذلك ويمضى قدما .

(٢) القرن : الكفؤ فى الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ، وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غزوا ، فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا : نَزالِ ، فينزلون عن الابل ويركبون الخيل ، ومنه قول الحماسى :

ولقد شهدتُ الخيلَ يوم طِرادِها بِسَليم أوظِفةِ القوائمِ هيكلِ

---

(١) نية : لغة فى نئة ؛ واللمم : جمع لمة ، شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشدّ منى . يريد بأسرع شداً منى ، فزاد اللام ، كزيادتها فى بنات الأوبرا .

١٩ إذا قِيلَ رِفقا قَالَ لِلحلمِ مَوْضِعٌ   وَحِلمُ الفتَى فى غيرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ (١)

فدَعوا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازل   وَعلامَ أركبُه إذا لم أنزل (١)

ثم سمى القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ؛ والسنان : طرف الرمح . يقول . كم عين قرن حددت النظر نحوه قصدا لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانه ؟ فجعله لعينه بمنزلة الكحل .

(١) يقول : إذا طُلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقا ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعنى أن الرفق والحلم إنما يكونان فى السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والمتحلم فيها جاهل - أحمق - يضع الشىء فى غير موضعه.

وهذا المعنى قد حارته كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزمانى :

وَبعض الحلمِ عندَ الجهلِ للذّلةِ إذعان

وقول سالم بن وابصة :

إنّ من الحلم ذلاً أنت عارِفه   وَالحلمُ عن قدرةٍ فضل من الكرمِ

وقال الخريمى :

---

(١) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه فى حين أنا راكب ؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة - لا بمعنى النزول - كان : المعنى وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى فى حين عدم قتالى عليه ، والشعر لربيعة بن مقروم الضبي . والأوظفة : جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها . والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب .

٢٠ وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ عَنِ الْأَرْضِ لَانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ (١)

٢١ تَبَاعَدَتِ الْآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِكَ السُّبْلُ (٢)

٢٢ وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ (٣)

أرى الحلمَ فى بعض المواطن ذلةً وفى بعضها عزًّا يُسوِّد صاحبهُ

وقال الأعور الشنى :

خُذِ العفوَ واغفر أيها المرءُ إننى أرى الحِلمَ مالم تخشَ منقصةً غنما

والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(١) ناء به الحمل : أثقله؛ ويقال ناء بالحمل : إذا نهض به مثقلا ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها أى تثقلها؛ وهى تنوء بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة . والحمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر أو رأس ، وأما الحمل - بفتح الحاء - فهو مايحمل فى البطن من الأولاد فى جميع الحيوان؛ أما ماتحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيها بحمل البطن . ومنهم من يكسره يشبهه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل - بالفتح - وكل منفصل حمل - بالكسر - يصف حلمه بالرزانة؛ يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حلمه عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت ثقله ، ولما كان الحلم يوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود - الجبل - ساغ فى وصف حلم الممدوح هذا الكلام والمعنى أنه لو كان الحلم جسما لكان من الثقل بهذه الصفة .

(٢) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله وضاق بها الخ : أى لا سبيل لها إلا إلى بابك ويروى إلى بابه على الغائب .

(٣) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلا ، وهبو وما بعدها - إلى آخر البيت - حكاية - يقول : إن شيوع نداه يستحث القاعدين عنه على طلبه ،

٢٥ وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ   فَلَيْسَ لَهُ إنجازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ [1]

فكأنه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسروا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ، فقد قالوا : إن الهباب النشاط ماكان. قال لبيد :

فلها هِباب فى الزِّمامِ كأنها   صهباءُ خفَّ مع الجنوبِ جَهامها [1]

ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(١) حالت اعترضت . يقول : أن عطاياه لم تدع مجالا للوعد ، لأنه يعطيها معجلة ، ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل ، كما قال أشجع السلمى :

يسبق الوعدَ بالنوال كما يسـ   ـبق برقَ الغيوث صوبُ الغمام

هـذا : ويقال نجزَت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته يَنجزها ـ بالضم ـ نجزًا : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرٌّ ما وعد . ومن أمثالهم : إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال [2] وكل ذلك من نجز الشيء : فنى وذهب فهو ناجز. قال النابغة الذبيانى :

---

(١) الهباب : النشاط ؛ وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه الناقة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكأنها فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك

٢٤ فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا القَطْرُ وَالرَّمْلُ (١)

٢٥ وَمَا تَنْقِمُ الأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ (٢)

٢٦ وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ (٣)

وكنتَ ربيعاً لليتامى وعِصمةً فمُلك أبي قابوس أضحى وقد نجز (١)

(١) يقول: إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها: أي أن يجعل لها حداً تنتهي إليه، كما لا يقدر أحد على رد مافات، بل رد الفائت أقرب من تحديدها، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لايحصيان.

(٢) ما تنقم: ماتعيب، والاستفهام: معناه الإنكار، ويجوز أن يكون نفياً وأخبارا. والضمير في وجوهها: للأيام؛ وفي أخمصه: للممدوح؛ والأخمص: باطن القدم، ووجوهها: مبتدأ؛ ونعل: خبر؛ ولأخمصه: متعلق بنعل. يقول: إنه غلب الأيام بعزه، وذلت له الأيام ذل من يطؤه بأخمصه حتى يصير تحت رجله كالنعل في الذل، فالأيام لا تقدر أن تخالفه. أو تعيب فعله.

(٣) عزه: غلبه وأعجزه. وقوله وان عز: أي قل وجوده. يقول: انه لايعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المرادُ وُجدانَ نظير له فإنه يعجز عنه لعدم نظيره، وهذا كما يقول البحتري:

كل الذي تَبغي الرجالُ تصيبهُ حتى تُبَغّى أن يُرَى شَرواهُ

وشرواه: أي مثله، ويقول أيضاً:

ولـئِنْ طَلَبْتُ شَبيهَهُ إني إذاً لمكلِّف طلب المحالِ رِكابي

---

(١) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر. يقول: كنت لليتامى في إحسانك إليهم بمنزلة الربيع الذي به عيش الناس، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك؛ ونجز: فني وذهب، أي انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت

كَفَى ثُعَلاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ ... وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ (١)

وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً ... وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو (٢)

---

(٦) ثعل : بطن من طيء ، وهم رهط الممدوح ، وهو مفعول كفى ، وفخرا تمييز ، وأنك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها فى قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفاهم فخرا أنك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال : وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تجعل دهر مبتدأ محذوف الخبر : أى وكذلك دهر . ويجوز رفع دهر عطفا على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كائن تقديره كفى ثعلا فخرا كونك منهم ودهر مستحق لأن أمسيت من أهله : أى وكفاهم فخرا دهر أنت فيه : أى أنهم فخروا بكونك منهم وفخروا بزمانك لنضارة أيامه . كما يقول أبو تمام :

كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمَعُ

وروى ابن فورجه ودهرا عطف على ثعلا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالمعنى : كفى ثعلا فخرا على سائر العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه فخرا على سائر الأزمنة كونك من أهله .

(١) حاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إبصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى لفلان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى : اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهرى : « ويل » كلمة عذاب ، وويح : كلمة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد

٢٩ فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ (١)

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي:

صِلَةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ نَكَسَانِي فِي السُّقْمِ نُكْسَ الْهِلَالِ (٢)

فَغَدَا الْجِسْمُ نَاقِصًا وَالَّذِي يَنْـقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٣)

وهما مرفوعان بالابتداء: يقال وَيلٌ لزيد ووَيحٌ لزيد، ولك أن تقول وَيلا لزيد وويحا لزيد. فتنصبهما باضمار فعل؛ وكأنك قلت الزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك، ولك أن تقول ويحك ووَيحَ زيد. وويلك ووَيلَ زيد - بالاضافة - فتنصبهما أيضا باضمار فعل. وعبارة الزجاج: الويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة. قال: وأصل الويل في اللغة العذاب والهلاك؛ والويل: الهلاك يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها. ومنه: «وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِين» فان وقع في هلكة لم يستحقها. قلت: وَيحٌ لزيد يكون فيه معنى الترحم. ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «وَيحُ ابنِ سُمَيَّة تقتله الفئة الباغية».

(١) شام البرق: نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إمطاره، والفاقة: الحاجة. والصيب: المطر الشديد. والمحل: الجدب. يقول: لا فاقة بفقير يُرجِّي عطاءك لأنك تحقق مرجوه، ولا جدب حيث كنت لأن جودك خصيب حيث كان، وشام برقك: مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب.

(٢) نُكِس المريض نُكسا ونَكسا ونُكاسا: عاودته العلة بعد النقه والبرء. قال أمية بن أبي عائذ الهذلي:

خَيالٌ لِزَينَبَ قد هاج لي نُكاساً من الحبِّ بَعدَ اندمال

يقول: إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد عادا بي إلى السقم بعد الصحة كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه.

(٣) البلبال: الهم والحزن. يقول: ان جسمه ينقص بالهزال وبمقدار

قِفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بِالدَّوِّ مِنْ رَيَّـا كَخَالٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ (١)

بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِي (٢)

وَنُؤِيٍّ كَأَنَّهُـنَّ عَلَيْهِـنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ (٣)

نقصان الجسم تكون زيادة الحزن : أى كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص

(١) الدمنة : ماسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أى من دمن ريا ، فمن : بيانيه ، كقول زهير :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والخال : شامة ، أى بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون فى الخد . شبه دمنتيها فى الصحراء بخالين فى خد يقول : قف بدمنتى هذه المحبوبة لتنظرهما وتذكر من كان فيهما من أهليهما ، فقد بقيتا كأنهما خالان فى خد

(٢) الطلول : مابقى من آثار الديار وبطلول : متعلق بقف . والعراص : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : قف بطلول لائحات فى العراص كما تلوح النجوم فى الليالى . يعنى أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح فى عراص خالية كما تلوح النجوم فى الليالى المظلمة .

(٣) النؤى : جمع نُؤى ، وهو مايحفر حول الخباء يقيه ماء المطر أن يدخله كالخندق . والخدام : جمع خدمة - بفتحتين - الخلخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛ والسوق : جمع ساق ، والخدال : الغلاظ السمان . شبه النؤى حول آثار الأخبية فى استدارتها بالخلاخيل حول الأسؤق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخلخال فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النؤى لم تدفن فى التراب ، وأن ما أحدقت به

لَا تَلُمْنِي فَإِنَّنِي أَعْشَقُ الْعُشَّـاقِ فِيهَا يَا أَعْذَلَ الْعُـذَّالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَّةِ الذَّوَّا قِ حَرَّ الْفَلَا وَبَرْدَ الظِّلَالِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْ تِ وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خَيَالِ (٣)
وَلِحَتْفٍ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فِي الذُّلِّ قَالِي (٤)

ملأها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال ، وهذا من قول أبي تمـام :

أثافٍ كالخدودِ لُطمنَ حُزناً وَنُؤْىٌ مِثلُ ماانفصم السوار

فنقل اللفظ من السوار إلى الخدام ، وأصله من قول الأول :

نُؤى كما نقصَ الهلالَ محاقهُ أو مثلُ ماقصمَ السوارَ المعصمُ

(١) فيهـا ، في المحبوبة ، أي في هواها : متعلق بتلمني : أي لا تلمني في هواها فإنني أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

(٢) النوى : البعد والفراق . وعنى بالحية : نفسه ؛ والحية تطلق على الذكر والأنثى . يريد : أنه قد تمرس بحر الفلوات في النهار وببرد الليل ، والليل ظل كله ، يعني أنه تعوّد السير في الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدي : وهذا شكاية من الفراق وأنه مبتلى به .

(٣) أمضى : أنفذ . والروع : الفزع والهول وأسرى من السرى ، وهو السير ليلا ، شبه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ، والخيال يوصف بالسرى ولا يكترث لبعد المسافات .

(٤) الحتف : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة لحتف ، ومحب : عطف على أمضى - في البيت السابق - والقالي : المبغض ، يقول : إنه محب للحتف القريب إذا كان في العز ، ومبغض للعمر في الذل وإن طال ذلك العمر ، يعني أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنِّ فِي زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ (١)

مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي الْـبِيدِ مَشْيَ الْأَيَّامِ فِي الْآجَالِ (٢)

كُلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فِيهَا أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذُّبَالِ (٣)

عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضِّرْ غَامَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)

---

(١) الركب : جمع الراكب . وقوله ملجن : أراد من الجن ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعنبر فى «بنى العنبر» وبلقين فى بنى القين والزى : الهيئة . يقول : إنهم كالجن فى إلفة المجاهل والفلوات وركائبهم كالطير فى سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبى تمام :

فى ثُبَةٍ إن سَرَوا فالجنُّ أو يمموا شُقةً فطير

«الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد»

(٢) الجديل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الأبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التى هى كالطير فى السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للآجال حتى تفنيها . وهذا من قول صريع الغوانى :

مُوفٍ على مُهَجٍ واليوم ذو رَهَجٍ كأنه أجل يَسعَى إلى أملِ

(٣) الهوجاء الناقة التى لا تستوى فى سيرها لنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء . والديامبم : جمع ديمومة ، وهى المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهى الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الفلوات تأثير النار فى دهن الفتيلة ، والمعنى قد أفناها السير كما تفنى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظمأ والحر فأثرت فيها أثر النار فى دهن الفتيلة

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه الممدوح بالبدر فى

مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْــكِ جَلَالًا وَيُوسُفًا فِي الْجَمَالِ

وَرَبِيعًا يُضَاحِكُ الْغَيْثُ فِيهِ زَهَرَ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي (١)

نَفَحَتْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْآمَالِ (٢)

هَمُّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ نَفْعُ الْمَوَالِي وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ (٣)

أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّعْــنُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرِّئْبَالِ (٤)

الحسن والشرف والعلو، وبالبحر فى الجود والكرم . وبالأسد فى البأس والشجاعة، ثم قال إنه مفضال أى كثير الفضل .

(١) وربيعا : عطف على مفعول يزر ـ فى البيت السابق ـ جعل الممدوح ربيعا ـ وهو الزمن المعروف ويطلق على الخصب ، وجعل عطاءه غيثا ـ مطرا ـ لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ،وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للجود ماأثنى عليه الشاكرون . يقول : إن جوده يمطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .

(٢) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الرياح : هبوبها فى البرد ؛ واللفح : هبوبها فى الحر . ونفح المسك ينفح : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه الممدوح بالربيع شبه ماانتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحيت مامات من آمالنا .

(٣) الموالى : جمع مولى : وهو الحليف والصديق ، والبوار : الهلاك

(٤) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن

وَالجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ (١)

أكبر العيوب: البخل، ومن ثم يتجنبه ويتحاماه، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما، وقال العكبرى ـ تفسيراً لصدر البيت ـ أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل. هذا: والرئبال مهموز ـ وقد سمع مخففاً؛ والجمع: الرآبيل والرابيل ـ على الهمز وتركه ـ قال بعضهم: يجوز فيه ترك الهمز، وأنشد لجرير:

رَبابيلُ البِـلادِ يَخفنَ منى وحيةُ أريحاءَ لِىَ استجابا (١)

ومثله لأبى حية النميرى:

ويَلقى كما كُنـا يداً فى قتالِنا رَبابِيلَ مافينا كَهام ولا نِكسُ

ويقال فلان يترأبل: أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد.

(١) النغمات: جمع نغمة، وهى هنا الصوت؛ والسيب: العطاء: يقول: عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نغمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى يطلبه؛ يعنى أنه يشق عليه نغمة السائل قبل الإعطاء؛ ويحكى أن الحسن بن على عليهما السلام أتاه مال من معاوية، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار، فأراد أن يقوم بها من مجلسه، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له، فقال الحسن لغلامه: ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها، فأخذها الأعرابى وقال له: ياابن بنت رسول الله! والله ماأتيتك إلاقاصدا، فماذا أعلمك بحالى؟ فقال له إنا أناس نعطى قبل السؤال شحا على ماء وجه السائل لنا، ثم أنشد:

نحنُ أناس جَنابُنا خَضِل يُسرع فيه الرجاء والأملُ

---

(١) أريحاء: بيت المقدس.

ذَا السِّرَاجُ الْمُنِيرُ هٰذَا النَّقِيُّ الْــجَيْبِ هٰذَا بَقِيَّةُ الأَبْدَالِ (١)
نَخُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فِي الْــمُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزَالِ (٢)

نبذُل قبل السؤلِ نائلَنا شُحًّا على مارجاهُ من يَسَلُ

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبي حفصة يرثى مَعْنَ بن زائدة :

ثوى مَن كان يحمِلُ كلَّ ثقلٍ ويَسبقُ فيضُ راحتهِ السؤالا

وقال الخطيب التبريزى : المعنى : يلتذ بنغمات السائل كما يلتذ الجراح (١)

وقد روى اليازجى هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعَماتٌ سُبقتْ قبل سيبه بسؤال

وشرحه هكذا : يجوز فى «نعمات» كسر العين على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعِمَ ، فتكون جمع الجمع ؛ وبسؤال : متعلقة بسبقت . يريد: أن عادته سبق عطائه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ، كان ذلك مؤلما له كالجراحة عند المجروح

(١) جعله سراجا منيرا لأنه برأيه يُهتدى فى مشكلات الخطوب ودجنات الأمور ، أو بعلمه يهتدى إلى ما أشكل من المسائل . والجيب : ماانفتح من القميص على النحر . والنقى الجيب : عبارة عن الطاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس . والأبدال : العباد الزهاد ، سموا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء فى إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(٢) النضح : الرش . والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية . والزلزال -بفتح الزاى- الاسم ، وبكسرها : المصدر . يقول - مخاطبا صاحبيه - : رشا

---

(١) لعل الإمام التبريزى يريد كما يلتذ بالجراحات التى تصيبه فى الوغى : أى أنه كريم شجاع .

وَامْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ئِكُمَا تُشْفَيَا مِنَ الْإِعْلَالِ (١)

مَالِئًا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقَ وَالْغَرْ بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ (٢)

قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْـ ـيَا وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشِّمَالِ (٣)

نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْـ ـرُ وَأَلْحَاظُهُ الظُّبَى وَالْعَوَالِي (٤)

وَلَهُ فِي جَمَاجِمِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقْعُهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَبْطَالِ (٥)

الماء الذي يسيل من رجله إذا توضأ على المدائن تصر آمنة من الزلزال ببركة صلاحه.

(١) البقير: قميص يشق بلا كمين، وهو بيان للثوب. والإعلال: مصدر أعله الله إذا أصابه بعلة، وهى المرض. يقول: واستشفيا بثوبه تبركا به حتى تشفيا عما بكما من الإعلال

(٢) مالئا: حال مضمرة العامل، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه.

(٣) يقول: إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها.

(٤) الظبي: جمع ظبة، حد السيف. والعوالى: الرماح. يقول: نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش، وتدبيره بأصابته فى الرأى يكفل له النصر، وهيبته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح.

(٥) قال الواحدى: يعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فاذا فنى المال أتى أعداءه فضرب جماجهم وأغار على أموالهم. كما يقال هو مفيد ومتلاف، فوقع ضربه فى رؤس أمواله يكون فى الحقيقة فى رؤس الأبطال، لأنه لو لم يفرق ماله ماعاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم، وهذا كقوله:

فَالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَى مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ

فَهُمُو لاتِّقائِهِ الدَّهْرَ فى يَوْ مِ نِزالٍ ولَيْسَ يَوْمَ نِزالِ (١)
رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ العَنْبَرِ الوَرْ دِ وطِينُ العِبادِ مِنْ صَلْصالِ (٢)
فَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لاقَتِ المَا ءَ فَصارَتْ عُذُوبَةً فى الزُّلالِ (٣)
وبَقايا وَقارِهِ عافَتِ النَّا سَ فَصارَتْ رَكانَةً فى الجِبالِ (٤)
لَسْتُ مِمَّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السِّلْـ مَ وأَنْ لا تَرَى شُهُودَ القِتالِ (٥)
ذاكَ شَىْءٌ كَفاكَهُ عَيْشُ شانِيـ ـكَ ذَلِيلاً وقِلَّةُ الأَشْكالِ (٦)

---

(١) يقول : هم أبداً يخافونه حتى كأنهم فى يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جنى : أى فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضائه فيهم ، وإن لم يباشرهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذى يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقائه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) الماء الزلال : البارد السائغ . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقى من طينته التى خلق منها اجتمع مع الماء فصار عذبا .

(٤) عاف الشىء : كرهه ، والركانة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقى مما أُعطى من الحلم والرزانة كره وأنف أن يحل فى الناس فحل فى الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركانتها .

(٥) يغره : يخدعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأى : والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتتمة المعنى فى البيت التالى .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال ؛ وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشانى : هو الشانئ - بالهمز - أى المبغض ؛ وذليلا : حال ، والأشكال : الاشباه

وَاغْتِفَارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْهُ جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ (١)

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِى الْحَرْبِ أَعْرَا ءً وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِى جِلَالِ (٢)

وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى لَوْنَهُ فِى ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ (٣)

والأمثال. يقول: لا يغرنى ماأراه من محبتك السلم وأنك لاترى حضور القتال، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أكفاء لك يستحقون أن تنازلهم فى حرب.

(١) واغتفار: عطف على فاعل كفاكه، ومن فى منه زائدة: أى لو غيره السخط. والهام: الرؤس، والكناية فى هامهم تعود إلى الأعداء دل عليه قوله عيش شانيك. يقول: وكفاك القتال عفوك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لدست رؤسهم بحوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالها. وقال ابن جنى: لو أحفظوك وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم، ولقد أحسن فى كنايته عن الحفيظة بقوله: لو غير السخط منه، ومثله:

وَلَوْ ضَرَّ خَلْقاً قَبْلَهُ مَا يَضُرُّهُ لَأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ

كنى عن الضرر بأثر فيه.

(٢) لجياد: متعلق بمحذوف حال من نعال - فى البيت السابق - ففيه تضمين، وقد عابه عليه قوم. والاعراء: جمع عرى، وهو الذى لاسرج عليه. يقال فرس عرى وأفراس أعراء، والجلال: جمع جل، وهو ما تُلبسه الدابة. يقول: إنها تدخل الحرب أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها، كما قال جرير:

وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا

(٣) استعار: معطوف على جواب «لو»، والمراد بالحديد: السيوف. والذوائب: جمع ذؤابة، الخصلة من الشعر. يقول: إن سيوفه تستعير وتعير

أَنْتَ طَوْرًا أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ وَطَوْرًا أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ (١)

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّا ... سُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي (٢)

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجى يوما فقال له : وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك نطردنا به ظبيا ولم يكن لنا صقر . فاستحسنت صيده ، فقال : أنا قليل الرغبة فى مثل هذا ، فقال أبو على : إنما اشتهيت أن تراه فتستحسنه، فتقول فيه شيئاً من الشعر ، قال أنا أفعل أفتحب أن يكون الآن ، قال : أيمكن مثل هذا ، قال نعم ؟ وقد حكمتك فى الوزن والقافية ؛ قال لا ، بل الأمر فيهما إليك ، فأخذ أبو الطيب درجا وأخذ أبو على درجا آخر يكتب فيه كتابا فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال :

وَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلِ ... وَلَا لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهُطَّلِ (٣)

فان لون الذوائب وهو السواد ينتقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ولونها - وهو البياض - ينتقل إلى الذوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(١) الطور التارة ، ونصب على الظرفية ؛ و الناقع من السم : الثابت فى بدن شاربه لا يزايله حتى يقتله ؛ والسلسال : الماء العذب الذى يتسلسل فى الحلق . يقول : أنت سم لأعدائك حلو لأوليائك ، وهذا المعنى طرقه كثير من الشعراء قال أبو دؤاد :

فَهُمُ لِلْمُلَايِنِينَ أَنَاةٌ ... وَعُرَامٌ إِذَا يُرَامُ الْعُرَامُ

وقال أبو نواس :

حَذَرَ امْرِىءٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا ... كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَاسَةٌ وَلَيَانُ

ونقله أبو الشيص إلى السيف قال :

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ ... وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

(٢) يقول : أنت الناس فاذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .

(٣) ومنزل : أى ورب منزل . والغاديات : السحائب المنتشرة صباحا ؛

نَدِى الْخُزَامَى ذَفِرِ الْقَرَنْفُلِ   مُحَالِّ مِلْوَحْشِ لَمْ يُحَلَّلِ (١)
عَنَّ لَنَا فِيهِ مَرَاعِى مُغْزِلِ   مُحَيَّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْئِلِ (٢)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِعَنْ لُبْسِ الْحُلِي   وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّفَضُّلِ (٣)

والهطل : جمع هاطلة ، وهى الـكثيرة الماء . يقول : رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لأنا نرتحل عنه وليس بمنزل لشيء غير السحاب الباكرة الماطرة ، يعنى روضا نزلوه . وقد أسلفنا القول على واو رب فى هذا الشرح

(١) الندى : الرطب ؛ والخزامى والقرنفل : نبتان طيبان . والأذفر : الذكى الرائحة . والمحلل : الذى يحل كثيرا . وقوله ملوحش : أى من الوحش ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام . يقول : يحله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنس . قال الجوهرى : مكان محلل : إذا أكثر الناس به الحلول ، قال امرؤ القيس :

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير المحلل (١)

(٢) عنّ : ظهر ؛ والمراعى . الذى يرعى مع غيره . يقال : راعت الظبية اختها : أى راعت معها ، والمغزل : الظبية لها ولد . والمحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله : أى أهلكه . والموئل : المنجا . يقول : ظهر لنا فى هذا الموضع ظبى يرعى مع ظبية مغزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حيثما ذهب .

(٣) الجيد : العنق ، والحلى بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقافية . جمع حلى بفتح فسكون ماتتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر

(١) أراد بقوله بكر المقاناة درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها ، ثم قال غذا هذه الدرة ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك ، والمقاناة الخلط : وكل شيء خالط شيئاً فقد قاناه ، ويروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . فى البيت آراء كثيرة فى معناه (انظر الزوزنى واللسان مادة قنى).

كَأَنَّهُ مُضَمَّخٌ بِصَنْدَلِ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الأَيِّلِ (١)
يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ فَحَلَّ كَلَّابِي وَثَاقَ الأَحْبُلِ (٢)

والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يبتذل فى المنزل ، ومنه قوله امرؤ القيس:

وتُضحِي فَتِيتُ المسكِ فَوقَ فِراشِها نَؤومُ الضُحَى لم تَنتطِقْ عَن تَفضلِ (١)

وفى حديث امرأة أبى حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبى حذيفة يرانى فُضُلا - أى متبذلة فى ثياب مهنتى - وليس لنا إلا بيت واحد ، فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبى حسن جيده عن أن يلبس حليا يتزين بها وقد تعوّد العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(١) ضمخ، بالطيب. طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الظباء، ومعترضا: حال مضمرة العامل، أى أصفه بما ذكر فى حال كونه معترضا، والأيل الذكر من الأوعال، وفيه ثلاث لغات : أيّل وإيّل وأُيّل ، والجمع أيابيل ، وربما قالوا فى إيل إجل، يبدلون الياء جيما ، قال أبو النجم :

كأن فى أذنابهن الشوّل من عبس الصيف قرونَ الإجلِ

قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الياء المشددة جيما . ويروى قرون الإيل ، شبه المتنبى لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .

(٢) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق : مايشد به . والأحبل : جمع حبل . يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله، فيحل الكلاب ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

---

(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة يريد أنها مخدومة منعمة تُخدم ولا تَخدم . (٢) العبس مايبس على هُلْب الذنب من البول والبعر .

عَنْ أَشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ أَقَبَّ سَاطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ (١)

مِنْهَا إِذَا يُثْغَ لَهُ لَا يَغْزَلِ مُوَجَّدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ (٢)

لَهُ إِذَا أَدْبَرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنْجَلِ (٣)

---

(١) عن أشدق : متعاق بحل؛ أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق: الواسع الشدق . والمسوجر . الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير . والمسلسل : الذى فى عنقه سلسلة . والأقب : الضامر؛ والساطى: الذى يسطو على الصيد ، أى يصول عايه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض . والشرس: السيء الخلق . والشمردل : القوى السريع الفتى الحسن الخلق : يقول : إنه حل الأحبل عن كاب بهذه الأوصاف .

(٢) الضمير فى «منها» للكلاب المفهومة من قوله كلابى : أى صاحب كلابى. وقوله إذا يثغ: من الثغاء؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يغزل : أى لا يفتر عن الطالب . وذلك أن الكلب إذا دنا من الظبي وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه فغزل الكلب - أى تحير - ووقف مكانه من صوت الغزال، وجزم الفعلين - يثغ ويغزل - بإذا على تضمينها معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب لا يفرق من صوت الغزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد : الموثق القوى ؛ والفقرة : - بكسر الفاء وفتحها - ومثلها الفقارة - بالفتح : واحدة فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، والجمع فِقَر وفقار، وقيل فى الجمع فِقْرات وفِقَرات وفقِرات . يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل وذلك أسرع لأخذه .

(١) السجنجل : المرآة . يقول : إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه.

يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدْوَ الْمُسْهِلِ ... إِذَا تَلَا جَاءَ الْمَدَى وَقَدْ تُلِي (١)
يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِي الْمُصْطَلِي ... بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ (٢)
فُتْلِ الْأَيَادِي رَبِذَاتِ الْأَرْجُلِ ... آثَارُهَا أَمْثَالُهَا فِي الْجَنْدَلِ (٣)

وذلك لسرعة التفاته وشدة تيقظه، وقد شبه صفاء حدقته بالمرآة. ويروى. فى سجنجل: أى كأن أمامه مرآة ينظر فيها فتريه ماخلفه أمامه.

(١) يعدو: يجرى، وأحزن: سلك فى الحزن: أى الوعر؛ وأسهل: سلك فى السهل؛ وتلا: تبع؛ والمدى: الغاية. يقول: إنه يعدو فى الحزن من الأرض عدو الذى هو فى السهل لقوة قوائمه، وإذا تبع سائر الكلاب فى طلب صيد بلغ الغاية التى يريدها، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه. فصار متلوا بعد أن كان تالياً.

(٢) الأقعاء: أن يجلس الكلب على إليته، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفأ بها — أقعى على استه ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره وجلوس مفعول مطلق معنوى، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل: أى بأربع قوائم؛ والحرف: متعلق بيقعى؛ والمجدولة: المفتولة، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد، وإنما هى كذلك خلقة.

(٣) فتل الأيادى: صفة لأربع، يقال يدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسها عند العَدْو، وذكر يديه بلفظ الجمع، وكذلك الأرجل، والعرب تفعل مثل ذلك فى التثنية. هذا: والأيادى أكثر ماتستعملها العرب فى النعم يقولون لفلان عندى يدوأياد. والربذات: الخفيفات السريعات. والجندل الصخر. يقول: إن قوائمه مفتولة سريعة فى العدو شديدة الوطء لقوتها، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارا مثل صورتها. هذا: وقدقالوا إن الكلب

يَكَادُ فى الْوَثْبِ مِنَ التَّفَتُّلِ ... يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ (١)
وبينَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ ... شَبِيهِ وَسْمِيِّ الْحِضَارِ بِالْوَلِى (٢)
كَأَنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرْوَلِ ... مُوَثَّقٌ عَلَى رِمَاحٍ ذُبَّلِ (٣)
ذِى ذَنَبٍ أَجْرَدَ غَيْرِ أَعْزَلِ ... يَخُطُّ فِى الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمَّلِ (٤)

لا يوصف بثقل الوطء ، وإنما جاء هذا فى الخيل والابل ، فنقله المتنبى إلى الكلب .

(١) التفتل : كالانفتال . والمتن : جانب الظهر عند الصلب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره فى آن واحد .

(٢) الوسمى : أول المطر ؛ والولى : ما يليه . والحضار : العَدو الشديد، مصدر حاضره إذا جاراه فى الُحضر وهو العدو، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه: مبتدأ مؤخر ؛ ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه، كنى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته فى الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عَدوه الثانى فى القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعنى أنه لا يعيا ولا يفتر :

(٣) المضبر : المشدود المحكم الخلق ، ومثله الموثق ، والجرول الحجر ومنه سمى الحطيئة جرولا كما سموا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعنى بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٤) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذى لا يكون ذنبه على استواء مع فَقاره ، وذلك عيب فى الكلاب والخيل ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لمتنه ، ثم قال : إن آثار ذنبه فى الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمل ، وحساب الجمل معروف . قال العكبرى :

كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَعْزِلِ لَوْكَانَ يُبْلِى السَّوْطَ تَحْرِيكٌ بَلِى (١)
نَيْلُ الْمُنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الْمُرْسِلِ وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتْفُ التَّتْفُلِ (٢)

لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والمئين والألوف وهوخط قبطى؛ وذى ذنب: بدل من قوله أشدق.

(١) يقول: كأن ذنبه منفصل عن جسمه لكثرة تلويه وحركته، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه، كما أن السوط يكثر تحريكه ولا يبليه هذا التحريك؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه - الكلب - من سرعته وحدته يكاد يترك جسمه ويتميز عنه، قال: وقد لاذ فى هذا بقول ذى الرمة إلا أنه تجاوزه:

لا يَذْخرانِ مِنَ الإيغالِ باقيةً حتى تكادَ تفرَّى عنهما الأُهُبُ

وبقول أبى نواس:

تَراهُ فى الحُضْرِ إذا هَاهَى بِهِ يَكادُ أنْ يَخْرُجَ مِنْ إهَابِهِ (١)

فهذان ذكرا الاهاب - الجلد - وهو ذكر جميع الجسد، قال ابن جنى وقوله لوكان يبلى الخ: أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك.

(٢) نيل المنى أى به نيل المنى، أو هو نيل المنى: اى به ينال الصائدمناه، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه. والعقلة ما يعقل به الشىء من قيد ونحوه؛ والحتف: الهلاك؛ والتتفل: ولد الثعلب. يقول: إنه يدرك الظبى فيمنعه عن الإفلات؛ وهو من قول امرئ القيس:

• بِمُنْجَرِدٍ قَيدِ الأوَابِدِ هَيكَلِ •

ثم قال: ويدرك ولد الثعلب فيهلكه.

---

(١) ها هى به: زجره والضمير: لكلاّبه؛ والإهاب: الجلد.

فَانْبَرَيَا فَــذَّيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ   قَدْ ضَمِنَ الآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ[1]

فِي هَبْوَةٍ كِلَاهُمَا لَمْ يَذْهَــلِ   لَا يَأْتَلِي فِي تَرْكِهِ أَنْ لَا يَأْتَلِي[2]

---

(١) فانبريا : أى الكلب والظبي : أى اعترضا للناظرين فى عَدْوِهما فَذّين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظبي آخر وعنى بالقسطل : الغبار الذى ثار من عَدْوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبي ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمان الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمانا منه .

(٢) الهبوة : الغبرة . ويقال ماألوت فى كذا وما أتليت وما أليت : أى ماقصرت . والذهول : الغفلة عن الشيء ، و«لا» فى «أن لا يأتلى» زائدة ، وهى تزاد فى مواضع كثيرة للإلمام بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : « فِي بِئْرِ لَا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرْ[1] »

أى فى بئر حور ؛ و«لا» زائدة «والحُور الهلكة» يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الهرب ، والكلب مجد فى

---

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها :

قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ   وعوّر الرحمن مَن ولى العَوَر

إلى أن قال :

واختار فى الدينِ الحروريّ البَطَر   فى بِئْرِ لاحُورٍ سَرَى وما شَعَرْ

بإفكِهِ حتى رأى الصُّبحَ جَشَرْ

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاه الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجى . وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك : الكذب ؛ وجشر الصبح : انفلق وأضاء .

مُقْتَحِمًا عَلَى الْمَكَانِ الْأَهْوَلِ ... يَخَالُ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجَدْوَلِ (١)

حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ افْعَلِ ... افْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَالْأَنْصُلِ (٢)

لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ ... مُرَكَّبَاتٍ فِى الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ (٣)

كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِى الشَّمْأَلِ ... كَأَنَّهَا مِنْ ثِقَلٍ فِى يَذْبُلِ (٤)

الطلب، ولا يقصر الكلب فى ترك التقصير ، وإذا لم يقصر فى ترك التقصير فقد جدّ

(١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والاقتحام : الدخول فى الأمر الشديد؛ والجدول : النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالى بما يستقبله من هول : فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر اظنه جدولا، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول .

(٢) افتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة ؛ والأنصل : جمع نصل . يقول : حتى إذا دنا الكلب من الصيد، وقيل له - بلسان الحال - أدركت فافعل ماتريد فعله من القبض عليه: كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

(٣) لما شبه أنيابه بالنصال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة ، إذ هى محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه (١) فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

(٤) يذبل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ريح الشمال من خفة الكلب وسرعته فى العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة فى جبل . جعل الكلب فى خفة العدو كالريح، وفى ثقله على الصيد كالجبل.

---

(١) الخطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهَا مِنْ سَعَةٍ فِى هَوْجَلِ كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ (١)
عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الْأَكْحَلِ (٢)
فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَدُّلِ وَصَارَ مَا فِى جِلْدِهِ فِى الْمِرْجَلِ (٣)
فَلَمْ يَضِرْنَا مَعَهُ فَقْدُ الْأَجْدَلِ إِذَا بَقِيتَ سَالِمًا أَبَا عَلِى (٤)
فَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ ثُمَّ لِى (٥)

---

(١)و(٢) الهوجل : المفازة ؛ والمقتل : الموضع الذى إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق فى الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه فى صحراء، وكأنه من تمييزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علّم بقراط — وهو الطبيب المعروف — علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التى يجوز فصدها كعرق الأكحل؛ وبعبارة أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له ، فصار فى دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التى يجوز فصدها كهذا العرق، هذا هو المعنى ، وبذا اتقى نقد الصاحب بن عباد هذا البيت ، إذ يقول ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد، وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل . . .

(٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة — أى الأرض — والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما فى جلده: لحمه . يقول : إن قوائم هذا الظبى التى كانت للوثوب صارت للتمرغ فى التراب حين أخذه الكلب وصار لحمه فى القدر .

(٤)و(٥) ضاره الأمر يضيره : كضره ومعه : أى مع الكلب . والأجدل: الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر، لأنه فعل فعله

وقال يمدح بدر بن عمار وقد فصد لعلة فغاص المبضع فوق
حقه فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ   فى الْبُعْدِ مَالاَ تُكَلَّفُ الْإِبِلُ (١)
مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا   مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ (٢)

فأغنانا عنه . ثم قال – مخاطبا الممدوح – : إذا بقيت سالما سُدتُ بك الناس كلهم، فيكون الملك بعد الله لى بك .

(١) أبعد: تفضيل؛ والنأى : البعد؛ و«ما» : نكرة موصوفة بمعنى شىء . يقول: أبعد مايكون من بعد المليحة بخلها ، إذلا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان البعيد . ثم قال : فى البعد أى فى جملة البعد وأنواعه مالا تكلف الابل قطعه وهو البعد بالبخل ، لأن الابل لا تقرب هذا البعد ، و فى مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلِم النأى قد كانت خلائقُها   مِن قبلِ وشكِ النوى عِندى نوًى قذَفا

ويقول أيضا :

فراقٌ جرعتهُ من فِراق   وَفِراقٌ جرعته مِن صُدودِ

ويقول البحترى :

على أنّ هِجرانَ الحبيبِ هُو النوى   لدى وعِرفانَ المسىء هوَ العذل

ويقول أيضا :

دَنت بأناس عَنْ تناءٍ زِيارَةٌ   وشطّ بليلى عَن تدانٍ مَزارُها

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإنّ مُقيماتٍ بمنعَرِج اللوَى   لأقرَبُ من مَىّ وهاتيك دارها

والأصل فى هذا قول المثقب العبدى :

أفاطمُ قبلَ بينكِ متّعينى   ومَنْعُكِ ماسألتُ كأن تبينى

(٢) ملولة : أى هى ملولة ؛ والتاء فيها : للمبالغة ، لأنه يقال : رجل ملول

كَأَنَّمَا قَـدُّهَا إِذَا انْفَتَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ (١)

يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَـا وَجِلُ (٢)

بِي حَرُّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَصِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ (٣)

أَلثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخَلْخَلُ وَالْـ ـمِعْصَمُ دَائِي وَالفَاحِمُ الرَّجِلُ (٤)

وامرأة ملول؛ «ما»: مفعول به؛ و«لها»: خبر ليس مقدم؛ وملل - آخر البيت - اسمها مؤخر. ومن ملل: متعلق به. يقول: إنها تمل كل شيء يدوم إلا مللها الدائم، فإنها لاتمله، ولو هي ملته لتركته وعادت إلى الوصل. ومن روى تدوم - بالتاء - كانت «ما» للنفي: أي ليست تدوم على حال.

(١) انفتلت، تثنت وتمايلت، وطرفها: لحظها؛ ورجل ثمل: أخذ منه الشراب. يقول: إنها تتمايل فى مشيها تمايل السكران، فكأن قدها نظر إلى طرفها فسكر من خمر عينيها كما يسكر منه عاشقوها.

(٢) وجل: خائف. يقول: إن عجزها - ردفها - ثقيل بكثرة اللحم، فهو يجذبها - إذا همت بالنهوض - إلى القعود فكأن عجزها فى ارتعاده واضطرابه - لكثرة لحمه - خائف من فراقها، والخائف يوصف بالارتعاد، وكذلك العجز إذا كثر لحمه. كما قال: ＊ إذا مَاسَتْ رأيت لها ارتجاجا ＊

أما تفسير ابن جنى المصراع الثانى بقوله: أى كأن عجزها وجل من فراقها فهو متساقط متجدل قد ذهبت منته وتماسكه: فهو بعيد.

(٣) إلى ترشفها: أى إلى ترشف فمها: أى مص ريقها. يقول: إذا اتصل بى ذلك الشوق انفصل الصبر: أى أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق؛ وقد طابق بين الانفصال والاتصال.

(٤) الثغر: مقدم الأسنان؛ والنحر: أعلى الصدر؛ والمخلخل: موضع الخلخال من الساق؛ والمعصم: موضع السوار من اليد؛ والفاحم: الشديد

وَمَهْمَهٍ جُبْتُــهُ عَلَى قَدَمِي ... تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُلُ (١)

بِصَارِمِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرَتِي ... مُجْتَزِىءٍ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ (٢)

إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ ... لَمْ تُعْيِنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيَلُ (٣)

السواد . يريد به الشعر ؛ والرَّجل - بفتح فكسر وبفتحتين - الذى بين السبط والجعد . يقول : إنه يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهي داؤه.

(١) ومهمه : أي ورب مهمه - أي فلاة - وجبته : قطعته . والعرامس : النوق الصلاب الشديدة، واحدتها عرمس . والذلل : المذللة بالعمل المروضة بالسير - جمع ذلول - يستوى فيه المذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يجوب الفلاة - التى تعجز عنها النوق الصلاب التى اعتادت السير - على قدمه .

(٢) الصارم: السيف ؛ ومرتد : أي متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجتزئ ومشتمل : أي أنا مرتد بصارمي مجتزئ - أي مكتف - بمخبرتي - أي معرفتي - مشتمل بالظلام . يقول : جبت هذا المهمه وأنا متقلد بسيفي مكتف بعلمي وخبرتي ، فلم أحتج إلى دليل يهديني الطريق . مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٣) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم مابعده : أي إذا تغير صديق علي ونحو ذلك . وأعياه الأمر : أعجزه، ويقال عَيَّ بأمره وعَيِيَ : إذا لم يهتد لوجهه ، والادغام أكثر ، ويقال في الجمع عَيُوا - مخففا - وعَيُّوا أيضاً - بالتشديد - وأعياني الأمر ، قال عمرو بن حسّان من بني الحارث بن همام :

فَإِنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا ... وَلَمْ أُفْتِرْ لَدُنْ أَنِّي غُلَامُ (١)

---

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفتقر فقراً شديداً ، ولا أمكنني جمع المال الكثير؛ ويروى أعناني : أي أذلني وأخضعني .

فِى سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ   وَفِى بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ [1]
وَفِى اُعْتِمَارِ الْأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّا   رِ عَنِ الشُّغْلِ بِالْوَرَى شُغُلُ [2]

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحواله لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، أى فارقته ولم أقم عليه .

(١) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما المشرق والمغرب . والمضطرب : موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجىء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسى بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إذا تنكَّرَ خِلٌ فاتخِذ بَدَلا   فالأرضُ مِن تُربَةٍ والناسُ مِن رَجُل

وقال البحترى :

فإذا ماتنكرتْ لى بِلاد   أو صَدِيق فإننى بالخيار

وقال عبد الصمد بن المعذل :

إذا وطن رَابنى   فكل بلاد وَطن

وما أجمل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكَرَتنى بَلدة أو نَكِرتُها   خرجتُ مع البازى عَلىّ سَوَاد [1]

(٢) الاعتمار : الزيارة ، يقال أتانا فلان معتمرا : أى زائرا ، قال أعشى باهلة :

وجاشتِ النفسُ لما جاء فَلهمُ   وراكب جاء من تثليثَ معتمر [2]

ويقال : اعتمر الأمر : أى أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيدالله ابن معمر القرشى :

---

(١) يقول : إذا لم يقدرنى أهل بلدة أولم أعرفهم فارقتهم مصاحباً للبازى الذى هو أبكر الطيور مشتملا على بقية من الليل غير منتظر لاسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعى : معتمر : أى زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ، وتسمى العمارة .

أَصْبَحَ مَالُ كَمَالِهِ لِذَوِي الْـحَاجَةِ لاَ يُبْتَدَى وَلاَ يُسَلُ (١)
هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلاَ جَذَلُ (٢)
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحِمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجَلُ (٣)

لقد سَما ابن مُعمَّر حين اعتمر مَغزًى بَعيداً مِن بعيدٍ وَضَبَرْ
تقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ (١)

يقول: قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره لأني صببت رجائي عليه وعلقت آمالي به، ويروى اعتماد - بالدال - ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتعليق الرجاء به

(١) كماله: صفة لمال؛ ولذوي الحاجات: خبر أصبح؛ ويسل: أي يسأل - حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى السين - يقول: إن المال المبذول مثل ماله قد صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاؤا: فلا هو يبتدئهم بالعطاء، ولاهم يسألونه، لأنه مالهم - لا ماله - ويروى: أصبح مالا - بالنصب - : أي أصبح للناس نافعا كما أصبح ماله نافعا لذوي الحاجات، أي أنه ينفعهم بنفسه، وماله فهو لهم مال، وكما أن ماله يؤخذ بلا إذن: كذلك لا يستأذن في الدخول عليه، فكل من ورد عليه أخذ ماله بلا ابتداء ولا مسألة من الوزاد

(٢) الجذل: السرور. يقول: لرجحان لبه ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور، ومن ثم لا يكون لهما أثر فيه: فلا يبطر لدى السرور، ولا يجزع عند الحزن.

(٣) الحمام: الموت. ودنا: قرب. والأجل: منتهى الحياة. يقول: إن الموت طائع أمره، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمردا على المقدور وخرقا له.

---

(١) يقول: ارتفع قدره حين غزا، وضعاً بعيداً من الشام، وجمع لذلك جيشاً، وضبر - أي جمع قوائمه - لذب؛ وكسر الطائر: ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع.

يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا   يَفْعَلُ قَبْلَ الْفَعَالِ يَنْفَعِلُ (١)

تُعْرَفُ فِى عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ   كَأَنَّهُ بِالذَّكَاءِ مُكْتَحِلُ (٢)

أُشْفِقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ   عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ يَشْتَعِلُ (٣)

أَغَرُّ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا   بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِى فَعَلُوا (٤)

---

(١) «ما» : اسم موصول، اسم يكاد ؛ والخبر : ينفعل ؛ وقبل : متعلق بينفعل. يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزيمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفعل قبل فعله، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شىء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِكَت بِهِ الأَقدَارُ حتى إنها   لتكادُ تفجؤُه بما لم يُقدِّرِ

«سدكت به : لزمته»

(٢) يقول : إن حقائق الخصال والمعانى التى طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه ، فكأن ذكاءه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه ، فهى ظاهرة فيها ظهور الكحل؛ وعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه — من حدة الذهن وذكاء النفس — تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ؛ فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٣) الاشفاق : الخوف . والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتعل : أى أخاف أن يشتعل ، فحذف «أن» ورفع الفعل . يقول : إذا اضطرمت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتعل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حدتها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومى : « أخشى عليكَ اضطرامَ الذهنِ لا حذرا »

(٤) أى هو أغر ؛ والأغر : السيد الكريم ، وأعداؤه : مبتدأ ؛ خبره

يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ (١)
جَرْدَاءَ مِلْءِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَي عَسِيبِهَا الْخُصَلُ (٢)
إِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ (٣)

ما بعده . يقول : هو سيد شريف ، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه : أعظموا فعلهم واستكبروه، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم . وقوله إذا سلموا بالهرب : إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات .

(١) أقبلته وجهى : حولته اليه وجعلته قبالته ، والسابحة : الفرس تسبح فى جريها ؛ وأربعها : أى قوائمها الأربع . يقول : يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمُها طَرْفَها : أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها ؛ وهذا من قول أبى نواس : * يَسبق طَرْفَ العين فى التهابه *

« أى فى شدة عَدْوه » . قال ابن جنى : أسرف فى المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف .

(٢) الجرداء : القليلة الشعر ، والمجفرة : الواسعة الجنبين ؛ والجفرة : سعتهما ؛ والعسيب : عظم الذنب ؛ والخصل : جمع الخصلة من الشعر . يقول: إنها تملأ الحزام بسعة جنبيها وعظم بطنها ، وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها، ويستحب فى الخيل قصر العسيب وطول شعره .

(٣) التليل : العنق ؛ والكفل : الردف ، ويستحب فيهما الاشراف . يقول : إنها مُشرِفة الكفل عريضة الصدر ، فإذا أدبرت منع أشراف كفلها من رؤية عنقها ، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها ؛ وعبارة الواحدى : من حيث تأملتها وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها ، كما قال على بن جبلة :

وَالطَّعْنُ شَزْرٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّمَا فِي فُؤَادِهَا وَهَلُ (١)
قَدْ صَبَغَتْ خَدَّهَا الدِّمَاءُ كَمَا يَصْبُغُ خَدَّ الْخَرِيدَةِ الْخَجَلُ (٢)
وَالْخَيْلُ تَبْكِي جُلُودُهَا عَرَقًا بِأَدْمُعٍ مَا تَسُحُّهَا مُقَلُ (٣)
سَارٍ وَلَا قَفْرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّمَا كُلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ (٤)

تحسبُهُ أقعَدَ في استقباله حَتّى إذا استَدْبَرْتَهُ قلتَ أكْبُ

يريد: هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتها حسنة فى إقبالها وإدبارها.

(١) والطعن شزر: جملة حالية: أى يقبلهم وجه كل سابحة فى هذه الحال؛ والطعن الشزر: ما كان عن يمين وشمال، وذلك أشد الطعن، وواجفة: مضطربة لشدة الحرب: أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا — أى فزعا — فهى ترعد من الخوف. ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلباً. وعبارة بعض الشراح: واجفة: أى مضطربة. يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدباراً حتى كأنها تمور بهم.

(٢) الضمير فى «خدها» للأرض؛ والخريدة: الحيية، شبه وجه الأرض متلطخاً بالدماء بخد الجارية الحيية إذا خجلت فاحمر لونها، واستعار للأرض خداً لمشاكلة ما فى الشطر الثانى

(٣) السح: السكب، والمقل: جمع مقلة. وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد. يريد أن الخيل - من شدة الطراد وما هى فيه من هول الحرب - قد عرقت، فجعل العرق مثل الدمع، إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون، ولكنه جار من الجلود.

(٤) سار: يروى بكسر فتنوين: اسم فاعل. من السرى، ويروى بالفتح: فعلا ماضياً، والمواكب: الجيوش؛ والسبسب: الفلاة الواسعة. يقول: قد عم القفار والأماكن الخالية بجيوشه فملأها حتى لم يبق قفر. وشبه

يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسَلُ (١)
يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةُ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ (٢)

السبسب بالجبل لكثافة جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكمت فى السهول على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(١) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحهم اشتبكت وتضايق مابينها حتى لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها والتحامها؛ وأصل هذا المعنى لقيس بن الحطيم :

لَوَ انَّكَ تُلْقِى حَنْظَلاً فَوْقَ بَيْضِنَا تَدَحْرَجَ عَنْ ذِى سَامِهِ الْمُتَقَارِبِ

« عن ذى سامه : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى البيض ؛ يعنى البيض المموه بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : انهم تراصوا فى الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤسهم ـ على املاسه واستواء أجزائه ـ لم ينزل إلى الأرض » . ثم قال ابن الرومى :

فلو حَصَبَتْهُمْ بِالفَضَاءِ سحابة لَظَلَّت على هَامَاتِهِم تَتَدَحْرَجُ

فنزل عن الحنظل إلى البرد ، وبالغ فى ذلك ثم نزل المتنبى عن البرد إلى المطر ، وهو ألطف منه ، ثم أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

تضايقَ حَتَى لو جَرَى الماءُ فوقَهُ حَمَاهُ ازدحامُ البَيْضِ أنْ يَتَسَرَّبا

فنقله من المطر إلى الماء .

(٢) ليث الشرى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر فى الحسن ، بحر فى الجود ، سحاب فى كثرة العطاء ، أسد فى الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل فى الحقيقة ، يعنى جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

إنَّ الْبَنَانَ الَّذِى تُقَلِّبُهُ عِنْدَكَ فِى كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ[١]
إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَادُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا[٢]

---

(١) عندك : صلة تقلبه ؛ وفى كل موضع : صلة مثل . يقول : إن كفك التى تقلبها وأنت فى بلدك وتصرفها فى العطايا والهبات قد اشتهر ذكرها فى كل موضع حتى صارت مثلا فى الجود . ويروى — نقبله — من التقبيل أى نقبله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبى ربيعة :

* فقالت وعضت بالبنام فضحتنى *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيبويه :

قد جعلت مىُّ على الظرارِ خمسَ بنانٍ قانىء الأظفار[١]

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان مخضب، لأن كل جمع بينه وبين واحده الهاء فإنه يوحد ويذكر.

(٢) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار . وبعبارة أخرى : إن مقتضى جودهم أن لا يبقوا

---

(١) قال الشنتمرى : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس ، على تقدير: خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهى حجارة مستديرة محددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الظرار ؛ ويروى على الطرار - بطاء غير معجمة - جمع طرة ، وهى عقيصة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج فى صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الأصبع ؛ والقانىء : الشديد الحمرة من الخضاب.

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا ... قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا (١)

أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفَتْ ... قَوَاضِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ (٢)

أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَـكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى زُحَلُ (٣)

كَتِيبَةٌ لَسْتَ رَبَّهَا نَفَلٌ ... وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ (٤)

على شيء، فإذا أعطوا كل مايملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرئوا أنفسهم من البخل.

(١) امتشق السيف: استله وأسرع الطعن والضرب؛ واعتقل الرمح: جعله بين ساقه وركابه. يقول: إن لقلوبهم مضاء سيوفهم، ولقاماتهم طول رماحهم. وقال ابن وكيع ـ وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبي وولوعه بالتشهير به وبسرقاته ـ أخذ هذا من قول عوف بن محلم الشيباني:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا ... قد أحوجت سمعي إلى تَرْجُمانِ

وَبَدَّلَتْنِي بالشَّطَاطِ انحنا ... وكنتُ كالصَّعْدَةِ تحت السِّنانِ

(٢) و (٣) قواضب الهند: أي السيوف القواطع، والذبل: الطوال الصلاب. وحومة كل شيء: معظمه؛ والوغى: الحرب. وزحل: من كواكب النحس، والقمر: سعد. يقول: أنت رجل نقيض اسمه في الحرب، لأن البدر الذي هو اسمك من كواكب السعد، ولكنك في الحرب نحس على أعدائك. لأنك هلاك لهم... أو تقول ـ كما قال بعض الشراح ـ: إن البدر منير فيهتدى به في الأسفار، وأنت في الحرب نقيض اسمك، إذ تقتل الناس وتثير الغبار بالخيل فتظلم الأرض، ففعلك في الحرب نقيض فعلك في السلم.

(٤) الكتيبة: القطعة من الجيش؛ وكتيبة: مبتدأ؛ والخبر: نفل؛ وكذا في المصراع الثاني؛ والنفل: الغنيمة؛ والحلي: الزينة. والعطل: التي لا حلي لها.

قُصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ (١)
لَمْ تُبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا العِلَلُ (٢)

يقول: كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو، وكل بلدة لست زينتها هى عطل لا زينة لها.

(١) شرقها ومغربها: أى الأرض، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به. والركاب: الإبل. يقول: قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت اليك والطرق بكثرة ما وطئت وذللت بالخفاف والحوافر والأقدام. وقال بعض الشراح: لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين ... وليس بشيء، وشكوى الإبل كثيرة فى الشعر، قال أبو العتاهية:

إنّ المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليكَ سباسباً ورِمالا

وقال البحترى:

تَشكّى الوجَى والليلُ مُلتبِسُ الدجى غُرَيرِيّة الأنساب مَرْتٌ بقيعُها

«الوجى: الحفا؛ والمرت: المفازة لا نبات فيها؛ والبقيع: الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى»

أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبي.

(٢) قليل عافية: أى عافية قليلة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. وتجتديكها: أى تستوهبك إياها؛ والعلل: الأمراض. يقول: بذلت كل مالك ولم يبق لك إلا قليل من العافية فقدمت العلل عليك تستوهبه منك، وهذا كقوله السالف:

وبذلتَ ما مَلَكَتْهُ نفسُكَ كُلَّهُ حتى بذلتَ لهذهِ صِحّاتِها

عَذَرُ الْمَلُومَيْنِ فِيكَ أَنَّهُمَا ... آسٍ جَبَانٌ وَمِبْضَعٌ بَطَلُ (١)

مَدَدْتَ فِى رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَداً ... وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الْأَمَلُ (٢)

إِنْ يَكُنِ الْبَضْعُ ضَرَّ بَاطِنَهَا ... فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبَلُ (٣)

---

(١) الآسى : الطبيب ؛ والمبضع : حديدة الفاصد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد بالملومين : ماذكره بعد من الآسى والمبضع . وقد كان الفصّاد فصده وأخطأ فى فصده ونفذت حديدته فى يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطبيب والمبضع ملومين فى ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطبيب كان جبانا فارتعدت يده هيبة لك ، والمبضع كان شجاعا — أى حاداً نافذاً — فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطبيب عذراً آخر فى البيت التالى .

(٢) يقول : إنما وقع للطبيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعاً ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطبيب كيف يقطع الأمل ؛ لأنه إنما تعود قطع العروق ، لاقطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله :

يافاصدًا لِيَدٍ جلّت أياديها ... ونال منها الذى يرجوه راجيها
يَدُ الغِنى هى فارْفق لا تُرق دَمها ... فإن أرزاق طُلابِ الغِنَى فيها

وقال أيضاً للخليفة المعتمد :

ياذمًّا سال من ذراع الامام ... أنت أذكى من عنبر ومدام
قد حسبناك إذ جريت إلى الطَّسْـ ... ـتِ دموعا من مُقلَتَىْ مستهام
إنما غيّب الطبيبُ شَبا المِبْـ ... ـضع فى نفس مهجة الاسلام

(٣) البضع : الفصد ؛ والقبل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقبيل . وأراد بضر القبل : كثرة تقبيل الناس ظهر كفه حتى أثرفيه وضره . قال الواحدى:

يَشُقُّ فى عِرقِهَا الفِصَادُ وَلَا ... يَشُقُّ فى عِرقِ جُودِهَا العَذَلُ (١)

خَامَرَهُ إذْ مَدَدْتَهَــا جَزَعٌ ... كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةٍ عَجِــلُ (٢)

وقد أكثر الشعراء من ذكر تقبيل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقبل غير أبى الطيب، وهذا من مبالغاته، قال ابن الرومى:

فامْدُدْ إلىَّ يداً تعوّدَ بَطْنُهَا ... بَذْلَ النوالِ وظَهْرُهَا التقبيلا

وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل:

لِفَضلِ بن سهلٍ يَدٌ ... تَقاصَرَ عَنهَا المَثَلْ

فباطِنُها للنــدَى ... وظاهرها للقُبَلْ

وقال أبو الضياء الحمصى:

وما خُلِقَتْ كفَّاكَ إلا لأربع ... وما فى عبادِ الله مِثلكَ ثان

لتجريد هِندىّ وإسداءِ نائلٍ ... وتقبيلِ أفواه وأخذِ عِنانِ

وقد ملح من قال:

يدٌ تراهَا أبدا ... فوقَ يدٍ وتحت فمْ

مَا خُلقت بنانُها ... إلاّ لسيف أو قلم

(١) الفصاد: هو الفصد؛ وأراد بالشق: التأثير والنفاذ. ومن ثم عدّاه بفى، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده؛ والعذل: الملام. يقول: إن الفصد يؤثر فى يده، ولكن لا يؤثر الملام فى جودها، أى لا ينجع قول اللائمين فيه. وقد نظر فى هذا إلى قول أبى تمام:

خلائقُ كالرَّغْفِ المضاعَفِ لم يكن ... لِيُنقِذَها يوماً شَباةُ اللوائم

(٢) خامره: خالطه، والجزع: الفزع وقلة الصبر؛ والحذاقة: مصدر كالحذق؛ والعجل: المستعجل. يقول: خامرى الطبيب - حين مددت يدك اليه

جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأُمِّهِ الْهَبَلُ (١)

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ (٢)

ارْثِ لَهَا إِنَّهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أَسَلْتَ تَنْهَمِلُ (٣)

مِثْلُكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكِ الدُّوَلُ (٤)

وقال أيضاً يمدحه :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالَا وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لَا الْجِمَالَا (٥)

للفصد ـ جزع من هيبتك فعجل فى الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه، وهو على الحقيقة عجل من خوفه.

(١) جاز الشيء: تعداه؛ وغير اجتهاد: مفعول أتى؛ والهبل: الثكل. يقول: بالغ فى الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهاد لأن الخطأ من فعل المقصرين المتهاونين، ثم دعا عليه فقال لأمه الثكل.

(٢) التعمق: بلوغ عمق الشيء ـ وهو أقصاه ـ يريد به المبالغة ومجاوزة الحد. يقول: إن النجاح فى الأمور مقرون بما يفعله الانسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سجيتها، فإذا تكلف وبالغ وتعمق زل فأخطأ.

(٣) ارث لها: رق؛ وبما وبالذى: متعلقان بتنهمل. يقول ـ مخاطباً الطبيب ـ: ارفق بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته: أى تجود بمالها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها: أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء.

(٤) إلا لمثلك: أى إلا لك. يقول: لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريما سخيا لينتفع الناس بدولته.

(٥) زم البعير: خطمه بالزمام، واسم ليس: ضمير الشان، وهم: مبتدأ،

تَوَلَّوْا بَغْتَــةً فَكَأَنَّ بَيْنًا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالَا (١)

وخبره : محذوف : أي ليس الأمر والخبر هم شاؤا . فحذف « شاؤا » لتقدمه في أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير : بقائي شاء الارتحال ليسوا شاؤا ، ويجوز أن تكون «ليس» هنا حرفا عاطفاً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عني ارتحل بقائي ، فكأن بقائي شاء ارتحالا ، لاهم شاؤا ذلك ، وكأنهم زموا صبري للسير ، لاجمالهم ، لأني فقدت الصبر بعدهم ، وإنما نفى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنا ، فكأن ارتحالهم ليس ارتحالا عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه . وعبارة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحلت حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذي أراد الارتحال ، لاهم . ولما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شيء واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولاصبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أي سبق ارتحالهم ، يقال شاءه وشآه : إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائي أراد رحيلهم ، فشاء من المشيئة ، فليتني مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبني : هابني . والاغتيال أخذ الانسان من حيث لا يدري . يقول : كأن البين هابني ففاجأني باغتياله ؛ يريد فاغتالني اغتيال مفاجأة .

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِم ذَمِيلاً وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالاَ (١)
كَأَنَّ الْعِيسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سَالاَ (٢)
وَحَجَّبَتِ النَّوَى الظَّبَيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالاَ (٣)
لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمِّلَاتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالاَ (٤)

---

(١) العيس : الكرام من الابل ؛ ويروى عيرهم ، وهى الابل التى تحمل الميرة ، والذميل : السير المتوسط . والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمعى ينصب فى أثرهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر ، ومثله لابن الرومى :

لهم على العِيسِ إمعان يشُطُّ بهم وَللدموع على الخدين إمعانُ

(٢) أناخ البعير: أبركه؛ وثرن : أى نهضن للمسير؛ والبيت مبنى على ما قبله. يقول: كنت لا أبكى قبل فراقهم، فكأن أبلهم كانت تمسك دمعى عن السيلان ببروكها فوق جفنى ، فلما فارقونى سال دمعى ، فكأنها ثارت للرحيل من فوق جفنى فسال ما كانت تمسك من دموعى . وهو تخيل بديع .

(٣) النوى: البعد والفراق ؛ والحجال : الخدور. يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عينى، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والخدور .

(٤) الوشى : الثياب المنقوشة؛ وحجر به وشى : أى حجر من معدن فيه ذهب ، أنشد ابن الأعرابى لأحيحة بن الجلاح يرثى ابنا له :

وَمَا هِبْرِزِيٌّ مِنْ دَنَانِيرِ أيلة بأيدِي الوُشَاةِ ناصِعٍ يتأكلُ
بِأحسَنَ مِنهُ يومَ أصبح غادِياً وَنفسِي فيهِ الحِمامُ المعجلُ

والوشاة الضرابون : يعنى ضراب الذهب ؛ ونفسى فيه : رغبتى، والهبرزى الدينار الجديد ، والتجمل : التزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب

وَضَفَّرْنَ الغَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ ... وَلٰكِنْ خِفْنَ فى الشَّعَرِ الضَّلَالَا (١)

بِجِسْمِى مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ ... وِشَاحِى ثَقْبَ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالَا (٢)

وَلَوْلَا أَنَّنِى فى غَيْرِ نَوْمٍ ... لَكُنْتُ أَظُنُّنِى مِنِّى خَيَالَا (٣)

أغرت على أبى الطيب فى قولك :

لبِسْنَ بُرودَ الوشى لا لتجملٍ ... ولكن لصَوْنِ الحُسْنِ بين برودِ

فقال: نعم ، كما أغار هو فى قوله :

مَابالُ هذى النجومِ حائرةً ... كأنها العُمْىُ مالها قائدْ

على بشار فى قوله :

والشمسُ فى كَبِدِ السماء كأنها ... أعمى تحيّر ماله قائدُ

(١) التضفير: فتل الذوائب ؛ والغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر. يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولكن خفن أن يضللن فيها لو أرسلنها لأنها تغشاهن كالليل . قال ابن جنى : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم تفرط فى ذلك مثل المتنبى ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلُها ذوائبَها ... لِجُنَنَ من قرنها إلى القدمِ

(٢) بجسمى : أى أفدى بجسمى ؛ وبرته : هزلته ؛ والوشاح : شبه قلادة تشده المرأة بين العاتق والكشح . يقول : أفدى بجسمى التى هزلته حتى لو جعلت وشاحى ثقب لؤلؤة لوسعنى حتى يدور علىّ إذا شئت أن أديره ، يصف دقته ونحوله ، ومثل هذا يقول الآخر :

قد كان لى فيما مضى خاتم ... والآن لو شئت تمنطقته

(٣) يقول : لولا أنى يقظان لكنت أظن نفسى خيالا ، يعنى أنه كالخيال فى الدقة ، إلا أن الخيال لا يرى فى اليقظة ، فقوله أظننى : أى أظن نفسى . وقوله منى : متعلق بخيالا : أى خيالا منى ، كما تقول : جاءنى خيال من المحبوب

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالاَ (١)

وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبْدَتْ ... لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالاَ (٢)

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالاَ (٣)

قال الواحدى : قوله منى : أى من دقى ، ويبعد أن يقال من نفسى ، لأنه قال أظننى ، ومعناه أظن نفسى ، ولا يقال أظن نفسى خيالا من نفسى . هذا : والعرب تقول ظننتنى وخلتنى وعلمتنى، ولم يرو عنهم ضربتنى ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا فى أحدهما لقوة تعديته ، وقد جاءت عدمتنى شاذة فى قول جِران العود:

لقد كان لى فى ضَرتين عدِمْتُنى ... وما أنا لاقٍ منهما مُتَزحزحَ

(١) الخوط : الغصن الناعم . ورنت : نظرت ؛ والمنصوبات فى البيت : أسماء وضعت موضع الحال . كأنه قال: بدت مشرقة، ومالت متثنية، وفاحت طيبا، ورنت مليحة ؛ أو تقول المعنى : بدت مشبهة قمرا فى حسنها ، ومالت مشبهة غصن بان فى تثنيها ، وفاحت مشبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالا فى سواد مقلتها . وهذا يسمى التدبيج فى الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بدُوراً وانتقبن أهلةً ... ومِسْن غصوناً والتفتن جآذِرا

(٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله فى الظلم لأنه جور عن الحق . يقول : هى فى حكمها جائرة، ولكن قدها معتدل لا جور فيه .

(٣) يقول : كأن الحزن يعشق قلبى ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتنى ،يعنى كلما هجرتنى واصل الحزن قلبى وعلق به . هذا : وقوله « مشغوف » روى بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة ؛ وقد قرئ قوله تعالى «قد شغفها حُبا» بالعين وبالغين، فمن قرأها بالعين فمعناه تيمها ،ومن قرأها بالغين يعنى أصاب شغاف قلبها : أو غشى الحب قلبها ؛ وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي ... صُرُوفٌ لَمْ يُدِمْنَ عَلَيْهِ حَالَا (١)

أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ ... تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالَا (٢)

أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي ... قُتُودِي وَالْغُرَيْرِيَّ الْجُلَالَا (٣)

إنى لأهواكِ غيرَ ذى كذبٍ ... قد شفَّ منى الأحشاءُ والشغفُ

أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هُنِئَ بالقطران يجد له لذة مع حرقة . قال امرؤ القيس :

لتقتلنى وقد شعفتُ فؤادها ... كما شعَفَ المهنوءةَ الرجلُ الطالى

«يعنى أحرقت فؤادها ، أى كما أحرق الطالى هذه المهنوءة ففؤادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة » .

(١) كذا : خبر مقدم عن «الدنيا» وصروف : خبر عن محذوف : أى هى صروف ؛ والصروف : الأحداث : يقول : إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن : أى كما هى على الآن ، ثم بين ذلك فقال : هى صروف لا تدوم على حالة واحدة .

(٢) فى سرور : خبر «أشد» والجملة بعده : نعت سرور . يقول : إن السرور الذى يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد الغم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور .

(٣) قتودى : جمع قتد ، وهو خشب الرحل ، والغريرى : المنسوب إلى غرير ، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل . والجلال : كالجليل - أى العظيم - كما يقال : طوال ، وطويل . يقول : تعودت الارتحال حتى ألفته ، وصارت الرحال أرضا لى ، لأنى أبداً على الرحال ، فهى لى كالأرض للمقيم .

فَمَا حَاوَلْتُ فِى أَرْضٍ مُقَامًا ... وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالَا (١)

عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِى ... أُوَجِّهُهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالَا (٢)

إِلَى الْبَـــدْرِ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِى لَمْ ... يَكُنْ فِى غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلَالَا (٣)

---

(١) المقام: مصدر ميمى، بمعنى الاقامة. وأزمع الأمر: وأزمع عليه: مضى فيه؛ وثبت عليه عزمه؛ وقال الكسائى: يقال أزمعت الأمر، ولا يقال أزمعت عليه. قال الأعشى:

أَأَزْمَعْتَ مِن آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا ... وَشَطَّت عَلى ذِى هَوًى أَنْ تُزَارَا

وقال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه: بمعنى، مثل أجمعته وأجمعت عليه. يقول: ماطلبت الاقامة فى أرض لأنى أبداً على سفر، ولا عزمت على الرحيل عنها. لأن الرحيل إنما يكون بعد الاقامة، ولا إقامة لى حتى أرحل؛ وقال ابن جنى: المعنى إذا كان ظهره — أى البعير — كالوطن لى فأنا - وإن جبت البلاد - كالقاطن فى داره.

(٢) على قلق: القلق الاضطراب؛ والجار والمجرور: فى موضع الحال من التاء فى ألفت؛ ويروى على قلق — بكسر اللام — أى بعير قلق. يقول: لاأستقر فى مقام كأنى على ظهر الريح. أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال، فعبر بالريحين عن الجانبين. ويروى يميناً أو شمالا، فتكون بكسر الشين.

(٣) غرة الشهر: أراد أول الشهر؛ وإلى البدر: يروى إلى بدر بن عمار — بدون أل — لأنه علم. ومن روى البدر: أراد بدر السماء، لا الاسم العلم، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر، ثم نسبه إلى أبيه، لأنه ليس بدراً على الحقيقة، وإن أشبهه: ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال، ولا بدر إلا وكان هلالا أولا؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالا قط، وقد فسر

وَلَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ ... وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالَا

بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ ... لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالَا (١)

حُسَامٌ لِابْنِ رَائِقٍ الْمُرَجَّى ... حُسَامِ الْمُتَّقِي أَيَّامَ صَالَا (٢)

سِنَانٌ فِي قَنَاةِ بَنِي مَعَدٍّ ... بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوُا النِّزَالَا (٣)

هذا بقوله : ولم يعظم لنقص «البيت» . وترك التنوين من «عمار» ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله «لنقص» فى البيت التالى — بمعنى بعد . كما فى قوله : * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(١) يقول : هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلا والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشىء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .

(٢) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام — الثانى — بدل من ابن رائق . يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للمتقى لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان المتقى حاربهم به فى خبر ليس هذا موضعه .

(٣) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبنى أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط الممدوح . قال الواحدى : يقول إن الممدوح سنان فى قناة العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد . فكأنه قال : هو سنان قناة بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران — بعض إلى بعض — من الخيل عند شدة القتال . يقول :

أَعَزُّ مُغَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا ... وَمَقْدِرَةً وَمَحْمِيَةً وَآلَا (١)
وَأَشْرَفُ فَاخِرٍ نَفْسًا وَقَوْمًا ... وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمًّا وَخَالَا (٢)

هو رئيسهم وصدرهم الذى به يقاتلون ، وفى مثل هذا المعنى يقول النامى - وقد قصر عنه المتنبى - :

إذا فاخَرَتْ بِالمَكْرُماتِ قَبِيلَة ... فَتَغْلِبُ أبناءُ العُلَى بكَ تَغْلِبُ
قَناةٌ مِنَ العَلياءِ أنتَ سِنانُها ... وَتِلكَ أنَابِيبٌ إليكَ وَأكْعُبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناة ، ثم قال : جعل بنى أسد — وهم رهط الممدوح — قناة — أى رمحا — لبنى معد ، وجعل الممدوح سناناً لهذه القناة : يعنى أن الممدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد: بنى أُسد - على أنه جمع أسد - وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى : يجوز أن يكون بنى أسد: منادى مضافاً : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا يا بنى أسد ؛ فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم إذا دعوهم أغنوا عنهم

(١) أراد بالعز - ههنا - الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة - بتثليث الدال - أى قدرة : ومحمية . بمعنى حماية : أى حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى الحمية : أى الأنفة وعزة النفس . ونصب المنصوبات الخمس على التميز . يقول : هو أعز من يغالب الأقران كفا ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الذود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منتسب . يقول : هو شريف حسيب إذا انتمى كان له الشرف من أبيه وأمه .

يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا مُحَالَا (١)
وَيَبْقَى ضِعْفُ مَاقَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتَّرِكْ أَحَدٌ مَقَالَا (٢)
فَيَا ابْنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدْنٍ مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطَلُ السُّعَالَا (٣)
وَيَا ابْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ مِنَ الْعَرَبِ الْأَسَافِلَ وَالْقِلَالَا (٤)

---

(١) الاثناء : مصدر أثنى عليه . يقول : إن المدح الذى يستعظم للدنيا وأهلها حتى يكون لافراطه محالا عليها إذا أطلق عليه كان حقا ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة أخرى : إن أحق مايصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان بالنسبة اليهم محالا . يعنى أن الناس كلهم لايستحقون أدنى مايستحقه من الثناء .

(٢) ضعف الشيء : أن يزاد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ماقدروا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ماقالوه من المحاسن . يعنى المادح والمثنى لايبلغ فى مدحه مايستحقه ، كما قالت الخنساء .

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ

وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

(٣) بكل لدن : أى بكل رمح لين المهز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول : ياابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ

(٤) العضب : السيف القاطع ؛ والقلال : جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا : الرؤوس . يقول : ياابن الضاربين بكل سيف رؤوس العرب وأرجلها .

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غُرُوا بِذَمِّي ... وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالَا (١)

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا (٢)

وَقَالُوا هَــلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا ... فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالَا (٣)

قال ابن جني : وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس فى قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسافل : اللئام ، وبالقلال : الكرام : أى ابن الذين يضربون الشريف والدنىء فلا يتركون أحداً ، أولا يهابون أحدا .

(١) المتشاعرون : الذين يدّعون الشعر وليسوا من أهله . وغرى بالشىء : أولع به؛ والداء العضال : الذى لا دواء له . يقول : إنه داء لهم يسقمون به حسدا ، ولذا لا يمكن أن يحمدوه .

(٢) الزلال : العذب الصافى الذى يزل فى الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثلهم معى كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرا لمرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذموننى لنقصانهم وغباتهم وعدم إدراكهم فضلى وشعرى ، فالنقص فيهم لا فىّ . ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(٣) يقول : إن الحساد قالوا لى حسدا له علىّ ولى عليه: هل يرفعك الممدوح إلى الثريا؛ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن أنحط عن منزلتى : أى أنه رفعه إلى ما فوق الثريا فإن استفل وانحط رجع إلى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة الممدوح . وهذا تخيل بديع . هذا: وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا: قيل لغزارة نوئها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال:

هُوَ الْمُفْنِي الْمَذَاكِي وَالْأَعَادِي ... وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الطِّوَالَا (١)

وَقَائِدُهَا مُسَوَّمَةً خِفَافًا ... عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ ثِقَالَا (٢)

جَوَائِلَ بِالْقُنِيِّ مُثَقَّفَاتٍ ... كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذُّبَالَا (٣)

إِذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيهَا صُخُورًا ... يَفِئْنَ لِوَطْءِ أَرْجُلِهَا رِمَالَا (٤)

خليليّ إني للثريا لحاسد ... وإني على ريب الزمان لواجد

أيجمعُ منها شملها وَهي ستة ... وأفقِدُ مَن أحبته وهو واحد

(١) المذاكى : الخيل المسنة ، وهى التى أتى عليها بعد قروحها سنة . وبيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى يفنى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة العكبرى : هو مفنى الخيل والأعادى بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهيبة والسيوف والرماح بالضرب والطعن ، ويجوز بالهبة .

(٢) قائدها : معطوف على المعنى ؛ والضمير : للمذاكى ؛ والمسومة : المعلمة . يقول : وهو قائد الخيل خفافا فى الركض ثقالا على الحى الذى تحل بساحته صباحاً للغارة ، أى ثقالا على الأعادى .

(٣) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة . و جوائل بالقنىّ : أى تجول بأرماح فرسانها ، والقنى : جمع القنا . ومثقفات : أى مقومات بالثقاف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايلى الأسنة . والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل .

(٤) يفئن : يعدن ويرجعن ؛ ويروى : بقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المعتز : * كأن حَصَى الصّمانِ من وقعِها رَملُ *

جَوَابُ مُسَائِلِي أَلَهُ نَظِيرٌ   وَلَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا أَلَا لَا (١)
لَقَدْ أَمِنَتْ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ   تَعُدُّ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالَا (٢)
وَقَدْ وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى   غَدَتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وِجَالَا (٣)
سُرُورُكَ أَنْ تَسُرَّ النَّاسَ طُرًّا   تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالَا (٤)

---

(١) جواب: مبتدأ: خبره: عجز البيت، وقوله أله نظير: فى محل نصب حكاية السؤال. يقول: إذا سألنى سائل فقال: هل لهذا الممدوح نظير؟ فجوابه: لا، ولالك أيضا نظير فى هذا السؤال، لأن أحدا لايجهل هذا غيرك، فأنت فى جهلك به بلا نظير. وأراد «لا، و «لا لك» فأخر المعطوف عليه ضرورة، كما قال الأحوص:

أَلا يانخلةً مِن ذاتِ عِرْقٍ   عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ (١)

وكرر النفى بقوله «ألا لا» إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه.

(٢) الاعدام: الاقتار والفقر. يقول: كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبتة.

(٣) وجالا: جمع وجل - بكسر الجيم - أى خائف: يقول: خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلت أوجالهم، وهذا كقولهم: جن جنونه، قال:

جُنونُكَ مجنونٌ ولستَ بِواجِدٍ   طبيباً يداوِي مِن جنونِ جنونِ

(٤) يقول: إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس، وإذا

---

(١) بعده:

سألتُ الناسَ عَنكِ فخبروني   هَناً مِن ذاكِ تكرهه الكرامُ
وليس بما أحلَّ اللهُ بأسٌ   إذا هو لم يخالطه الحرامُ

والنخلة: كناية جميلة عن المرأة: وكنى بالهناة عن الرفث .

إذَا سَألُوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وَإنْ سَكَتُوا سَألْتَهُمُ السُّؤَالاَ (١)
وَأسْعَدُ مَنْ رَأيْنَا مُسْتَمِيحٌ ... يُنِيلُ الْمُسْتَمَاحَ بأنْ يَنَالاَ (٢)
يُفَارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ الْمُلاَقَى ... فِرَاقَ الْقَوْسِ مَالاَقَى الرِّجَالاَ (٣)

كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ، لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه ، فهم يدلون عليك، إذ عرفوا منك هذا .

(١) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعددته منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لا يفوتك لذة العطاء .

(٢) الاستماحة : طلب العطاء ؛ والسماحة : الجود . يقول : أسعد الناس سائل يعطى مسؤله بأن ينال منه شيئاً ، يعنى أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئاً . والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الآخذ منه عطاءله فيراه حقا عليه ويسر بذلك . قال البحترى :

فَيكون أولَ سنةٍ مأثورة ... أن يَقبلَ المدوحُ رِفدَ المادِح

(٣) «ما» نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفا ، والتقدير فراقه للقوس وهو ما لاقى الرجال. يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذى يلاقيه نافذا منه ، وفيه نفس القوة التى فارق بها القوس حين لم يلاق أحدا بعد : أى إذا رمى رجلا بسهم خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس . يصفه بشدة نزع القوس وقوة الرمى وانطلاق السهم؛ ويجوز أن تكون «ما» ظرفا ، كأنه قال : يكون الأمر كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلمك ماطار طائر .

فَمَا تَقِفُ السِّهامُ عَلَى قَرارٍ ... كَأَنَّ الرِّيشَ يَطَّلِبُ النِّصالا [١]

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجارَى ... وَجاوَزْتَ العُلُوَّ فَمَا تُعالَى [٢]

وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لَمَا صَلَحَ العِبادُ لَهُ شِمالَا [٣]

أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَماءٍ ... وَإِنْ طَلَعَتْ كَواكِبُها خِصالَا [٤]

---

(١) النصال ، جمع نصل ، الحديدة التي تكون في السهم . يقول : إن سهامك إذا رميتها لا تقف عن مسيرها ، فكأن ريشها يطلب نصالها ليدركها فهي تمضي أبدا ، لأن الريش لا يدرك النصل ، لتقدم النصل عليه ، وهذا من قول ليلى الأخيلية :

ولما أن رأيتَ الخيلَ قُبْلاً ... تبارِي بالخدودِ شَبا العوالِي

نسِيتَ وصاله وصددتَ عنه ... كما صَدَّ الأزبُّ عن الظِلالِ [١]

فنقل المعنى من الخيل والخدود والعوالي : إلى السهام والريش والنصال .

(٢) جاراه : جرى معه ؛ وعالاه : غالبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في مراحل المساعي والمكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعاليك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين: الأولين: أي الذي غبروا ومضوا .

(٣) يفضله على جميع الناس . ويقول : إنه لو كان يمين شيء ما صلح الناس كلهم أن يكونوا شمالا لذلك الشيء ، وفي مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كانَ خلقُ اللهِ جَنباً واحِدَا ... وكنتَ في جنبٍ لكنتَ زائِدَا

نباهة ونائلا ووالدا

(٤) يقول : أنت في علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك

---

(١) قالت ليلى هذين البيتين في قائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا ... وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي المَهْدِ الكَمَالَا (١)

وخرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضربه بالسوط ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الخَدِّ أَنْ عَزَمَ الخَلِيطُ رَحِيلَا ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الخُدُودُ مُحُولَا (٢)

السماء خصالا ، جعله كالسماء ، وخصاله في الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحتري :

وَبَلَوتُ مِنكَ خَلائِقاً محمودَةً ... لو كُنَّ في فَلَكٍ لَكُنَّ نجوماً

(١) وأعجب : عطف على أقلب — في البيت السابق — . وتنشا : أصله تنشأ - بالهمز - فلينه للوزن ، وأراد أن تنشا ، فحذف « أن » . يقول : أنت قد ولدت كاملا ، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

(٢) أن عزم : أي لأجل أن عزم . والخليط : الذي يخالطك ويعاشرك ، والمراد به : الحبيب ، والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ، قال الشاعر :

إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدُّوا البين فانجَرَدوا ... وأَخلفوكَ عِدى الأَمرِ الذي وَعَدوا

وجمع الخَليطِ : خلطاء وخُلُط ، قال وعلة الجرمي في جمعه على خلط :

سائِلْ مُجاوِرَ جَرمٍ هَل جَنيتُ لهم ... حَرباً تُفَرِّقُ بينَ الجيرةِ الخُلُطِ

يقول : إن في خده - لأن عزم الحبيب فراقا - مطرا - يعني الدمع - تزيد الخدود به محولا - جدبا - ومحول الخدود : شحوبها وتخدد لحمها وذهاب نضرتها والمطر من شأنه أن تخصب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لو نبت العُشبُ مِن دموعٍ ... لكان في خَدِّيَ الربيعُ

يَانَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ وَغَادَرَتْ ... فِى حَدِّ قَلْبِى مَاحَيِيتُ فُلُولَا (١)

كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِى إِنَّمَا ... أَجَلِى تَمَثَّلَ فِى فُؤَادِى سُولَا (٢)

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً ... وَالصَّبْرَ إِلَّا فِى نَوَاكِ جَمِيلَا (٣)

وَأَرَى تَدَلُّلَكِ الْكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا (٤)

---

(١) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى مايلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرته إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ،وعبارة بعض الشراح:وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام .

(٢) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل : ما يطلبه الإنسان ويتمناه، وهو خبر «كانت» ، ومن الكحلاء : متعلق بسؤلى ؛ ولين السول ـ فى آخر البيت ـ للقافية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من هذه المرأة الكحلاء . ولكنها كانت فى الحقيقة أجلى تصور مرادا فى قلبى ، يعنى ان نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأتت عليه .

(٣) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع . ولذلك وصله بعلى . والنوى : البعد . يقول . إنى أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك، والصبر على كل نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

مَا أَحسنَ الصَّبرَ إلا عندَ فُرقةِ مَن ... بِبَينِهِ صِرتُ بَين البَثِّ والحزنِ

(٤) يقول : إنى أمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :

تَشْكُو رَوَادِفَكِ الْمَطِيَّةُ فَوْقَهَا ... شَكْوَى الَّتِي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلَا[1]

وَيُغِيرُنِي جَذْبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِهَا ... فَمَهَا إِلَيْكِ كَطَالِبٍ تَقْبِيلَا[2]

انْ كانَ شأْنُكمُ الدلالَ فإنهُ ... حسَن دلالُكِ يا أميمَ جميلُ

(١) الروادف: الكفل وما حوله، جمع رادفة، لأنها تردف الإنسان: أى تكون خلفه، كالرديف الذى يكون خلف الراكب. يقول: تشكو المطية ثقل روادفك فوقها شكوى النفس التى وجدت هواك مُداخلها، يعنى العاشق لها، يعنى نفسه.

(٢) يقول ـ مخاطباً حبيبته ـ: يحملنى على الغيرة جذبك زمامها إليك لأنها تقلب فمها اليك كأنها قبلة، كما قال مسلم بن الوليد:

والعِيسُ عاطفةُ الرؤوسِ كأنما ... يَطلبنَ سِرًّا مُحدثًا فى الأحلُسِ

هذا، والغيرة: الحمية والأنفة، لعلها من غار النهار: إذا اشتد حره، يقال: غار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها تغار غيرة وَغيرا وغاراً وَغياراً؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوراً:

لهنَّ نَشِيجٌ بالنشيل كأنها ... ضرائرُ حِرْمِىٍّ تفاحش غارها[1]

وأغار الرجل أهله: تزوج عليها فغارت، والعرب تقول أغير من الحمى: أى أنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلها. هذا: والفم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة، فإذا أضيف قلت فوك وفاك وفيك، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب، قال:

---

(١) نشل اللحم من القدر: انتزعه منها وهو النشيل، والنسبة إلى الحرم حرمى وهو من المعدول الذى يأتى على غير قياس. قال المبرد: يقال امرأة حرمية وحرمية وأصله من قولهم، وحرمية البيت وحرمة البيت: قالوا إن أهل الحرم ـ وهم قريش ـ أول من اتخذ الضرائر. شبه غليان القدور بصخب الضرائر

حَدَقُ الْحِسانِ مِنَ الْغَوَانِي هِجْنَ لِي ... يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلَا (١)

حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَا (٢)

الْفَارِجُ الْكُرَبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا ... وَالتَّارِكُ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا (٣)

مَحِكٌ إِذَا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ ... جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلَا (٤)

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه ... يصبح عطشان وفي البحر فمه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان: حسناء . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . والصبابة: رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاعج الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق — الأولى — ويذم : يجير ويعطى الذمام ؛ وغيرها: يجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية . وبدر بن عمار : فاعل يذم . يقول ، إنه يجير من كل مايقتل إلا من أحداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الاجارة منها ، كما قال:

وُقِيَ الأميرُ هَوَى العيونِ فإنهُ ... ما لا يَزولُ بِبأسِهِ وسَخائِهِ

وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله :

فلو طُرِحَتْ قلوبُ العِشقِ فيها ... لمَا خافتْ مِنَ الحَدَقِ الحِسانِ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإنزال مثلها بأعدائه، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم ليغنى أولياءه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفريجاً : إذا أزال عنه الغم وكشفه ، والكرب ومابعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالخفض تشبيها بالحسن الوجه .

(٤) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوهما ،

نَطِقٌ إذا حَطَّ الْكَلَامُ لِثَامَهُ ... أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولَا (١)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ... وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلَا (٢)

وقد محك يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك، وتماحك البيعان والخصمان تلاحا، قال الفرزدق يهجو جريراً :

يَاابن المَراغةِ والهجاءُ إذا التقتْ ... أعناقهُ وتماحك الخصمانِ
ماضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها ... أم بُلت حيثُ تناطح البحران (١)

يقول . إنه يلج فى تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى فى ذلك ؛ فإذا مطلوه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا أخضعهم قهراً .

(١) النطق ـ كالمنطيق ـ اللسن البليغ؛ والضمير «فى لثامه» : للممدوح ، قال الواحدى : وكانت العرب تتلثم بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقه قلوب السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٢) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا ــ جاد ــ به علىّ وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، والمصراع الأول من قول ابن الخياط .

لمستُ بكفِّى كفَّهُ أبتغى الغِنى ... ولمْ أدرِ أنَّ الجُودَ من كفِّه يُعدِى
فلا انا منهُ ماأفادَ ذوو الغِنى ... أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ماعندِى

وقال أبو تمام :

عَلَّمَنِى جودُكَ السماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لدىَّ من صِلتكْ

---

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرْقًا فِى مُتُونِ غَمَامَةٍ هِنْدِيُّهُ فِى كَفِّهِ مَسْلُولَا [١]

وقال أيضاً :

لستُ يُحيِي مُصافِحاً بسَلامٍ إنّنِي إن فعلتُ أتلفتُ مالى

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والمصراع الثانى من قول أبى تمام :

هَيْهاتَ لا يأتى الزّمانُ بمثلِهِ إنّ الزّمانَ بمثلِهِ لبخيلُ

وقال ابن جنى : المعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ، ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا فى الموجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ماتصور من السخاء لبقى أبدا بخيلا ، والشىء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه فى حالة عدمه كثير من الأوصاف التى يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الموجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هـذا : والسخاء : الجود ، يقال : سخا يسخو سخاء وسُخُوًّا وسَخِىَ يَسْخَى سخاء وسُخوة قال الجوهرى : وقول عمرو بن كلثوم :

مشعشعةً كأنّ الحُصّ فيها إذا ما الماء خالطها سَخِينا [١]

أى جدنا بأموالنا ، قال: وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال فليس بشىء .

(١) جعل اسم « كأن » نكرة ؛ وخبرها : معرفة : ضرورة . والمتون :

---

(١) شعشع الشراب : مزجه بالماء ؛ والحص : الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران، يقول : اسقى الخمر ممزوجة بالماء كأنها من شدة حمرتها بعدامتزاجها بالماء ألقى فيها نور هذا النبات الأحمر، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا ... لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَدْنَ مَسِيلاَ (١)

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّمَا ... يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولاَ (٢)

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الْهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ ... لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولاَ (٣)

جمع متن ، وهو الظهر . والغمامة : السحابة . والهندى : السيف المصنوع من حديد الهند، وفى كفه ومسلولا : حالان . وقد عكس التشبيه فى هذا البيت، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال : كأن برقا فى ظهور الغمام سيفه إذا سله فى يده ، مبالغة فى بريقه ولمعانه .

(١) محل قائمه أى قائم السيف أى مقبضه : هو يد الممدوح؛ ومواهبا: تمييز. يقول : إن كفه تسيل نعما وهبات لو كانت مطرا لما وجدت موضعا تسيل فيه لكثرتها، ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام :

أفادَ منَ العُليا كُنوزًا لو انها ... صَوامتَ مالٍ ما دَرَى أينَ تجعَلُ

(٢) مضاربه — جمع — مضرب — حد السيف الذى يضرب به الرقاب ؛ ويبدين : يظهرن . أراد: أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى اللزوم والرقة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأنما هى — لرقتها — تبدى نحولا من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولا ، فرقتها من ذلك النحول .

(٣) عفره : مرغه فى التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار — كما أسلفنا — هاج أسدا عن بقرة قد افترسها فوثب على كفل فرسه وأعجله عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش

وَقَعَتْ عَلَى الأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ... نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولَا (١)

وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا ... وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَالنِّيلَا (٢)

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابِسٌ ... فِى غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلَا (٣)

مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنَّتَا ... تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا (٤)

به فقتله . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط - وهو أشد الحيوان بأسا - فلمن خبأت سيفك ؟

(١) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرؤس . والرفاق : جمع رفقه : الجماعة فى السفر . وتلولا : حال : أى مماثلا للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصف بالمسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٢) الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زأر فى طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين وَرْد ووَرَد .

(٣) الغيل : الأجمة - الغابة - واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر كأنه فى غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما على كتفيه من الشعر وكثرته . شبه لبدتيه بالغابة .

(٤) الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ؛ وحلولا - أى حالّين نازلين - حال من « الفريق » ؛ وتحت الدجى : فى موضع الحال من نائب « ظنتا » . يقول : ما استقبلت عين هذا الأسد فى الظلام إلا ظنت نارا أوقدت لجماعة نزلوا موضعا ؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السنور

فِى وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا (١)

وعين الحية تتراءى فى ظلمة الليل بارقة. هذا: وقد قلنا إن «حلولا» حال من الفريق، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف، وإن كان قد جاء فى شعر العرب القدامى، كقول النابغة الجعدى من قصيدة يصف فرسا:

كأنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِرًا خُضِبْنَ وإنْ لم تكن تُخضَبِ

حِجارةَ غَيْلٍ بِرَضْراضةٍ كُسِينَ طِلاءً من الطُّحْلُبِ (١)

وكقول زيد الفوارس:

عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشدون عليهم حَلَقُ الحديدِ مُضاعفًا يتلهَّبُ (٢)

وقول تأبط شرا:

سلبتَ سِلاحِى بائسًا وشتَمْتَنِى فيا خيرَ مسلوبٍ ويا شرَّ سالِبِ (٣)

(١) يقول: هو فى غيله منفرد انفراد الرهبان فى متعبداتهم، غير أنه

---

(١) الحوامى: جمع حامية، ما عن يمين الحافر وشماله؛ وتخضب بدل من «تكن»، والغيل: الماء الجارى على وجه الأرض؛ والرضراضة: الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة فى ماء قليل وذلك أصلب لها. والنون من «كسين» للحجارة؛ والطلاء كل مايطلى به، والطحلب، خضرة تعلو الماء المزمن؛ ومدبرا حال من الهاء فى «حواميه»، وهو محل الشاهد.

(٢) عوذ وبهثة. اسما رجلين، وحلق الحديد الدروع، ومضاعفا حال من «الحديد»، وهو الشاهد وجائز أن يجعل «يتلهب» فى موضع الحال، ومضاعفا، حال من المضمر فى «يتلهب». ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير للمعان الدرع

(٣) والشاهد هو مجىء بائسا حالا من المضاف إليه، وهو الياء من «سلاحى»، وجائز أن يكون حالا من مفعول «سلبت» المحذوف، والتقدير سلبتنى بائسا سلاحى

٢١ يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ   فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلاَ (١)

٢٢ وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ   حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلاَ (٢)

٢٣ وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ   عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولاَ (٣)

٢٤ قَصُرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا   رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولاَ (٤)

لا يعرف حراما ولا حلالا . والأسد إذا كان قويا هزبرا لم يسكن معه فى غيله غيرهُ من الأسود .

(١) الثرى ويروى البرى: التراب، والتيه: الزهو والعجب. والآسى: الطبيب والأسد لعزته فى نفسه وقوته لا يسرع المشى لأنه لا يخاف شيئا ، وقد شبهه فى لين مشيه بالطبيب الذى يجس العليل - المريض - فإنه يرفق به ولا يعجل.

(٢) العفرة : الشعر المجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والأكليل : التاج . يقول : ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالأكاليل ، وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته فى أعالى بدنه

(٣) نفسه : فاعل «تظنه»، وزمجر الأسد: ردد زئيره . ومشغولا : مفعول ثان للظن؛ وعنها : صلة مشغولا . يقول : إن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة مايزمجر من شدة غضبه وغيظه . ووقع فى بعض الروايات : نفسه - بالنصب - أى يزمجر لنفسه ؛ والرواية الأولى أصح .

(٤) القصر - هنا - ضد التطويل ؛ والمخافة : مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والخطى : جمع خطوة ، وهى مسافة مابين القدمين ، والكمى : البطل المستتر فى سلاحه ؛ والمشكول : المقيد بالشكال . قال الواحدى : وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وفحج[1] وبال. يقول : كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله[2]

---

(١) فحج باعد مابين رجليه ليبول (٢) الشكال الحبل الذى تشد به قوائم الدابة

٢٥ أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا   وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلَا (١)

٢٦ فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِى إِقْدَامِهِ   وَتَخَالَفَا فِى بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا (٢)

٢٧ أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا   مَتْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدًا مَفْتُولَا (٣)

فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه ، قال : هذا تفسير الناس لهذا البيت ، قال : وقال ابن فورجه : المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هيبة ونازعته نفسه إليك جراءة تخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس كمى ركب فرسه مشكولا ، فهو يهيجه للإقدام بجراءة ، والفرس يحجم عجزا عما يسومه لمكان شكاله .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التى هاجه عنها . والبربرة : الصياح والبربرة – فى الأصل – كلام المغضب استعارها لزمجرة الأسد . وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل من كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل فى الاعراس . يقول : لما قصدته ألقى الفريسة وزمجر دونها ، يعنى ذودا عنها . لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .

(٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق الممدوح ، والضمير من «إقدامه» للأسد . يقول : تشابهتما فى الجراءة والإقدام وتخالفتما فى أن الأسد شحيح بطعامه وأنت جواد باذل له . كما قال البحترى :

شاركتَهُ فى البأسِ ثمّ فضلتَهُ   بالجودِ محقوقاً بذاكَ زعيما

(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛ والأزل : الأرسح – أى القليل لحم العجز والفخذين – وامرأة زلاء : لا عجيزة لها ؛ والسِمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهى صفة لازمة له كما يقال الضبع العرجاء . والمفتول المندمج الشديد كأنه فتل – أى لوى –

٢٨ فى سَرْجِ ظَامِئَةِ الفُصُوصِ طِمِرَّةٍ ... يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلاَ (١)

٢٩ نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلاَ أَنَّهَا ... تُعْطِى مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلاَ (٢)

٣٠ تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا ... وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولاَ (٣)

يقول : إن هذا الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك هذان العضوان .

(١) ظامئة الفصوص : يعنى فرسا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة ، يقال خيل ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب فى سرج فرس بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .

(٢) نيالة : فعّالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة - بفتح فكسر - الحاجة والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ ومانيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ماتطلبه لشدة حُضرها - جريها - وهى طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزى : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهى مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ماقدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلجَمُنا مَا إنْ يَنالُ قَذَالَه ... ولاقدماه الأرْضَ إلا أنامِلُه

(٣) السوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضر ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وماحوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لاتجاذبك العنان لمطاوعتها . وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض

٣١ مَازَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فى زَوْرِهِ ... حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولَا (١)

٣٢ وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ ... يَبْغِى إِلَى مَا فِى الْحَضِيضِ سَبِيلَا (٢)

٣٣ وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى ... لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا (٣)

٣٤ أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ ... فِى عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا (٤)

الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شاءت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدودا قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(١) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ؛ عاد إلى وصف الأسد يقول : مازال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه فى صدره حتى صار عرضه فى قدر طوله ، وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٢) يدق : يكسر ، والحجار والحجارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو فى أسفله ؛ وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عُرعرة الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر بن عبد العزيز : أجملوا فى الطلب ، فلو أن رزق أحدكم فى عُرعرة جبل أو حضيض أرض لأتاه قبل أن يموت ؛ وعرعرة الجبل: أعلاه . يقول : إنه لغضبه يضرب الأرض بصدره فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ سبيلا إلى قرارها .

(٣) ادنى : افتعل ، من الدنو : أى اقترب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هيبة لك ، ولكنه مغرور، ظن الخطب الجليل - وهو مقاتلتك - غير جليل .

(٤) الأنف والأنفة : الاستنكاف، قال ابن جنى : من عادته - أى المتنبى - أن يعترض ماهو فيه بمثل يضرب به إذا كان مسددا لما هو فيه ، كقول الآخر :

٣٥ وَالْعَارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ   مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلَا (١)
٣٦ سَبَقَ الْتِقَاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ   لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لَجَازَكَ مِيلَا (٢)
٣٧ خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ   فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَا (٣)

وقد أدركتنى والحوادث جمة   أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل

فالحوادث جمة : جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه . يقول : إن الكريم يأنف من الدنية فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل فى عينه . قال العكبرى : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت فى عينه العدد الكثير قليلا حتى كأنه فى عينه قليل . وقال اليازجى يقول : إن أنفة الكريم فى أن يعاب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير فى عينه قليلا ، يشير إلى ثبات الممدوح وإقدامه على الأسد خوفا من عار الهزيمة .

(١) مضاض : مؤلم موجع ؛ والحتف : الهلاك . يقول : إن العار موجع فمن خافه لم يخف الهلاك . وهذا كقولهم من أنف من الدنية لم يحجم عن المنية . وهذا البيت مثل الذى قبله فى الاعتراض كما قال ابن جنى .

(٢) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، والميل من الأرض : قدر منتهى مد النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع : أميال وميول . يقول : إنه أعجلك من التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .

(٣) خذله : خانه ولم ينصره ، وكافحه استقبله فى الحرب بوجهه . والاستنصار : طلب النصرة . والتجديل : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة ، وهى الأرض : أى صرعه . يقول : خانته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك — الانقياد وترك الخصومة — وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر فى ذلك ، وهذا من التهكم .

٣٨ قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ   فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْلُولَا (١)
٣٩ سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ   فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أَمْسِ مُهَوَّلَا (٢)
٤٠ وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ   وَكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلَا (٣)

---

(١) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يديك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا ، قال الواحدى : أساء أبو الطيب فى هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح ولا غناء فى قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى فى نسبة الإساءة إلى المتنبى ، لأن المعنى بديع - كما ترى - ولا غبار عليه .

(٢) الهرولة : الاضطراب فى العَدْو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسدا كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسدا آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٣) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقتله : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمرّ من الهلاك ، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم والعاب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَلِفُوا المنايا فالقتيلُ لديهِم   مَن لم يُخلِّ العيشَ وَهوَ قتيلُ

وله أيضا :

لولم يمُتْ بين أطرافِ الرماحِ إذن   لماتَ إذ لم يَمُتْ مِن شِدةِ الحزنَ

٤١ تَلَفُ الذى اتّخذ الجراءة خُلّة ... وَعظ الذى اتّخذ الفرار خليلا (١)

٤٢ لو كان عِلمُك بالإلٰه مقسّمًا ... فى الناس ما بعث الإلٰه رسولا (٢)

٤٣ لو كان لفظُك فيهم ما أنزل الـقرآن والتوراة والإنجيلا

٤٤ لو كان ما تُعطيهم من قبلِ أن ... تُعطيهم لم يعرفوا التأميلا (٣)

---

(١) الخلة : الخليل ، يستوى فيه المذكر والمؤنث، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه فى الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلولة . وقال أوفى بن مطر المازنى :

ألا أبلغا خُلّتى جابرًا ... بأنّ خليلَك لم يُقتل

تخطأت النبلُ أحشاءه ... وأخّر يومى فلم يَعجل (١)

ومثله قول الحماسى :

ألا أبلغا خُلّتى راشدًا ... وصِنوى قديمًا إذا ما تَصِل (٢)

يقول : إن تلف الأسد الذى اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذى فر منك ، وحبب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط فى هذا البيت والذى بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الموجود لا يؤمل : أى فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدى هذا المعنى فقال :

---

(١) تقدم شرحهما .

(٢) يقول : أبلغا ابن عمى راشدا صديق من عهد قديم، إذا وصلت إليه؛ وبعده:

بأن الدقيقَ يهيجُ الجليلَ ... وأنّ العزيزَ إذا شاء ذل

٤٥ فَلَقَدْ عُرِفْتَ وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً وَلَقَدْ جُهِلْتَ وَمَا جُهِلْتَ خُمُولا (١)

٤٦ نَطَقَتْ بِسُودُدِكَ الْحَمَامُ تَغَنِّيًا وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلا (٢)

٤٧ مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِيَ نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولا (٣)

لم يُبقِ جودُك لي شيئاً أُؤمّله تَرَكْتَنِي أصحبُ الدنيا بلا أمل

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب - وهو تعطيهم الثانية - ضرورة قال العكبرى: وهذا كثير إذا كان فى حرفى العلة - الواو والياء - ومثله بيت الكتاب - كتاب سيبويه -:

كأنّ أيديهنّ بالقاعِ القَرِقْ أيدى نساءٍ يتعاطَينَ الورِق (١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز؛ وخمولا: مفعول لأجله؛ وحقيقة الشيء ماثبت من أمره؛ والخامل: الساقط الذى لانباهة له ولا شهرة. يقول: إن الناس عرفوك بما ظهر من سخائك وجودك، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك، لأنهم لايبلغون كنه قدرك، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك، فليس جهلهم إياك لأنك خامل الذكر.

(٢) السؤدد: السيادة والرفعة. وتجشمت الأمر: تكلفته على مشقة. يقول: قد بلغت من الشهرة ماعرفه مالا يعقل فضلا عن العاقل؛ فالحمام إذا غنّت فإنما تنطق بسيادتك، والخيل إذا صهلت فإنما تنطق بغزواتك التى تكلفها إياها، والبيت تتميم وتأكيد للبيت السابق.

(٣) نافذا وفحولا: منصوبان بما على أنها حجازية، والنفاذ جواز الشيء والخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفوذا، ورجل نافذ فى أمره ونفوذ ونفّاذ: ماض فى جميع أمره، وأمره نافذ: أى مطاع، ونفذ السهمُ الرميّة ونفذ فيها ينفُذُها نفذا ونفاذاً: خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوذاً. يقول: ليس كل من رام

---

(١) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذى لاحجارة فيه.

وقال وقد نظر إلى جانبه خلعة مطويّةً فسأل عنها فقيل هى خلع الولاية
وكان أبو الطيب عند وصولها عليلا :

أَرَى حُلَلاً مَطْوَاةً حِسَانًا عَدَانِى أَنْ أَرَاكَ بِهَا اعْتِلاَلِى (١)
وَهَبْكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجْتَ عَنْهَا أَتَطْوِى مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ (٢)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَا الأَعَالِى مَعَ الأُولَى بِجِسْمِكَ فِى قِتَالِ (٣)
تُلاحِظُكَ الْعُيُونُ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ (٤)

الرفعة والمعالى ببالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شجعان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(١) عدانى : منعنى ؛ واعتلالى : فاعل عدانى ؛ وأراك بها : أى أراك وهى عليك ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذى لبس فيه الخلعة عليلا .

(٢) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها : أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعنى أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقى عليه من الجمال ما لا يطوى ولا يزول .

(٣) يصفه حين كانت الخلع عليه ؛ يريد بأعالى الثياب : ماظهر منها للأعين. يقول ؛ أقامت أعالى ثيابك تحسد الذى يلى جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك مالا تناله فبينهما قتال لذلك.

(٤) فيها : أى فى الحلل . أى إن العيون تنظر إليك نظر المحبة والسرور وأنت فى هذه الحال كأنك فى قلوب أصحاب العيون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان ، وقال غيرهما : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب

مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ　　فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ (١)

وَإِنَّ بِهَا وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا　　وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ (٢)

وقال فيه أيضاً :

عَذَلَتْ مُنَادَمَةُ الْأَمِيرِ عَوَاذِلِي　　فِي شُرْبِهَا وَكَفَتْ جَوَابَ السَّائِلِ (٣)

تنظر إلى حيث يميل القلب إليه . فالعيون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك — كما قال ابن جنى — أو تستحسن الخلع — كما قال ابن فورجه .

(١) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيها فكأنى أقول إننى أحصى الرمل ، وهذا مالا تقبله العقول ، لأنه محال .

(٢) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لاتزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لايزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك.

(٣) العذل الملام، وكفيته الأمر أغنيته عنه، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامنى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف ، وليس للعاذل أن يعذل على مايورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لِمَ تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادمَ فلاناً منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه ونَدْمانُه . قال النعمان بن نَضْلةَ العَدَوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي　　وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ　　تَنَادُمُنَا فِي الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

وجمع النديم : نِدَام و ندماء، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة نَدْمانة ، والنسوة نَدامى ، ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه ، لأن القلب فى كلامهم كثير كالقسىّ من القُوُوس ، وجذب

مَطَرَتْ سَحابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوانِحي　　وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَاصْطِناعُكَ حامِلي (١)

فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ ما أَوْلَيْتَنِي　　وَالقَوْلُ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القائِلِ (٢)

وقال يمدحه :

بَدْرٌ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤّالِهِ　　يَوْماً تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مالِهِ (٣)

وجبذ وماأطيبه وأيطبه؛ وخَنِزَ اللحم وخزن .

(١) الجوانح الاضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلى الصدر . والاصطناع المعروف والاحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على هذا الاحسان ، وإحسانك حملنى — لأنه كفانى المؤنة — وتحمل أثقالى .

(٢) أوليتنى : أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومتى سؤال عن الزمان ، كأنه قال — منكراً — أىّ زمان أقوم بشكر ماأعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أثنيت عليك وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علوا ورفعة : أى أن شكريك يرفع قدرى .

(٣) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالا :　　يا أيها الملك الذى ندماؤه

إلى أن قال :

والصدقُ مِن شِيمِ الكرام فَقُل لنا　　أَمِنَ الشراب تتوب أم مِنْ تركه (١)

فقال بدر: بل من تركه ؛ فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

يقول : إن حظ سؤّاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤّال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

---

(١) انظر قافية الكاف .

تَتَحَيَّرُ الأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ ... وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ (١)
قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعٍ ... مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٢)
سَفَكَ الدِّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ ... كَرَمًا لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ (٣)
إِنْ يَفْنَ مَا يَحْوِي فَقَدْ أَبْقَى بِهِ ... ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ (٤)

(١) يقول: إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعالهم. ومايفعله مع ذلك قليل فى جانب دولته لاقتضائها الزيادة على ما فعل.

(٢) فسر المصراع الأول بالمصراع الثانى. قال ابن جنى: أى أن يمينه تسح العطاء، وشماله الدماء؛ قال ابن فورجه: الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين فى كل شيء؛ وإنما يكون عمل الشمال كالمعاونة لليمين، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء.

(٣) يقول: إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم، لأن الطير لما عودها من اطعامها لحوم الأعداء صارت عيالا له، فالباعث له على قتلهم هو الجود، وهذا كقوله:

مَا بِهِ قَتْلُ أعاديه ولكن ... يَتَّقِي إخلافَ مَا ترجو الذئابُ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ماقاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء. وقال ابن جنى: أبلغ من هذا فى المدح أنه ينحر ويذبح ليأكل الطير مما يجده من اللحم، فكأنه سفك الدماء بجوده لا ببأسه.

(٤) قال ابن جنى: لو قال دون زواله لكان أحسن، وكان مثل قول الآخر:

بِقَلْبِي غرام لستُ أبلُغُ وصفَهُ ... عَلَى أنه ماكانَ فهوَ شديدُ
تَمُرُّ بِهِ الأيامُ تسحَبُ ذَيْلَها ... فتبْلَى به الأيامُ وهوَ جديدُ

قال: وله أن يحتج عنه فيقال: إن الأيام بعض الدهر، وليست هذه الأيام جميعه؛ وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء المحب، فقال إن الغرام باق بقلبي فإذا مازال زال معه الذكر، وقول

وسأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :

قَدْ أُبْتُ بالحَاجَةِ مَقْضِيَّةً وَعِفْتُ فِي الجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا (٢)

أَنْتَ الَّذِي طُولُ بَقَاءٍ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الانطاكي :

لَكِ يَامَنَازِلُ فِي القُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ (٣)

أبي الطيب بقي الذكر له إنما يصح ببقاء الناس ، فاذا زال النـاس والدهر عدم الذكر .

(١) أبت: رجعت . وعفت : كرهت . يقول : لم أطول في جلوسي عنده لأني رجعت وقد قضيت حاجتي .

(٢) أقفرت : خلوت ورحـل عنك أهلوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول : مخاطباً منازل الأحبة — : قد تمثـل خيالك في قلوب المحبين فـكانت لك فيها منازل . غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فمابرحت آهلة بك ، لأن مثالك لا يزايلها . وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك في القلوب وإن أقفرت أنت ؛ يعني تجدد ذكرها في قلبه . وهذا من قول أبي تمام :

وقفتُ وأحشائي منازلُ للأسى به وهو قفرٌ قد تعفتْ منازله

ومثله للبحتري :

عفتِ الديارُ وما عفت أحشاؤه

وقال ابن المعتز :

بؤساً لدهرٍ غيرتكَ صروفُه لم يمحُ من قلبي الهوى ومحاكا

قال ابن جني : بيت المتنبي أجمع من بيت أبي تمـام ، لأنه ذكر منازل الحزن فخص ، والمتنبي ذكر المنازل فعم ، ولقـد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى في كلمتين .

يَعْلَمْنَ ذَاكِ وَمَا عَلِمْتِ وَإِنَّمَا ... أَوْلَاكُمَا يُبْكَى عَلَيْهِ الْعَاقِلُ (١)
وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ الْمُطَالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ (٢)

---

(١) قوله يبكى عليه: يروى يبكى عليه، أى أولاكما بأن يبكى عليه؛ فحذف الجار ثم حذف «أن»، و«أولاكما»: أى أحقكما، مبتدأ، خبره: العاقل. وذاك: خطاب للمنازل. يقول: إن القلوب التى هى منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا وتركوها خالية، أما الديار فلا تعلم ذلك والذى يعلم — وهو القلوب — هو الأولى بأن يُبكى عليه لعلمه بما ألمّ به. وعبارة الواحدى: إن منازلك التى فى القلب تعلم إقفارك وخلوك من الأحبة وأنت لا تعلمين، والأحق منكما بالبكاء عليه هو العاقل، يعنى القلب، أى أن قلبى أحق بأن يبكى عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حلّ بك، أما هو فعليم به، وقال ابن جنى: أى أن منازل الحزن بقلبى تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت تجهلين ذلك.

(٢) اجتلب: افتعل من الجلب، والمنية: الموت، والطرف: النظر؛ قال اللغويون الطرف اسم جامع للبصر، لا يثنى ولا يجمع، لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحداً، ويكون جماعة، قال تعالى «لا يرتد إليهم طرفهم» يقول: إن طرفى هو الذى جلب المنية إلىّ بالنظر، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح:

وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتى ... بكفىّ إلا أنّ ما حانَ حائنُ (١)

---

(١) قبله:

وإنى لمفنٍ دمعَ عينىّ بالبكا ... حذاراً لما قد كانَ أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يبن وهو بائن

وفى الأغانى:

«بكفيك إلا أنّ من حانَ حائن»

«والحائن الهالك»

تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظِّبَاءِ وَعِنْدَهُ مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلُ (١)
اللَّاءِ أَفْتَكُهَا الْجَبَانُ بِمُهْجَتِي وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَيَّ الْبَاخِلُ (٢)
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرٌ وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ (٣)

لا تَعجبي يا سَلْمُ مِن رجلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فَبَكَى

ويقول دعبل :

لا تأخذا بِظُلامتي أحداً قلبي وطرفي في دَمِي اشتركا

(١) الضمير في «وعنده» : للذى اجتلب — في البيت السابق — يعني نفسه . والظباء : أي الحبائب الشبيهات بالغزلان . والتابعة : التي تتبع أمها في المرعى . أراد : الصغيرة السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهي التي تتخلف في المرعى عن صواحبها . يقول : تخلو الديار من حسانها، وتفارقها وخيال من أهواه لا يفارقني . وقال الواحدي : تخلو الديار من النساء الحسان وعندي من كل صغيرة منهن خيال يأتيني كأنه تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أي اللواتي ، نعت للظباء ، أو بدل من «كل تابعة» ؛ وأفتكها: مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتي : صلة «أفتكها» ؛ وكان الوجه تقديم «بمهجتي» على «الجبان» ، ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزي : الباء من قوله «بمهجتي» متصلة في المعنى بأفتكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله: الجبان ، ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها ، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتكت بمهجتي ؛ ويريد بالجبان : النافرة من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هي النفور التي أنا مغرم بها ، والبخيلة منهن بالوصل هي أحبهن إليّ قربا .

(٣) الراميات : أي هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الخاتلات . والختل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول : يرميننا بسهام

كَافَأْنَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَهَا ... فَلَهُنَّ فِى غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ (١)

مِنْ طَاعِنِى ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ... وَمِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلاَخِلُ (٢)

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا ... مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ (٣)

لحاظهن وهن عنا نافرات غير مقبلات علينا، وكذلك يختلننا ـ يصدننا ـ بحسنهن غير عالمات بذلك.

(١) المها: بقر الوحش، تشبه الحسان بها لحسن عيونها. والحبائل: جمع حبالة، الشرك ينصب للصيد. يقول: هؤلاء يشبهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن ونحن نصيد بقر الوحش، فجازيننا عنهن وأخذن بثأرهن فى صيدنا شبههن فصدننا بحبائل نصبنها فى غير التراب، يعنى بأعينهن.

(٢) الثغر: جمع ثغرة، وهى نقرة النحر التى بين الترقوتين. والجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية؛ والمراد بالجآذر: النساء. والدمالج: جمع دملج، وهو حلى يلبس فى العضد. والخلاخل: جمع خلخل، لغة فى خلخال. وجآذر وخلاخل: مبتدآن، خبرهما: الجار والمجرور قبلهما. يقول: إنهن يفعلن بحسنهن ما يفعل الطاعن بالرمح: أى يقتلن بهواهن، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح، وعبارة ابن جنى والواحدى: نساء مثل الجآذر بحليهن يفعلن ما يفعل الطاعن بالرمح، كما قال الآخر:

هلْ يَغلِبَنِّى واحد أقاتلهْ ... رِيمٌ عَلى لبّاتِه سلاسلُه

سِلاحُهُ يوم الوَغى مكاحِلهُ

وقال صريع الغوانى:

بارَزْته وسِلاحُه خَلخالُهُ ... حتّى فضَضت بكفىَّ الخَلخالا

(٣) يقول: إنما سميت أغطية العيون جفونا لأنها تتضمن أحداقا تعمل ما تعمله السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف، وهو الجفن؛ ومن

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقًا بَعْدَ مَا غَرِيَ الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ (١)

دُونَ التَّعَانُقِ نَاحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ نَصْبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ (٢)

أَنْعَمْ وَلَذَّ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا إِذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ (٣)

انها : بيان لذا ، والضمير — من قوله أنها — للعيون . وعمل : مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(١) سجرتك : ملأتك ، ومنه : « البحر المسجور » ، ويجوز أن تكون بمعنى ألهبتك ، ويروى شجرتك : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ماشجرك عنه : أى ماصرفك : من قولهم شجرت الدابة : إذا أصبت شجرها - والشجر مابين اللحيين - باللجام لتكفها ، ويروى سحرتك : أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سَحرك : أى رئتك . وغرى به : أولع ؛ واللجاج : التمادى فى المماحكة . يقول - مخاطباً نفسه - : كم وقفة لك مع الحبيبة تركتك على هذه الحال ؟ وتمام الكلام فى البيت التالى .

(٢) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفة وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضنا من بعض ولم نتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب - أى فتحتين - قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إنى رأيتُكَ فى نومِى تُعانقُنِى كما تُعانِقُ لامُ الكاتِبِ الأَلِفا

ومثله لأبى إسحق الفارسى :

ضَمَمْتها ضَمّةً عُدنابها جَسداً فلو رأتنا عُيونٌ ما خشيناها

(٣) يقول : تمتع بالنعمة واللذة مابقى لك شبابك فله آخر من حيث كان

مادمتَ مِن أربِ الحِسانِ فإنّما   رَوْقُ الشبابِ عليكَ ظلٌّ زائلُ (١)

لِلّهوِ آونةٌ تمرُّ كأنّها   قُبَلٌ يُزوّدُها حبيبٌ راحلُ (٢)

جَمَحَ الزمانُ فما لذيذٌ خالصٌ   ممّا يشوبُ ولا سرورٌ كاملُ (٣)

حتّى أبو الفضلِ بنُ عبدِ اللهِ رؤ   يتهُ المُنى وهْيَ المقامُ الهائلُ (٤)

له أول ؛ يعني أنه يفنى ولا يبقى .

(١) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريّقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : فما مصدرية زمانية ، والظرف المتأول منها صلة «انعم» . يقول ؛ أنعم ولذ مادام للحسان أرب فيك : يعني مادمت شابا ، فان روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٢) آونة : جمع أوان كزمان وأزمنة ؛ والقبل : جمع قبلة . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيذة ولكنها وشيكة الانقضاء ، كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٣) و (٤) جمح الفرس : غلب فارسه ، وجمح الرجل : ركب هواه فلا يمكن رده قال الشاعر :

خلعتُ عِذاري جامحًا لا يردّني   عَنِ البيضِ أمثالِ الدُّمى زجرُ زاجرِ

وجمحت المرأة تجمح جماحا من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها ، ومثله طمحت طِماحا ، قال :

إذا رأتني ذاتُ ضِغْنٍ حنّت   وجمحت مِن زوجها وأنّتِ

وجمح إليه : أسرع ، وقوله تعالى «لوَلّوْا إليه وهمْ يجمحُون» قال الزجاج : أى يسرعون إسراعا لا يردُّ وجوههم شىء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى : فرس جموح له معنيان : أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راكبه ، وهذا من

مَمْطُورَةٌ طُرُقِى إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِى كُلِّ فَجٍّ وَابِلُ (١)

مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَثْنِى الْأَزِمَّةَ وَالْمَطِىُّ ذَوَامِلُ (٢)

الجماح الذى يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثانى أن يكون سريعا نشيطاً مرحا ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و «ما» من قوله « بما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شىء . ويشوب : يخلط . وأبو الفضل : كنية الممدوح ؛ والمنى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهوب المخوف . يقول: جمح الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى أن هذا الممدوح رؤيته مُنى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه المُنية من شائب ينغصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — تخلّص — ماروى أغرب منه .

(١) ممطورة : خبر مقدم عن طرق ؛ وإليها : صلة طرق ؛ ودونها : خبر مقدم عن وابل : والفج: الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل : المطر الغزير : يقول : إن طرق إلى رؤية الممدوح ممطورة بآثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله اليه ، ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج . فالضمير فى « بها » ، ودونها » لرؤيته ، وروى « اليه ودونه » والضمير : للممدوح .

(٢) الازمة : جمع زمام ، ماتقاد به الدابة . وذوامل : مسرعات . يقول : إن رؤيته محجوبة بما يغشاها من المهابة التى ترد الأبصار عن النظر اليه ، حتى لو أن مطيا أسرعت فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة :لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقا من الإقدام ؛ قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر الكلام فقال : كأن على الطرق اليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس أبدا ينحون نحوه . هذا :

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحَا ... بِ وَلِلْبِحَارِ وَلِلْأُسُودِ شَمَائِلُ (١)

وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا ... دِ وَمِلْحَيَاةِ وَمِلْمَمَاتِ مَنَاهِلُ (٢)

والسرادق ـ وجمعه سرادقات ـ هو كل ما أحاط بشيء، نحو الشقة فى المضرب ، أو الحائط المشتمل على شيء ، أو الخباء ؛ قال فى الصحاح : السرادق الذى يمد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كُرْسُف — أى قطن — فهو سرادق ؛ قال رؤبة :

يَا حَكَمُ بنَ المُنذِرِ بنِ الجارودْ ... أنتَ الجوادُ بنُ الجوادِ المحمودْ

سُرادِقُ المجدِ عليكَ مَمْدُودْ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هوَ المدخِلُ النُّعمانَ بيتاً سَماؤه ... صدور الفيولِ بَعْدَ بيتٍ مُسرْدَقِ

(١) الشمائل : الخلائق والطبائع : جمع شِمال . يقول : فيه أضاءة الشمس ومنفعتها وبهاؤها ، وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح فى أحياء البلاد وسوق الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه فى العطاء.

(٢) ملعقيان : يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالغنة ؛ ومثله : ملحياة وملممات ؛ والعقيان : الذهب . والمناهل : الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن الحياة : أى لأوليائه ؛ ومن الممات : أى لأعدائه ، وقد زاد على أبى تمام فى قوله :

ترمى بأشباحِنا إلى ملِكٍ ... نأخذ مِن مالِهِ ومن أدبِه

لأنه ذكر الموت والحياة.

لو لم يهب لجب الوفود حواله   لسرى إليه قطا الفلاة الناهل[١]
يدري بما بك قبل تظهره له   من ذهنه ويجيب قبل تسائل[٢]
وتراه معترضاً لها ومولياً   أحداقنا وتحار حين يقابل[٣]
كلماته قضب وهن فواصل   كل الضرائب تحتهن مفاصل[٤]

---

(١) اللجب : الضجيج ؛ والوفود : الذين يفدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛ كحوله وحواليه ؛ والقطا : الطائر المعروف ، والفلاة : الصحراء ؛ والناهل : الوارد على منهل الماء ؛ قال ابن جنى : يعنى لولم يخف القطا أصوات الوفود ببابه لسرى اليه ليشرب منه ، وقال ابن فورجه : يعنى أن القطا يراه ماءً معينافيهم بوروده ويشفق من لجب وفوده على عادة الطير؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما : المعنى أنه لعموم نفعه تهم الطير بالورود عليه لتنقع غلتها ، ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما ذكر الشيخان .

(٢) أراد قبل « أن » فى الموضعين فحذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدرى . يقول : هو - لذكائه وحدة ذهنه - يدرى ماتطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٣) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعترضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر اليه من الهيبة ، وإنما تراه فى حال اعتراضه وتوليه لانحرافه عنها حينئذ.

(٤) القضب : جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل: قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلماته سيوف قواطع أينما أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل ؛ يعنى أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا ... حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلُ (١)

وَقَتَلْنَ دَفْرًا وَالدُّهَيْمَ فَمَا تُرَى ... أُمُّ الدُّهَيْمِ وَأُمُّ دَفْرٍ هَابِلُ (٢)

---

(١) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش ؛ كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره ؛ وقنابل : يروى قبائل .

(٢) يقال للداهية : أمّ دَفر ، وأمّ الدُّهيم ؛ والدفر ـ فى الأصل ـ النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ـ فى الأصل ـ إسم ناقة كانت لعمرو بن الزّبان بن الذُّهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقيهم كثيف بن زهير ، فضرب أعناقهم ، ثم حمل رؤسهم فى جوالق وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم خلاّها فى الإبل ، فراحت على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوالق : أظن بَنِيّ صادوا بيض نعام ؛ ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوالق ، فاذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البَزّ على القلوص . فذهبت مثلا ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ؛ والهابل : الثاكل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت ، فكأن أمهاصارت ثاكلا ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح فى إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لاترى بعد ذلك ، ثم ابتدأ وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما تُرَى أراد فما تُريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : إبتداء ، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

عَلَّامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللُّجُّ الَّذِي ... لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لُجٍّ سَاحِلُ (١)
لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ ... وَلَدَ النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ (٢)
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ ... لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى الْحَامِلُ (٣)
لِيَزِدْ بَنُو الْحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعًا ... هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلُ (٤)

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ ... بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُّ (١)

فلم يقل تنهلان لاكتفائه بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون اليه فى مسائلهم ، وهوفى جوده لج ليس له منتهى ، وكل لج له منتهى ينتهى اليه إلا هذا .

(٢) مثله : نعت لمصدور محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوابل : جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوابل فى تلك الحال .

(٣) الجنين : الولد فى بطن أمه ؛ وبيانه : مفعول مطلق : أى كبيانه ؛ وضمير « به » : للجنين . والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنثى : أراد أذكر هو أم أنثى ؟ فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنثى » بعد نقل حركتها إلى الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم - أى كما بان كرمه حين كان جنيناً — لما التبس على الحامل الذكر بالأنثى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى .

(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو مايضرم فيه النار ليهتدى به فى الأسفار

---

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة - بالقاف - تروى زحلوفة - بالفاء - وهما لغتان ، وهى آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الغُرَابِ سِفَادَهُ ... فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ (١)
جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَائِلُ (٢)
مُتَشَابِهِي وَرَعِ النُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ ... وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الْإِزَارِ حُلَاحِلُ (٣)

وغيرها. قال الواحدى: يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً، فان فضائلهم لاتخفى بالتواضع. وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل فى الظلام، فانها لاتخفى، ومتى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر؛ كذلك: متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر. وقال التبريزى: كان لهذا الممدوح نسب فى ولد الحسن بن على عليهما السلام، فأمرهم بالتواضع، لأنهم كلما ازدادوا فى التواضع ظهر شرفهم، وإن أخفوا نسبهم لاينكتم، كما أن المشاعل لاتنكتم فى الظلام.

(١) السفاد: نزو الذكر على الأنثى. والرباب: غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه. يقول: إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده. ثم ذلك لاينكتم، كما لايخفى السحاب الهاطل.

(٢) جفخت: فخرت وتكبرت؛ وشيم: فاعل جفخت؛ وبهم: متعلق بجفخت، وجملة وهم لايجفخون بها: معترضة؛ والشيم: جمع شيمة، وهى الخلق والطبيعة؛ والحسب: مايعد من مآثر الآباء؛ والأغر: السيد الكريم. يقول: إن لهم شيما كريمة تدل على مالهم من الحسب الشريف، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لايفخرون بها لبُعدهم عن الزهو والخيلاء.

(٣) متشابهى: كأنه منصوب على الحال من ضمير «يجفخون»؛ والورع التقوى. وعف الأزار وعفيفه: متنزه عن الفحشاء؛ والحلاحل: السيد العظيم. يقول: هم سواء فى التقوى والورع، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة.

يا أخْرَ فإنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلاثَةٌ مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ (١)
وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَمَا عَرَفُوا: أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ (٢)
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتَ لِي قَصَّرْتَ فَالْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ (٣)
لَا تَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ (٤)

(١) يا أخر: يريد: ياهذا أخر؛ فحذف المنادى. ويجوز أن تكون «يا» للتنبيه كقوله تعالى «ألا يا اسجُدُوا الله الذي يُخرِج الخبء»، كأنه قال «ألا اسجدوا» وكقول ذي الرمة:

ألا يا اسلمى يادارَمىّ على البِلَى ولا زال مُنهَلاً بجَرعائِك القَطْرُ

ويروى: فأخر، ثم قال: إن الناس فيك ثلاثة أقسام: إما مستعظم يستعظمك لما يرى من عظمتك، أو حاسد يحسدك على فضلك، أو جاهل يجهل قدرك.

(٢) يقول: بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لاتكترث لذم الحاسد لأنه لاينقص من قدرك، ولا لحمد الحامد لأنه لايزيدك علواً؛ فقوله بعد ماعرفوا: أي بعد الذي عرفوه — فالضمير للناس، والعائد إلى «ما» محذوف:

(٣) النائل: العطاء. يقول: إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ماعرفت تقصيرى. وبعبارة أخرى: إنى قصرت فى الثناء عليك، فكان حقك أن تؤاخذنى بهذا التقصير، ولكنك أمسكت عنى تكرماً وتفضلا فعددت ذلك عطاء منك لو لم تجاوزه لكفانى.

(٤) تنشد: أى أن تنشد، فحذف «أن» فرفع الفعل؛ والهزبر: الأسد، والباسل: الشديد. يقول: لهيبتك وعلمك بالشعر وتمييزك جيده من رديئه لايجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك، ولكنى — لجودة شعرى واقتدارى — أجرؤ على ذلك؛ قال الواحدى: وقول أبى نصر بن نباتة فى هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول:

مَانَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِى وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِىَ بَابِلُ (١)
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِى مِنْ نَاقِصٍ فَهِىَ الشَّهَادَةُ لِى بِأَنِّىَ كَامِلُ (٢)
مَنْ لِى بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِى أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِىَّ فِيهِمْ بَاقِلُ (٣)

وَيَلْثُمُها عند السُّرَادق هَيبةً لو ساَبقت قصبَ العِظام فضائلى
نفضَتْ علىَّ من القبول محبةً قامَت بضَبْعَى فى المقام الهائل

(١) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها - كما جاء فى القرآن الكريم - . يقول : مانال شعراء الجاهلية جميعاً شعرى ولاسمع أهل بابل بمثل سحرى فى الشعر.

(٢) يقول : إذا ذمنى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لايحب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لقد آسف الأعداءَ فضلُ ابن يوسُفٍ وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولَع

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبى حفصة :

ماضرَّنى حسدُ اللئامِ ولمْ يزلْ ذو الفضل يحسُده ذوو التقصير

وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لقد زَادَنى حُبًّا لنفسىَ أننى بغيض إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائل
وأَنِّى شقىٌّ باللئام ولا ترى شقيًّا بهم إلا كريم الشمائل

(٣) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى : يعود على أهيل ، لأن لفظ «أهل» واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعى ، وفيه جرى المثل : أعيا من باقل . يقال إنه كان اشترى ظبياً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته ؟ فعى عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما - فأفلت الظبى . يقول : من يكفل لى بفهم أهل عصر

وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ   لَلْحَقُّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ (١)

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ   وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الغَاسِلُ (٢)

يدعون أن «باقلا» يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب؟ يعنى أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم، ولا الناقص من الفاضل؛ أو تقول: من لى بأهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى «باقل» بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه؟ قال ابن جنى ناقداً: «وباقل» هذا لم يؤت من سوء حسابه. وإنما أتى من سوء عبارته، فلو هو قال أن يفحم الخطباء فيهم «باقل» أو نحو هذا لكان أسوغ، قال الواحدى - رداً عليه -: وليس كما قال فإن «باقلا» كما أتى من البيان أتى من البنان، فانه لو بنى من سبابته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي، فصح قول أبي الطيب فى نسبته إلى جهل الحساب.

(١) مقسم: يروى بكسر السين - على أنه اسم فاعل - وبفتحها - على أنه مصدر ميمى بمعنى القسم.

(٢) تقدير البيت: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت، فالطيب: مبتدأ؛ وأنت: مبتدأ ثان: وطيبه: خبر أنت؛ والجملة: خبر الطيب؛ ومثله الشطر الثانى؛ وروى ابن جنى: والماء أنت - بنصب الماء - قال: وتقديره وتغسل أنت الماء، دل على هذا المضمر قوله الغاسل. يقول: إذا أصابك الطيب فأنت طيب له، وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له. يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء، كما قال الآخر:

وإذا الدرُّ زانَ حُسنَ وُجوهٍ   كانَ لِلدرِّ حسنُ وَجهِكِ زَيْنا

وتَزيدينَ أطيبَ الطيبِ طيبا   إن تَمسّيه أينَ مِثلُكِ أينا

مَا دَارَ فى الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ ... قَلَماً بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ أَنَامِلُ (١)

وقال يهجو قوما توعدوه :

أَمَاتَكُمُ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الْجَهْلُ ... وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّةٍ بِكُمُ النَّمْلُ (٢)

وُلَيْدَ أُبَيِّ الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالَكُمْ ... فَطِنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالَكُمُ عَقْلُ (٣)

وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ ... قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ (٤)

---

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء ـ يقال فلان حسن النثا، وقبيح النثا . ومنه نثا الحديث والخبر نَثْواً حدث به وأظهره وأشاعه . ويروى ثناك . يقول : مادار اللسان فى الحنك وماقلبت أنامل قلماً بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول : ماقيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أماتكم الجهل قبل أن تموتوا : أى أنتم موتى من جهلكم وإن كنتم أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر، ولخفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم، والسفيه الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف بثقل الوزن .

(٣) وليد : تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب؛ والدعوى : الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل الخسيس أنتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطنتم للانتساب إلى من لستم منه فى شيء ؟ أى إلى غير أبيكم .

(٤) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . قال صاحب اللسان : المنجنيق ـ بفتح الميم وكسرها ـ والمنجنوق : دخيل أعجمى معرب ، وأصلها بالفارسية : مَن جى نِيكْ : أى ما أجودنى ، وهى مؤنثة ، قال زفر بن الحارث :

لقدْ تركتْنِي مَنجنيقُ ابن بَحْدلٍ ... أحيدُ عن العُصفور حين يطيرُ

وَلَوْ كُنتُمْ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ   لَمَا كُنتُمُ نَسْلَ الَّذِي مَالَهُ نَسْلُ (١)

وقال وقد جعل أبو محمد بن طغج يضرب بكمه البَخور
ويقول سوقاً إلى أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ   وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ (٢)

وتقديرها مَنفَعيل ، لقولهم : كنا نُجنق مَرة ونرشق أخرى . قال الفراء : والجمع منجنيقات ، وقال سيبويه : هي فنعليل ، الميم من نفس الكلمة أصلية ، لقولهم في الجمع مجانيق ، وفي التصغير مجينيق ، ولانها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم ، وهــذا لايكون في الأسماء ولا الصفات التي ليست على الأفعال المزيدة. ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا ، والزيادات لاتلحق بنات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج ، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان لقولهم جنق يجنق : إذارمى ، والمتنبي يريد بالمنجنيق هنا : هجاءه . ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس » . على حد قول الحماسي :

مَن صَدَّ عن نيرانها   فأنا ابنُ قيسٍ لابراحُ (١)

يقول : لو ضربتكم بهجائي وأصلكم قوي لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولاأصل لكم يعرف ؟

(١) يقول : لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لانسل له ولا عقب : أي فقدظهرت دعواكم بهذا الانتساب وإنكم كذابون فيما تدعون . يهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء .

(٢) قال الليث : الفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال

---

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها في الحماسة ، وقد تقدم شرحها وأولها :

يَا بُؤسَ للحرب التي   وَضَعتْ أراهطَ فاستراحوا

إنْ قُلْتَ فى ذَا الْبَخُورِ سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فى النَّوَالِ [١]

وقال وقد بلغه أن إسحق بن كيغلغ يتهدده وهو ببلاد الروم وكان أبو الطيب بدمشق * :

أَتَانِى كَلَامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيَغْلَغٍ يَجُوبُ حُزُونًا بَيْنَنَا وَسُهُولَا [٢]

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ وَبَيْنِى سِوَى رُمْحِى لَكَانَ طَوِيلَا [٣]

ابن الأعرابى : الفعال فعل الواحد خاصة فى الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال وفلان لئيم الفعال ، قال : والفعال - بكسر الفاء - إذا كان الفعل بين الاثنين .

(١) البخور - بفتح الباء - قال البكرى : والعامة تضمها . وقلت - ههنا - بمعنى أشرت ، يقال قال بكمه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال: العطاء . يقول : إن أشرت فى هذا البخور أن يساق إلىّ سوقا فهكذا قلت وفعلت فى العطاء .

* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به وهو فى طرابلس - وكان محافظاً على الطريق - فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاه بالقصيدة التى مطلعها :

لِهَوَى النفوس سريرة لا تُعلمُ عرضا نظرت وخِلتُ أنى أسلم

وستمر بك فى قافية الميم، وهى من عيون قصائده .

(٢) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أتانى وعيده من مسافة بعيدة .

(٣) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء: كناية عن الاست ، والعرب تسب بنسبة الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بأنّ بَنِى أستها نَذَروا دَمِى *

وَإِسْحقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ ... وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلَا (١)
وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ ... وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا (٢)
وَيَكْذِبُ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ ... لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلَا (٣)

وقال يمدح أبا العشائر:

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ ... أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ (٤)

يقول: إنه على البعد يوعدني، ولو لم يحل بيني وبينه إلا رمحي لكان مابيني وبينه طويلا بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إليّ ولا يستطيع الإقدام عليّ لجبنه.

(١) يقول: إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكترث له. وقصاراه إذا مسه الهوان أن يبكى، ولا يلجأ فى الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة.

(٢) يقول: إن عرضه ليس جميلا حتى يستحق أن يصان، لأنه إنما يصان الجميل، وعرضه لا يحمل أن يحمل.

(٣) يقول: هو كاذب فى دعواه أنى أذللته بهجائى؛ فهو ذليل حقير من قبل هجائى إياه، فقوله ماأذللته بهجائه: كلام مستأنف، و«ما»: نافية.

(٤) الربع: المنزل؛ والطلل: ما شخص من آثار الديار. جعل كون الأحبة فى الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلا، لأن الأمكنة إنما تحيا بالعمارة والسكان. فإذا خلت من العمار فهى ميتة، وفى الحديث «من أحيا مواتا فهو أحق به» الموات: الأرض التى لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، وإحياؤها: مباشرة عمارتها. يقول: رحلتم فخرب ربعكم وعفا طللكم، ولكنهما ليسا أول حى قتل من جراء فراقكم. ثم بين ذلك فيما يلى. هذا: وحسب الشيء يحسب: أى ظنه، بفتح السين وكسرها، فى المضارع، قال

قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ   وَأَكْثَرَتْ فِى هَوَاكُمُ العَذَلَهْ (١)
خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَا   وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبِلَهْ (٢)
لَوْ سَارَ ذَاكَ الحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ   مَا رَضِىَ الشَّمْسَ بُرْجُهُ بَدَلَهْ (٣)
أُحِبُّهُ وَالهَوَى وَأَدْؤُرَهُ   وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهْ (٤)

فى التهذيب: والكسر أجود اللغتين. وقال الجوهرى: ويقال أحسبه ـ بالكسر ـ وهو شاذ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فان مستقبله يأتى مفتوح العين، ـ نحو علِم يعلم ـ إلا أربعة أحرف جاءت نوادر: حَسِب يحسِب، ويَبِس يَيبِس، ويَئِس ييئِس، ونعِم ينعِم، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالكسر: وَمِق يَمِق، ووفِق يَفِق، ووثِق يَثِق، وورِع يرِع، وورِم يرِم، وورِث يرِث، ووَرِى الزند يرِى، وولِىَ يَلِى.

(١) العذلة: جمع عاذل. يقول: قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسببكم أو بهواكم أو بفراقكم، وأكثر العاذلون — اللائمون — عذلهم فى هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم.

(٢) الصرم: الجماعة من البيوت بمن فيها، وجمعه اصرام. والمروح: الذى يروح إبله من المرعى. يقول: إن الربع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لارتحال أحبابنا عنه: يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد فى حق كالخالى الموحش لى، فكأنه قفر لا أحد فيه؛ وإن كان عامراً بأهليه.

(٣) الضمير فى «برجه» للحبيب. ورضى: بمعنى اختار وأحب. فلذلك عداه بغير حرف الجر. يقول: لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه، لأنها لا تغنى غناءه، إذ لا تعادله فى المحاسن.

(٤) لك أن تجعل «والهوى» عطفاً على الضمير المنصوب فى قوله «أحبه» فيكون من قبيل قوله:

يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَهْىَ ظَامِئَةٌ　　إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطِلَهْ (١)

وَاحَرَبَا مِنْكِ يَاجَدَايَتَهَا　　مُقِيمَةً فَاعْلَمِى وَمُرْتَحِلَهْ (٢)

لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا　　وَلَسْتِ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَفِلَهْ (٣)

وَإِنِّى لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ　　نُحُولِى وَكُلَّ فَتًى نَاحِلِ

ولك أن تجعله قسما ، كقول البحترى :

* أَمَا وَهَوَاكِ حِلْفَةَ ذِى اجْتِهَادِ *

والأدؤر : جمع دار ؛ والصبابة : رقة الشوق ؛ والوله : ذهاب العقل : أى أحبه وأحب كل مايرتبط به ، ثم قال : إن الحب صبابة تملك قلب العاشق ووله : أى فهو يحمّل كل شىء للحبيب .

(١) ينصرها : أى الادؤر ؛ والهطل : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سارعنها وكان ينزل بها . ويقال نصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها ، قال الشاعر :

مَنْ كَانَ أَخْطَاهُ الرَّبِيعُ فَإِنَّمَا　　نُصِرَ الْحِجَازُ بِغَيْثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ونُصرت البلاد : إذا مُطرت ، فهى منصورة : أى ممطورة ؛ ونُصر القوم : إذا غيثوا .

(٢) الحرب ـ بالتحريك ـ فى الأصل نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له ، والمراد هنا : الهلاك . يقول الواقع فى الهلاك : واحربا . والجداية : ولد الظبى . ومقيمة : حال من الضمير فى «منك» . وفاعلمى : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار أقمت أو رحلت : لأنك إن أقمت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى ـ البعد ـ فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان فى هلاكى

(٣) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير فى «بها» للأدؤر . والتفلة:

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْـ ـبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ (١)

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ (٢)

فَخْرًا لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَه وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَه (٣)

المنتنة الريح . يقول : إنما كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطب لى رياها وكانت عندى تفلة ، ولو خلطوا ترابها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيفَ التذاذى بالأصائلِ والضُّحى إذا لم يعدْ ذاكَ النسيمُ الذى هبَّا

(١) النجل : الولد ؛ ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذى بعضه - أى ولده - يفوق أبا الباحث عن نسبي ، أى أنا فوق أب الذى يبحث عن نسبي ، وقوله والنجل الخ : أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٢) نافرت فلانا فنفرته : أى فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق فيقولان له : أى نفرينا أفضل؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالمغلوب منفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بانَ الذى فيه تماريتما واعترفَ المنفورُ للنافر (١)

وأنفدوا : أفرغوا وأفنوا . يقول : إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يجد حيلة فافتخر بالآباء ؛ يعنى إنما يحتاج إلى الفخر بجدوده من لا فضيلة له فى نفسه .

(٣) العضب : السيف القاطع ؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا : مفعول مطلق نائب عن فاعله : أى ليفخر فخرا ؛ ومشتمله : أراد

---

(١) يروى : قد قلت شعرى فمضى فيكما واعترف ... الخ

وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا إلى هرم بن قطبة الفزارى ؛ والمنفور : المغلوب ؛ والنافر : الغالب .

وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ إذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًا خَيْرَهُ وَمُنْتَعِلَهْ (١)
أَنَا الَّذِي بَيَّنَ الْإِلٰهُ بِهِ الـ أَقْدَارَ وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ (٢)
جَوْهَرَةٌ يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةٌ لَا تُسِيغُهَا السَّفِلَهْ (٣)

مشتملا به . والاشتمال : أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذي يشتمل به . والسمهرى : الرمح ، واعتقل الرمح : جعله بين ساقه وركابه . يقول : إن سيفي ورمحي يفتخران بي ، لا أنا بهما .

(١) خيره : أي أفضله ، يروى حِبَرَه : أي زينته وجماله . يقول : لبست الفخر فصار رداء على منكبي ، ونعلا تحت قدمي ، فجدير به إذن أن يفخر بي .

(٢) يقول : بي بيّن الله أقدار الناس في الفضل ، لأنى أصف كل أحد بما فيه ؛ أو لأن من أكرمنى وأحسن إليّ : دل ذلك على مروته ، وميله إلى ذوى الفضل ، ومن استخف بي . ولم يكترث لي ؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نحيزته ، كما قال البحترى :

وإنّ مُقامى حيثُ خيمتُ مِحْنَةٌ تدلُّ على فَهمِ الكرام الأجاوِدِ

وقوله والمرء حيثما جعله : أي حيثما جعل نفسه ؛ فمن صان نفسه ، ورفع قدرها ؛ رفع الناس كذلك قدره ، ومن تعرض للهوان أهين ، كما قال :

إذا مَا أهانَ امرُؤ نفسه فلا أكرَمَ الله من أكرَمَه

وقدما قيل :

وأكرِمُ نفسى إننى إن أهنتُها وَحقِّكَ لم تَكرُمْ على أحدٍ بعدِى

ويجوز أن يكون المعنى ، والمرء حيثما جعله الله : أي لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته التى وضعه الله بها .

(٣) جوهرة : أي أنا جوهرة ؛ والغصة : ما يغص به الإنسان فلا يسيغه

إنَّ الْكِذَابَ الَّذِى أُكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِى مِنَ الَّذِى نَقَلَهْ(١)
فَـــلَا مُبَالٍ وَلَا مُدَاجٍ وَلَا وَانٍ وَلَا عَاجِزٌ وَلَا تُكَلَهْ(٢)

والسفلة — بكسر الفاء — كسفلة — بسكونها وكسر السين — أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم. يقول: أنا زينة الناس إذ أنوه بمناقبهم، وأشيد بذكر محاسنهم؛ فأنا جوهرة يفرح بها، وشجى فى حلوق اللئام لا يقدرون على إساغتى، لأنى أقول فيهم ما أذلهم به وأكشف عن نقائصهم.

(١) الكذاب: الكذب: يقال: كذَب يكذِب كَذِباً وكِذْباً وكذابا وكِذّاباً، ورجل كاذب، وكذّاب، وتكذاب وكَذوب، وكذوبة، وكُذَبة — مثال هُمَزَة — وكذْبان، وكَيْذَبان، وكَيْذُبان، ومَكذَبانَ؛ ومَكْذَبانة وكُذُبذُبان، وكُذُبذُب وَكُذْبُذُب. قال جُرَيبة بن الأشيم:

فإذا سَمِعتَ بأنني قد بِعتكم بِوِصال غانِيَة فقل كُذْبُذُب

والكُذَّب: جمع كاذب، مثل راكع ورُكَّع، قال أبو دواد الرؤاسى:

مَتَى يَقل تَنفع الأقوامَ قَولَتُه إذا اضمَحَل حَديثُ الكُذَّبِ الولعه
أليسَ أقرَبَهُم خيراً وأبعَــدَهُم شرًّا وأسمَحَهُم كفا لمِن مُنِعَه
لايَحسُدُ الناسَ فَضلَ اللهِ عِندَهُم إذاتشُوهُ نفوسُ الحَسَدا الجشِعهْ(١)

والكُذُب: جمع كذوب، مثل صبور وصبر، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى «ولا تقولوا لما تصف ألسِنتكم الكُذُب» فجعله نعتاً للألسنة، وأكاد به: أقصد به على وجه الكيد بى. يعرض بقوم وشوا به إلى أبى العشائر، يقول: ذلك الكذب أهون عندى من راويه وناقله: أى لا أكترث له ولا لمن رواه.

(٥) مبال: خبر من محذوف: أى فلا أنا مبال؛ والمداجى: الذى يساتر

---

(١) الولعة: جمع والع، مثل كاتب وكتبه، والوالع: الكاذب.

وَدَارِعٍ سِفْتُـــهُ نَخَرَّ لَقًى   فِي الْمُلْتَقَى وَالعَجَاجِ وَالْعَجَلَهْ (١)

العداوة : والوانى : المقصّر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفى عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداج لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسيء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى .

(١) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللق : الشيء المطروح ؛ والعجاج : الغبار : والعجـــلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذى يكون من الضارب والطاعن فى الضرب والطعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الثكل - من قولهم ناقة عجول : إذا فقدت ولدها - قال علماء اللغة : والعجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئها وذهابها جزعا ، قالت الخنساء :

فما عَجولٌ على بَوٍّ تُطيفُ بِهِ   لها حنينانِ إعلانٌ وإسْرارُ (١)

ويجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل فى قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » أى من طين ؛ وقال الشاعر :

والنَّبْعُ فى الصخرةِ الصمّاء مَنبِتُهُ   والنَّخلُ يَنبُتُ بينَ الماء والعَجلِ

يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشيء الملقى وقت التقائنا .

---

(١) بعده :

ترتَع ما رَتَعَتْ حتى إذا ادَّكرت   فإنما هى إقبـــال وإدبار
يوماً بأوجَـــدَ مِنى يومَ فارَقَنِي   صَخرٌ وللعَيشِ إحلاءٌ وإمرارُ

وترتع مارتعت : يروى ترتع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهى لا تراه ، ويدنى منها فتشمه وترأمه فتدر عليه اللبن .

وَسَامِعٍ رُعْتُــهُ بِقَافِيَةٍ يَحَارُ فِيهَا الْمُنَقِّحُ الْقُوَلَهْ (١)
وَرُبَّمَا أُشْهِدُ الطَّعَامَ مَعِى مَنْ لَا يُسَاوِى الْخُبْزَ الَّذِى أَكَلَهْ (٢)
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِى وَأَعْرِفُهُ وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ (٣)
مُسْتَحْيِيًا مِنْ أَبِى الْعَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِى غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَلَهْ (٤)
أَسْحَبُهَا عِنْــدَهُ لَدَى مَلِكٍ ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَهْ (٥)
وَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ أَوَّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الْحَمَلَهْ (٦)

---

(١) رعته : أعجبته أو أرهبته . والقافية هنا : القصيدة؛ والمنقح: الذى يهذب القول ويختاره ، والقولة: الجيد القول . يقول : إنه يده السامع بالقافية الجيدة يرتاع لها ويتحير فى حسنها الشاعر المجيد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و«من» مفعول أول؛ وأشهد يروى يَشْهَد ؛ ويروى أشهد ـ مُضارع شهدَ ، فتكون « معى » بحذف واو الحال : أى ومعى ؛ وقد تحذف : كما تقول مررت بزيد على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذى وشى به ، وكان يقال له المسعودى ، كان المتنبى قد وصله بأبى العشائر فصار نديما له ، ثم تناوله عند أبى العشائر :

(٣) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رَأَونى طالعاً من ثنيّة يقولون مَن هـذا وقد عرَفونى

(٤) الحلل : الثياب ؛ ومستحيياً : أى إنما أفعل ما ذكرت مستحييا : فهو حال ، العامل فيها مقدر. يقول : إنما أقمت مع الأعداء فى بلد لأنى أستحى من أبى العشائر أن ألبس خلعه فى غير بلده .

(٥) وجلة : خائفة. يقول: إن ثيابه لا تحب أن تفارقه لتشرفها به فهى تخاف أن يخلعها على جليسه .

(٦) النائل : العطاء؛ وكذلك السيب. يقول : إن غلمانه البيض كعطائه فى أنه

مَالِي لَا أَمْدَحُ الْحُسَيْنَ وَلَا أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَذَلَهْ(١)
أَأَخْفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ خَبَرًا أَمْ بَلَغَ الْكَيْذُبَانُ مَا أَمَلَهْ(٢)
أَمْ لَيْسَ ضَرَّابَ كُلِّ جُمْجُمَةٍ مَنْخُوَّةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعِلَهْ(٣)

يهبهم - أى غلمانه - أى أنه يهب غلمانه كما يهب أمواله، فيكون أول مايحمله اليك من العطاء، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء - وهم الغلمان -

(١) ويروى: أبذل ملوُدِ مثلَ مابذله: أى من الودّ، فحذف النون. وهذا كالمعاتبة مع نفسه، والاقرار بالتقصير فى مدحه، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله.

(٢) الكيذبان: الكذاب — وقد وفينا القول على هذه المادة قريباً - يقول: أكذبتنى عينى فيما أدت إلىّ من محاسنه، أم وجد الكاذب فرصة فغير مابيننا؟ ويجوز أن يريد بالعين: الرقيب، وأنث: جريا على اللفظ. يقول: هل أخفى الرقيب عنده خبراً من أخبارى فى حبى إياه وميلى اليه؟ وقال بعض الشراح: يقول: هل أخفت عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فجحدها علىّ. أم أمار الكاذب سمعه فبلغ عنده مايأمله من الوشاية بى؟ وهـــذا استفهام إنكار: أى ليس الأمر على ماذكر؛ وإذن: لا أقصر فى حقه ولا آلوجهدا فى مدحيه. هذا: ويقال أمَلَ خيره يأمُله أملاً، وكذا أمّله تأميلا: أى رجاه.

(٣) منخوة: أى ذات نخوة — أى عظمة وكبر — والرأس يوصف بالكبر، يقال فى رأسه نخوة والزعلة: النشيط؛ والزعلة أيضاً: البطرة الأشرة. يقول: أليس الممدوح ضرّاب كل رأس متكبر بَطر يوم الوغى والقتال؟.

وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ ... لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَهْ (١)

وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لَا يُفَتِّرُهُ ... لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزِمٌ هَزَلَهْ (٢)

وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمُكَلِّلَ فِي ... طَيِّءِ الْمُشْرَعَ الْقَنَا قِبَلَهْ (٣)

---

(١) عذله : أي لامه على إسرافه وكثرة عطاياه .

(٢) الهول : الأمر العظيم الشديد؛ ولا يفتره : أي لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه ، والمحزم : مايقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوباً أجراه مجرى المركوب من الدواب : أي أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المحزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .

(٣) قال الواحدي : أراد بالأحمر : فرسه الذي ركبه في وقعته بانطاكية؛ والمكلل : الحاد الماضي في الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أي مضى قدُماً . ولم يُحجِم، أنشد الأصمعي :

حَسَمَ عِرْقَ الداءِ عنه فقَضَبْ ... تَكليلةَ الليثِ إذا الليثُ وَثَبْ

قال الأصمعي : وقد يكون كلل:بمعنى جبن؛ يقال حمل فما كلل : أي فما كذب وماجبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجَهْم بن سَبَل :

وَلا أُكَلِّلُ عن حَرْبٍ مُجلِّحَةٍ ... ولا أُخَدِّرُ لِلْمُلْقِينَ بِالسَّلَمِ

ويقال إن الأسد يهلل ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلل ، والمكلل : الذي يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلل : يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع ؛ ويقال انكلّ الرجل انكلالا : أي تبسم ؛ وانكلت المرأة تنكلّ انكلالا: إذا ابتسمت قال الأعشى :

وَينكلُّ عن غُرِّ عِذابٍ كأنها ... جَنَى أُقحوانٍ نَبتُهُ مُتَنَاعِم

وقال عمر بن أبي ربيعة :

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَــهُ خُيُولُهُمُ أَقْسَمَ بِاللهِ لَا رَأَتْ كَفَلَهْ(١)

فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِى فَعَلَهْ(٢)

وتنكلُ عن عذبٍ شتيتٍ نباته له أشُرٌ كالأقحوانِ المنوّرِ

ومن روى «المكال» ـ فى البيت ـ بفتح اللام : أراد المتوج . ويجوز فى «المشرع» النصب على أنه نعت للفارس ، والخفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من «وجهه» : للفرس ؛ وضمير «أقسم» : للممدوح . يقول : لما رأت خيولهم وجه فرسه فى حومة الوغى أقسم بالله لا ارتدعنهم ولا رأوا كفله حتى يأتى عليهم قتلا ؛ ولعل هذا المعنى من قول الآخر :

حتّى يظنُّوه إنسانا بغيرِ قفـًا وأنه راكبٌ طرفاً بلا كفل

(٢) يقال أكبرت الشىء : إذا استكبرته ؛ وأصغره : يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض : أى استكبروا فعله واستصغره هو ؛ وتم الكلام ههنا ثم استأنف فقال : أكبر من فعله الذى فعله : أى هو أكبر من فعله . وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى : على هذا التفسير لا يكون مدحا ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أكبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيرا من الخير فاعله ، وإن شرا من الشر فاعله ، ولكن معنى البيت : أن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله ؛ كما تقول أعطانى فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه . قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن «الذى» يصلح أن يكون بمعنى «من» ، وبمعنى «ما» . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى «ما» فذهب إلى «من» ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أكبر من

الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا ... بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ (١)

فَوَاهِبُ وَالرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ ... وَطَاعِنٌ وَالْهِبَاتُ مُتَّصِلَهْ (٢)

فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أكبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصغره — بضم الراء — على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده : أى وأصغر فعله أكبر مما استعظموه

(١) القاطع : يروى : القائل ، والقاتل . والكميل : بمعنى الكامل ؛ أنشد سيبويه :

عَلى أنَّنِي بَعْدَ ما قد مَضَى ... ثلاثونَ لِلْهَجْرِ حَوْلاً كَمِيلا

يذَكِّرُنيكِ حَنِينُ العجُولِ ... ونوحُ الحمامةِ تَدْعُو هدِيلا (١)

وكمل — بفتح العين وضمها — يكمل — بالضم — فى مضارعهما ؛ وكمل — بكسر العين — يكمل — بالفتح — لا غير . قال الجوهرى : والكسر أردؤها . يقول : يقطع ويصل كما يشاء ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلى .

(٢) تشجره : تنفذ فيه وتخالطه ، ومنه قول شريح بن أوفى العبسى :

---

(١) يقول : لم أنس عهدك على بعده ، فكلما حنت عجول — وهى الفاقدة ولدها من الإبل وغيرها — أو ناحت حمامة ، رقت نفسى فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة ونصبه على المصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل الفرخ الذى يزعم الأعراب أن جارحا صاده فى سفينة نوح فالحمام يبكى عليه ، كما قال طرفة :

* كَدَاعِي هَدِيلٍ لا يُجابُ ولا يُمَلّ *

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعوه نائحة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه .

وَكُلَّمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى   وَكُلَّمَا خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَهْ (١)

يذكرنى حاميمَ والرمحُ شاجرٌ   فهلا تلا حاميمَ قبلَ التقدُّمِ (١)

يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطعان .

(١) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى فى طلب الغزو والفتح ، وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

---

(١) قبله :

وأشعثَ قوامٍ بآيات ربهِ   قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ

شككت له بالرمح جيب قميصه   فخر صريعاً لليدين وللفم

على غير شىء غير أن ليس تابعا   عليًا ومن لا يَتبعِ الحقَ يظلمِ

يذَكرنى حاميم .... [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال ، وكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحاميم ـ لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » حتى حمل عليه العبسى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات . يقول : ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام فى الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى : أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط فى العين فيغمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم ، فيما ترى العين : أى فى رأى العين ، شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق قميصه كناية عن طعنه به فى صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحا على يديه ووجهه وعبر بالفم مبالغة فى التنكيل ، ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه ، وذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعا لعلى بن أبى طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرنى حاميم ، والحال أن رمحى قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

وَكُلَّمَا جَاهَرَ العَدُوَّ ضُحًى أَمْكَنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَتَلَهْ (١)

يَحْتَقِرُ البِيضَ وَاللِّدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيْهِ الدِّلَاصَ أَوْ نَثَلَهْ (٢)

قَدْ هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الفَقَاهَةُ لِي وَهَذَّبَتْ شِعْرِيَ الفَصَاحَةَ لَهْ (٣)

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِدًا يَدَهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلَّ مَنْ حَمَلَهْ (٤)

---

(١) الختل : الأخذ خدعة ؛ أي على بغتة . يقول : كلما حارب أعداءه جهارا تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأتاهم بغتة؛وضمير « أمكن» للعدو : أي أمكنه من نفسه .

(٢) البيض ـ بكسر الباء ـ السيوف ، وتروى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهي الخوذة التي تجعل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ؛ جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة الملساء . ونثل الدرع : ألقاها عنه . قال ابن جنى : وذكر الدرع بقوله نثله ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن . يقول : إنه يحتقر السيوف والرماح ـ دارعا كان أو حاسرا ـ وسن ـ بالسين المهملة ـ يروى بالشين المعجمة ، وكلاهما بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أي صبّه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبها عليه ، قال الجوهرى : سننت الماء على وجهى : أى أرسلته إرسالا من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت بالشين ، ويقال شن عليهم الغارة: إذا فرقها .

(٣) الفقاهة : الفهم والفطنة والعلم : فقه الرجل يفقه فقاهة . يقول : إن فقاهة الممدوح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعرى و يعرف جيده ، و فصاحتى هذبت شعرى له ، فأنا آتيه به فصيحا لاعاب فيه .

(٤) يقول : أنا أحمده حمد السيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له ، وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

واستأذن كافوراً فى المسير إلى الرملة ليخاص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور فى مسيره ؛

فقال لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث فى خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْلِفُ لَا تُكَلِّفُنِي مَسِيراً إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالَا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكَاناً وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالَا (١)
إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْماً فَلَقِّنِي الْفَوَارِسَ وَالرِّجَالَا (٢)

---

(١) وأنت مكلفى : حال : وأنبى : تفضيل - من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافقه ، ونبا السيف :كل عن الضريبة ؛ والشقة : المسافة . يقول : تمنعنى من المسير خوفا علىّ أن ينبو بى المكان الذى أنا قاصده وتتعبنى مشقة السفر وأنت تكلفنى من الإقامة عندك بما هو أنبى بى وأطول تعبا وأشد حالا من السفر البعيد .

(٢) الفسطاط . مدينة مصر قديما . وأراد بلقنى اجعلهم بلقرتى : أى ابعثهم خلفى ليردونى إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردى إليك . هذا : والرجال الرجالة قال تعالى « فَرِجَالاً أو رُكْبَاناً » يقال رَجِل الرجل رَجلاً فهو راجل ورُجل ورَجِل ورَجيل ورَجْل ورَجْلان : إذا لم يكن له ظهر فى سفر يركبه وشاهد رَجْلان :

علىّ إذا لاقيتُ ليلى بخلوة أن ازدارَ بيتَ اللهِ رَجْلانَ حافيا

والجمع رِجالورَجالة و رُجَّال و رُجَالى و رُجَالى ورَجَالى و رُجْلان و رَجْلة و رِجْلة و رِجلة وأَرْجلة وأراجل وأراجيل ؛ قال أبو ذؤيب :

لَنَعْـلَمُ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّى ... وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِى مُحَالاَ (١)

أَهَمَّ بَنِيهِ صَيفُهم وشتاؤُهمْ ... وقالوا تَعَدَّ واغزُ وَسْطَ الأراجل (١)

قال ابن برى : الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل - مثل صاحب وأصحاب وأصاحيب - إلا أنه حذف الياء من « الأراجيل » لضرورة الشعر قال أبو المثلم الهذلى :

يا صخرُ واردَ ماءٍ قد تتابعَهُ ... سَوْمُ الأراجيل حتى ماؤه طَحِلُ (٢)

والرجلان بمعنى الراجل ، جمعه رَجلى ورِجال - مثل عجلان وعجلى وعِجال - ويقال رَجل ورَجالى : مثل عجل وعجالى ؛ وامرأة رَجلى : مثل عَجلى ؛ ونسوة رجال مثل عجال ، ورَجالى مثل عَجالى . أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات . جمع الجمع . قال الجوهرى فى جمع الرجل : أراجل ، واستشهد ببيت أبى ذؤيب المتقدم ، ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جارٍ ظلَّ مغتبطاً ... غيرَ جيرانِ بنى جَبَله

خرَقوا جَيبَ فتاتِهِم ... لم يبالوا حرمَةَ الرَّجله (٣)

(١) منى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم - الظلم - وإن فوارسه ورجالاته لا يقدرون على رده اليه

---

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لابيهم تعد أى انصرف عنا وحارب وسط الرجالة . وقال الجوهرى : أراجل هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

(٢) سوم الأراجيل : أى حر الرجالة ؛ وماء طحل : كدر .

(٣) عنى بجيب فتاتهم : هنها .

وقال يمدح أبا شجاع فاتكا * وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ   فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ (١)

---

* قال ابن خلكان : هو «فاتك» الكبير المعروف بالمجنون ، كان روميا أخذ صغيرا من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيد من سيده بالرملة كرها بلا ثمن وأعتقه، فكان حرا عنده في عدة المماليك ، وكان كريم النفس ، بعيد الهمة ، شجاعا ، كثير الإقدام ، ولذلك قيل له «المجنون» ، وكان رفيق الأستاذ كافور في خدمة الأخشيد ، فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في خدمة ابن الأخشيد أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها اقطاعا له فانتقل اليها — وهي بلاد وبيئة ، كثيرة الوخم — فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة، فدخلها وبها المتنبي ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم «فاتك» وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد خدمته خوفا من كافور ، و«فاتك» يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع «فاتك» إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « المتنبي » الأستاذ كافور في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى . ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول المتنبي . * فأمسك لا يطال له فيرعى * — البيت —

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الاعانة . يقول — مخاطبا نفسه — : ليس عندك من الخيل

. . . .

والمال ماتهديه إلي الممدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق : أى فامدحه ، وجازه بالثناء عليه إن لم تعنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول يزيد المهلبي :

إنْ يُعجِزِ الدهرُ كفِّى عن جَزائكم فإننى بالهوَى والشكر مجتهدُ

قال العكبرى : وهذا من الابتداء الذى يكرهه السامع بأن يقول للممدوح : لاخيل عندك تهديها ولا مال . وهوأول مايقول له وقال فى إعراب «لاخيل» : نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين . وقال سيبويه والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين ، وأنشد العجاج :

تاللهِ لولا أنْ تَحُشَّ الطُّبَّخُ بِيَ الجَحِيمَ حينَ لا مُسْتَصْرَخُ (١)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفى قراءة من قرأ : « فلا رَفثٌ ولا فُسوقٌ ولا جدَالٌ فى الحج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر « فى الحج » . وقرأ بعضهم برفع « الرفث . والفسوق » ونصب « الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبى الصلت :

فَلا لغوٌ ولا تأْثِيمَ فيها وما فاهُوا به لهُمُ مُقيمُ (٢)

وقرأ آخرون بنصب الأولين ورفع الثالث وهو كبيت أبى الطيب ، ومثله :

هذا لعَمرُكُمُ الصَّغارُ بعيْنِهِ لا أُمَّ لِي إنْ كانَ ذاكَ ولا أبُ (٣)

(١) يريد بالطبخ : الملائكة الموكلين بالعذاب ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشا : إذا أسعرها وهيجها تشبيها بإسعار النار

(٢) قالوا فى قوله تعالى « لالغو فيها ولا تأثيم » ، أن تأثيم يجوز أن يكون مصدرا قال ابن سيده : ولم أسمع به ، قال : ويجوز أن يكون اسما كما ذهب سيبويه فى التثبيت والتمتين

(٣) هو لرجل من مذحج يقال له هنى بن أحمد الكنانى ، وكان هنى هذا من يبر أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له عليه يقال له جندب فقال :

وَاجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِى نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ　　بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ (١)

فَرُبَّمَا جَزَى الْإِحْسَانَ مُوَلِيَهُ　　خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ (٢)

وهذا محمول على الموضع ، لأن موضع الأول رفع بالابتداء ، ويكون « لا » بمعنى « ما » فكأنك قلت : مارجل ولا غلام فى الدار .

(١) يقول : واجزه بالمدح والثناء عليه والشكر له فإن إنعامه يأتى فجأة من غير تقدم سؤال وانتظار ، وغيره من الناس اقتصر على القول دون الفعل ، قال المهلبي :

وكم لكَ نائلا لم أحتسبهُ　　كما يُلقى مفاجأةً حبيبُ

والنعمى والنعماء والنعمة : المال واليد والصنيعة ، وما أنعم الله به عليك والخفض والدعة : ضد البأساء والبؤس ، والنعمى إذا كانت على فعلى : قصرت وإذا كانت على فعلاء : مُدت .

(٢) الخريدة : الجارية الحيية . والمكسال ، من النساء : الفاترة القليلة التصرف ؛ وخريدة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثان مقدم ؛ ومُوليه — أى معطيه — مفعول أول . يقول : ربما جازت بالإحسان من يولى

هل فى القضيةِ أن إذا استغنيتُم　　وأمِنتم فأنا البعيد الأجنبُ

وإذا الكتائبُ بالشدائد مرةً　　جحَرتكمُ فأنا الحبيب الأقربُ

ولجُندَبٍ سهلُ البلادِ وعذبُها　　ولىَ المِلاحُ وحزنُهن المُجدِبُ

وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعَى لها　　وإذا يحاسُ الحيسُ يُدعى جُندَبُ

عجباً لتلكَ قضيةً وإقامتى　　فيكم على تلكِ القضيةِ أعجبُ

هذا لعمركم الصغار . . . . . .　　. . . . . . . (البيت)

الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، وعجبا يروى عجب

وَإنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ (١)

— يعطى — الإحسان امرأة عاجزة عن كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن المكافأة فعلا فهى ممكنة قولا كالمكافأة من هذه المكسال ، يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلا فيما يلى . هـذا : والجزاء المكافأة على الشيء جزاه به ، وعليه جزاء ، وجازاه مجازاة — قال الجوهرى جزيته بما صنع جزاء وجازيته : بمعنى . ويقال جازيته فجزيته : أى غلبته وقوله تعالى « لا تجزى نفس عَنْ نَفسٍ شيئا » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئا ، يقال جزيت فلانا حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى بردة بن نيارٍ حين ضحى بالجذعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك » أى تقضى . قال الأصمعى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه لا تقضى عن أحد بعدك ، ويقال جزت عنك شاة : أى قضت ، وبنو تميم يقولون أجزأت عنك شاة — بالهمز — أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس شيئا » : لا تغنى .

(١) الشكل - بالضم - جمع شكال ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح : مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتصهال بمعنى الصهيل أخرجه مخرج تسيار ونحوه . ضرب لنفسه المثل فى عجزه عن المكافأة بالفعل والاجتزاء عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاله فعجز عن الجرى لكنه يصهل . يقول : إن لم يكن عندى الفعل فعندى مكافأة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقا إليها ، وقال المعرى : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولا وجعل التصهال مثلا لثنائه على الممدوح : وكان « فاتك » هذا يسر خلافا للأسود - كافور - وينطوى

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَّحَنِي ... سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ (١)
لٰكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا ... وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَّالُ (٢)
فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ ... غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَّالُ (٣)
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ ... أَنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ (٤)

على بغضه ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفا من كافور .

(١) سيان : مثنى «سى» بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول : ليس شكريك عن فرح بما أهديته إلى ، لأن الغنى والفقر عندى سواء لقلة مبالاتى بالدنيا . قال ابن جنى : مارأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لفاتك . وكان يقول حمل إلىّ ماقيمته ألف دينار فى وقت واحد .

(٢) بخال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من القبيح أن يجاد لى بالبر والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد . وقوله : «وأننا» يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباخ : جمع سبخة . وهى الأرض لا تنبت لأنها ذات نزّ وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده نضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف منى سبخة لاتنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والنزّ والغمق ، والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول . إن موقع إحسانه منى يبين للناظرين أن غيره من المحسنين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقلدونه من يستأهله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى الغيوث على معناها الحقيق : يعنى أن الممدوح أحكم من الغيوث لأنه

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ (١)

لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ ... وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ (٢)

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ ... إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَذَّالُ (٣)

تَدْرِي الْقَنَاةُ إِذَا اهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ (٤)

يضع إحسانه فى موضعه أما هى فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(١) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بفعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٢) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسأل : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سئال ، يقول : لايدك المجد إلا سيد لم يرث أباه مالا — والممدوح لم يرث أباه لأنه كان جوادا فلم يخلف مالا — ويمينه تجهل ماوهب لكثرته ، وليس هو كسوبا ولا سألا بغير السيف : أى لا يطلب حاجاته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(٣) الضمير فى « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له — بلسان حاله — إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله فى سبيل المجد . وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعذال : مبالغة ، من العذل ، وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخيل يفوت على نفسه كسب المحمدة والذكر باستبقاء ماليس يباق . وقال ابن جنى : أكرم الناس من تعب فى جمع الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزى : من رأى الممسكين وموتهم عن الأموال وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر ، فكأنه حذره عن الامساك ، والزمان لم يقل قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٤) القناة : الرمح والبيت فى صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح فى يد

كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الكَافِ مَنْقَصَةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ(١)

أنه سيشق به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(١) فاتك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على فاتك ، والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التى ذكرت ، ثم استدرك فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره فى الظاهر ، لأنه يوهم أن له شبيها ، وإنما هو كالشمس إذا شبهت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها ، وهذه الكاف هى التى يقال لها كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف مالا يقبل الحركة كالألف . وقال ابن جنى : إذا قيل كفاتك ودخول الكاف منقصة جعل له شبيه ، فانتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس - وإن كانت لا شبيه لها والكاف زائدة - كقول رؤبة :

﴿ لَوَاحِقُ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالمَقَقْ (١) ﴾

أى فيها مقق ، وهو الطول . ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقال : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف فى كفاتك ، فقال الكاف ههنا زائدة ، وإنما معناه وتقديره : فاتك أى هذا الممدوح فاتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكاف ، فكيف يقال إنها زائدة : وعبارة الإمام التبريزى : لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبهه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله : ودخول

---

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

وَقَاتِمِ الأَعمَاقِ خَاوِى المُخْتَرَق

راجعها فى أراجيز العرب للبكرى ، وفى خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق الأقراب : خماص البطون : قد لحقت بطونها بظهورها ، والمقق : الطول .

أَلْقَائِدِ الْأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُــــهُ   بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ (١)
أَلْقَاتِلِ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ   وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ (٢)
تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ   وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ (٣)

الكاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فاتك » : أى أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره ، لأنه يوهم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البراثن من السباع والطير : بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجالا هم أسود تغذوهم براثنه ـ يعنى سيوفه وسلاحه فهن له كالبراثن . ـ برجال مثلهم من الأعداء : أى أنه يغنمهم الأبطال ، وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغذيتهم ، قال الشراح : يشير إلى غلمانه الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا .

(٢) به صلة القتيل ؛ وللسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية ؛ وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : للسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره فى جسمه . فجعل ذلك قتلا للسيف ، ثم قال : وإن للسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهرى : الهمل ـ بالتحريك ـ الابل بلا راع : مثل النفش ؛ إلا أن الهمل يكون ليلا ونهارا ، والنفش لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهُمَّال وهوامل ، وتركتها هَمَلا : أى سُدًى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المَرعِىُّ بالهَمَل . والمرعى : الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة على ماله فكأنها تغير على الغارة وماله مهمل لا راعى له بأقاصى

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ ... عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءُ وَذَيَّالُ (١)

تُمْسِي الضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ ... كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطِّيبِ آصَالُ (٢)

الأرض لا يُغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هيبة له ، فكأن هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال : وماله بأقاصى الأرض أهمال لايغار عليها . وجملة المعنى أنه ـ لجلالة قدره ونباهة شأنه وعُظَمِهِ فى النفوس ـ تهيبه الفرسان فى غاراتها ، فلا تقدم على مقاتلة اهماله .

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من « ما » ؛ والهيق : الظليم ـ ذكر النعام ـ والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها ـ والخنس : ضرب من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذيال : الثور الوحشى لأنه يجر ذنبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد مايختاره من الوحش لحذقه واقتداره ، وجعل الاختيار للأسنة مجازا ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هى التى تختار . وعبارة العكبرى : يعنى أنه كان ملازم الحروب فى الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفا بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته .

(٢) مشهاة : أى تعطى ماتشتهيه ، وإنما يقال فى هذا المعنى أشهاه ـ بالألف ـ تقول تشهت المرأة على زوجها فأشهاها : أى أنالها شهواتها ، ولكن المتنبى استعمل « فعّل » فى موضع « أفعل » ، والعقوة : الساحة . والآصال : جمع أُصُل : جمع أصيل ، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم . يقول : إن أضيافه يعطون مايشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا ... بِكَ وَاللَّيَالِى كُلُّهَا أَسْحَارُ

لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا ... خَرَادِلٌ مِنْهُ فِى الشِّيزَى وَأَوْصَالُ[1]

لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ ... إِلَّا إِذَا حَفَزَ الْأَضْيَافَ تَرْحَالُ[2]

---

(١) القارى: المضيف. وقاريها: يعنى الممدوح، والخرادل القطع - كأنها مقصورة من قولهم: لحم خراديل: أى مقطع - وهو من الجموع التى لا واحدها والذال فيه: لغة. وقال كعب بن زهير:

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ[1]

والأوصال: جمع وصل، وهو العضو؛ والشيزى: خشب أسود تعمل منه الجفان - القصاع - يقول: لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتاهم وشيكا قطع من لحمه حرصاً منه على مسرتهم. قال العكبرى: وهذا من الإفراط الذى يحسر فيه بما لا يكون إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن.

(٢) الرزء: المصيبة. وحفزه واحتفزه: دفعه من خلفه يحفزه حفزاً، قال الراجز:

تُرِيحُ بَعْدَ النَّفَسِ الْمَحْفُوزِ ... إِرَاحَةَ الْجِدَايَةِ النَّفُوزِ[2]

يقول: ان المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره: أى أنه يناله من ذلك ماينال من يرزأ فى ماله وولده.

---

(١) من قصيدة «بانت سعاد» التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا. يقول: يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحما. والعيش هنا: القوت؛ ولحم معفور: أى ماق فى العفر - بفتحتين - وهو التراب؛ وخراديل: مقطع.

(٢) يريد بالنفس المحفوز: النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز: أى يدفع. والجداية: الظبية؛ ونفز الظبى: جمع قوائمه ثم وثب.

يُروِى صَدَى الأَرْضِ مِنْ فَضْلاتِ ما شَرِبُوا
مَحْضُ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ (١)

تَقْرِى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ (٢)

---

(١) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات ـ بفتح الضاد ـ ولكنه سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللقاح : جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد بصافى اللون : الخمر : والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول: انه يكثر لهم من اللبن والخمر فيفضل عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف أضيافه أراق بقايا ماشربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلقى كل وارد بقِرًى جديد من اللبن والخمر . وعبارة ابن الافليلى: يروى عطش الأرض بفضلات مايسقيه أضيافه من اللبن والخمر ومايتابع لهم من الالطاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ، وهو أوجه مما ذهب اليه ابن جنى .

(٢) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والعبط والعبيط : الطرى من الدم . والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الأضياف — منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل . قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يجدد فيها ذبحا ، كأن الساعات نزال ينزلون عليه ؛ وقفال : رجعوا من سفر : يعنى أنه لايطعم أضيافه اللحم الغب ، بل يجدد لهم الذبح والنحر كل ساعة فيجرى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يريق دما طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه ، فجعل ابن جنى الدم العبيط من الأعداء .

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً ... مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ (١)
لَا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ ... وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأُطَيْفَالُ (٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً ... وَالْبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلَّالُ (٣)

---

(١) أراد بالنفوس: الدماء قال السموءل بن عادياء:

تَسِيلُ على حَدِّ الظُّبَاتِ نفوسُنا ... وليستْ على غَيرِ الظباتِ تَسِيلُ (١)

وأغنام: جمع غنم؛ وآبال: جمع إبل. يقول: تجري الدماء حوله مختلطة دماء الأعداء بدماء الذبائح للأضياف، كما قال البحتري:

ما انفكَّ مُنتَضِياً سَيفَي وغىً وَقِرًى ... على الكواهلِ تَدْمَى والعَرَاقِيبِ

(٢) نائله: عطاؤه. والاطيفال: تصغير أطفال. يصف عموم بره، وأن القريب والبعيد فيه سواء، حتى الأطفال التي لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعروفه، فبره يصل إلى كل أحد.

(٣) الأقران جمع قرن، وهم الأكفاء في الحرب. والبيض: السيوف. والظبة: حد السيف. وهادية - من هدى اللازم - أي مهتدية. والسمر: الرماح. يقول: إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية - لأنها تمضي قدما على استواء - والرماح ضالة - لأنها تذهب يمينا وشمالا في الطعن، وهو الطعن الشزر - فهو أمضى الفريقين سيفاً في أقرانه. وقال العكبري: أراد أن القوم إذا دنا بعضهم من بعض تجالدوا بالسيوف، فكأن الرماح ضالة في الرجال، فقصرت الرماح وضلت عن مقاصدها، وضاق المجال عن التطاعن بها، وصار الأمر إلى المجالدة

---

(١) من أبياته التي يقول في مطلعها:

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عِرضُه ... فكل رداء يرتديه جميل

والظباة. جمع ظبة؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر، وما أشبه ذلك.

يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا المَاءُ وَالآلُ (١)
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ (٢)

بالسيوف فصارت السيوف هاديه مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، فحينئذ يكون أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اختبرته رأيته يربى أضعافا على ماأراك منظره . ثم قال : وفى الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال ، وفيهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ماعندهم من المعانى ، كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها من المشى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال . قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان ، فاتك ، يلقب بالمجنون ، ففسره أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحَسُن عند المنكر له أن يتلقب بمثله . وقد نظر فى لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

وَإِنْ يَبنِ حِيطانا عليهِ فإنما أولئك عُقَّالاتُه لا مَعاقله (١)

---

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إذا مارقٌ بالغدرِ حاوَلَ غدرة فذاكَ حرِىٌّ أن تئيم حلائله
فإن باشر الأصحار فالبيض والقنا قِراه وأحواض المنايا مناهله

يَرْمِى بِهَا الجَيْشَ لَا بُدٌّ لَهُ وَلَهَا ... مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ انَّ الجَيْشَ أَجْبَالُ (١)

إِذَا العِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ (٢)

يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَدًا ... مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ (٣)

وفى معناه إلى قول الكلابى :

ألا أيها المغتابُ عِرضى تَعيبنى ... تُسَمّينىَ المجنونَ فى الجد واللعِبِ

أنا الرجل المجنونُ والرجلُ الذى ... به تتّقى يومَ الوَغى غِرّةُ الحربِ

(١) يقول : يرمى الجيش الذى يناصبه بالبيض — السيوف — ولا بد له ولتلك السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ؛ فالضمير فى « بها » : للبيض، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله لابد بالرفع على إعمال «لا» عمل «ليس»

(٢) نشبت :علقت ؛ والمخالب ، للسبع والطير : بمنزلة الظفر للإنسان، أثبت له المخالب على إضمار تشبيه بالأسد . والحلم : الأناة والعقل . والرئبال : الأسد. قال الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقبه بالمجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا الممدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء . يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيهم مخالبه زايله الحلم . لأن الحلم والأسد لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .

(٣) يروعهم : يفزعهم؛ ومنه : تجريد؛ وصروف الدهر: حدثانه؛ والاغتيال الإهلاك على غفلة . يقول : هذا الممدوح دهر يغول الأعداء ، إلا أنه يغولهم جهاراً ، أما الدهر فإنه يغتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيما لشأنه ، ثم بالغ وفضله على الدهر .

أَنَالَه الشَّرَفَ الأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي بِتَوَقِّي مَا أَتَى نَالُوا (١)
إِذَا المُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الكَعْبِ عَسَّالُ (٢)
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الهَيْجَاءِ أَهْوَالُ (٣)
تَمَلَّكَ الحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِي الحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ (٤)

---

(١) «ما»: خبر مقدم عن «الذى»؛ و نالوا: الضمير للعدى؛ والجملة صلة «الذى» يقول: هو بجرأته و إقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى، فما الذى نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتيه من المخاوف والأهوال؟

(٢) المهند: السيف الهندى القاطع. وأصم الكعب: الرمح؛ والأصم: الصلب؛ والكعب؛ الناشز بين أنبوبى الرمح. والعسال: المهتز المضطرب. يقول: إذا تزينت الملوك بالتيجان ونحوها تزين هو بالسيف والرمح: يعنى أنه احتاز الرياسة مغالبة بنفسه، واستحقها بشجاعته وإقدامه. هذا: «وحليته» تروى بالنصب على أنه خبر كان، و «مهند» اسمها. وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه، فكأنه أراد وصفه، فقربه من المعرفة. وتروى «حليته» بالرفع، فتكون مبتدأ. خبرها ما بعدها. والجملة خبر كان، واسمها ضمير الشأن أو ضمير الممدوح.

(٣) أبو شجاع: كنية الممدوح، وهو خبر عن محذوف: أى هو أبو شجاع وأبو الشجعان: بدل. وقاطبة: جميعا، والهول: ما أخاف وأفزع وهو خبر آخر ونمته: غذته وربته أو نسب إليها، يقال: نماه جد كريم ونميته إلى فلان. والهيجاء: الحرب. يقول: هو أبو شجاع كنية، وهو أبو الشجعان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه، وهو هول عند الحرب فى أعين الأعداء. ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها.

(٤) يقول: إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه، يعنى أنه المحمود فى أفعاله وأقواله وليس يحمد دونه أحد.

عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ ... وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِيِّ سِرْبَالُ (١)

وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالاً أَيُّهَا النَّالُ (٢)

لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي بِرِّي وَتَكْرِمَتِي ... إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ (٣)

حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ ... وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفَّيْكَ آمَالُ (٤)

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ ... إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ (٥)

---

(١) السربال : الثوب ؛ والماذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه فى الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سرابيل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الذم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٢) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : الرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طان : أى كثير الطين ، ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : لا أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقتنى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٣) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتدبير ورأى تحصيلا لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيده شرفا وذكرا ، يشير إلى ما وصله به « فاتك » ، وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور فى مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يجسر أن يمدحه ابتداء خوفا من كافور .

(٤) غدوت ـ هنا ـ تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزل تحتال على العلياء حتى غدوت والأخبار تجول فى الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ، وصار لكل أحد أمل فى كفيك حتى الكواكب تأملك .

(٥) التنبال : القصير ، وجمعه تنابل وتنابلة ، لما جعل الثناء لباسا للممدوح : عبر عن طول معانيه بطول الممدوح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائى لطول ما يتضمنه من وصف مناقب الممدوح . وعبارة الواحدى

إنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أنْ تَخْتَالَ فى بَشَرٍ ... فَإنَّ قَدْرَكَ فى الْأقْدَارِ يَخْتَالُ (١)

كَأنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا ... إلَّا وَأنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ (٢)

وَلَا تَعُــدُّكَ صَوَّاناً لِمُهْجَتِهَا ... إلَّا وأنْتَ لَهَا فى الرَّوْعِ بَذَّالُ (٣)

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... الْجُودُ يُفْـقِرُ وَالْإقْدَامُ قَتَّالُ (٤)

يقول : مدح الشريف يشرف الشعر ، ومدح اللئيم يؤدى إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعرى قد شرف بشرف هذا الممدوح . وزاد على ذلك العكبرى فقال : أى قد طال لسانى بالثناء، وفتح لى باب المدح والاطراء، جلالة قدر من مدحته، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال، الراغب عن الكرم والافضال .

(١) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فمشى الخيلاء . وقوله أن تختال : أى عن أن تختال فحذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك تترفع عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك يختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك أعظم قدرا من كل أحد .

(٢) المفضال: الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحبا لها حتى تفضل كل مفضال وتربى عليهم .

(٣) المهجة . دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تعدك قائما بحق صيانتها حتى تبذلها وتجود بها فى الروع فتقتحم المهالك، وتتعرض لمواجهة الحروب والمتالف .

(٤) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة، ثم بين المشقة التى فى السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين - كما لا يخفى - وهو من قول منصور النمرى :

الجودُ أخشنُ مسًّا يابنى مطرٍ ... مِنْ أن تَبزَّكُموه كفُّ مستلِبِ

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ (١)

إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ (٢)

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ (٣)

ما أعلمَ الناسَ أنّ الجودَ مكسبة ... للمجد لكنه يأتى على النشب

(١) الطاقة : اسم - من أطاقه : إذا قدر عليه - والشملال : الناقة القوية الخفيفة المشى السريعة. يعتذر عمن لم يسد من الناس . يقول : كل إنسان يجرى فى السيادة على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود ويبلغ مبلغ الممدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .

(٢) يقول : من يتجنب معك القبح ولا يعاملك به فى هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا ، لكثرة من يعاملك بالقبيح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال:

وصرنا نرى أنّ المتارِكَ مُحسِنٌ ... وأنّ خليلا لا يضرُّ وَصول

وقال العكبرى : وهذا من قول الحكيم من لم يقدر على فعل الفضائل ، فلتكن فضائله ترك الرذائل .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، وما يحتاج إليه فى دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غِنَى النفس ما يكفيك من سدّ خلّةٍ ... فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرا

قال ابن جنى : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رؤى يستقى ماء فقيل له: بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول . . .

تم - بعون الله - الجزء الثالث ؛ ويليه - إن شاء الله - الجزء الرابع

فهرس

قوافى الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبى

مطلع القصيدة : صفحة

قافية الفاء

قافية القاف

قافيـة الـكاف

قافيـة اللام

أخطاء مطبعيـــة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٤	طرقة	طرفة
٧	٢	وَالمغالِي	وَالمعَالِيَ
٧	١٥	من حصّلت	ماحصّلت
٨	٥	مُفتِي	مُفنِي
١٥	٩	وَيلتوِى	وَيلتوِى
١٦	١٤	ابوشَرْوانَ	أنوشَرْوانَ
١٧	٤	فى هذه	من هذه
٢٤	٥	فى رُوم	فى رُومِ
٢٧	٤	قَباتُ	قَبِلتُ
٢٩	٦	بن ربيعه	بن ربيعة
٣١	٢	الشعْرُ	الشَعَرُ
٣٤	٢٠	فكان	فكأن
٣٥	١٩	والكشف	الكشف
٣٦	٢	حُكمُ	حُكمٌ
..	..	ظُرفُ	ظَرفُ
٤٢	١٧	بحفيف	بحنث
٥٧	٢١	قيس ابن	قيس بن
٧٨	٤	قُشير	قُشَير
٨٥	١٤	طوالُ	طِوالٌ
٩٩	٣	وَقال	وقال
..	١٩	بهارَ	بهارا
١٠٠	٢	مِنّا	مِنها
١٠٣	٢١	المألتق	المتألق
١١٨	٤	الحُمقِ	الحُمُقِ
١٢٥	٢	المهَراقِ	المهَراقِ
١٢٩	٤	بما	بما
١٥٠	٤	قلّى	إلىَّ
..	٥	ومَقلية	ومَقلِيَّةً
١٥٢	١٢	مجاهد	محامد
١٦٢	٨	العشر	عشر
١٧٦	٥	روَاقُ	رِوَاقُ
..	..	عَلىَّ	عَلَيَّ
١٨١	٤	النَفسَ	النِفسُ
١٦٢	٩	الدعاية	الدعابة
٢٠٠	٤	لِمُلقَى	لِمُلتَقى
٢٤٦	١١	وطالَهُم	وَطاءَ لَهُم
٢٥٢	٣	وَالجَرد	والجُرُدِ
٣١٢	٣	تُحلي	تتحلّى
٣١٩	١٣	رَازاقُ	رَازِقَ
		شِعارَ	شعارًا
٣٣٦	٢	قليلٌ	قليلُ
٣٣٧	١	تَرَبْني	تَرَبَّني

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤٨	٤	نَصَ البعد	نَصَّ البُعْدُ
٣٦٣	٣	فى شُغْلِ	فِى شُغُلِ
..	١٠	يطعمنى	يطعمنى
٣٧٠	١٤	الشَقْ	الشَقّ
٣٨١	٢	السُبُلْ	السُبُلُ
٣٨٩	٥	النعبِ	العيبِ
٣٩٦	١	الخزامى	الخُزامى
..	٢	مَرَاعِى	مُرَاعِى
٣٩٩	٢	البَدَوِى	البَدَوِىّ
٤١٠	٣	اشفِقُ	أُشْفِقُ
٤١١	٢	مِثْلِى	مِثْلَى
٤٢٣		مَتَزحزح	مُتَزَحزِح
٤٣٣	٢	وَتَجاوَزُتَ	وتَجاوَزْتَ
		العُلُو	العُلُوّ
٤٤٨	١٩	الِفَوا	أَلِفُوا
٤٦٠	١	عَلَيْكْ	عَلَيْكَ
٤٦٨	٥	بَضَبْعَى	بِضَبْعِى
٤٩٦	١	بِرَاثِنُهُ	بَرَاثِنُهُ
٤٩٦	٢٣	بأقاصى	بأقاصِى

وهناك هنوات هينات لا داعى للتنبيه إليها

ملاحظات

سقط فى صفحة ١٠٢ بقيـة شرح بيت امرئ القيس وموضعها بعد هذه الجملة فى السطر الأخير : «ولا يقال عرق النساء» وبقية الشرح هكذا : والهاء فى: «أدركنه» ضمير الثور الوحشى ؛ والنون فى «أدركنه» ضمير الكلاب أى أدركت الكلاب الثور فأخذت بساقه ونساه ، وشبرقت جلده : كما شبرق ولدان النصارى ثوب الراهب المقدسى فقطعوا ثيابه تبركا به .

* * *

وجاء فى صفحة ٤٥٧ ما يلى على هذا الوضع :

لا تَعجَبِى يا سَلْمُ مِن رجلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برَأْسِهِ فَبَكَى

وبقول دعبل :

لا تأْخذا بِظُلامَتِي أحداً   قلبِي وطرْفي في دَمِي اشترَكا

وصواب الوضع هكذا :

ويقول دعبل :

لا تَعجبِي ياسَلْمُ مِنْ رجل   ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبَكَى
لا تأْخذا بِظُلامَتِي أحداً   قلبِي وطرْفي في دَمِي اشترَكا